شخصيةُ
المرأة المسلمة

كما يصوغها الإسلام في الكتابِ والسنة

تأليف
الدكتور محمد على هاشمي

اختصرته
منى عبد الحميد صقر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الْحمد لله، نستعينه، ونستغفره، ونعوذُ بِالله من شرورِ أنفُسِنا، ومن سيئَات أعمالنا، من يهده الله فَلَا مضلٍ لَه، ومن يضللْ فَلَا هادي لَه، وأشهد أنْ لَا إله إلا الله وحده لَا شرِيك لَه، وأشهد أن محمدا عبده ورسولُه صلى الله علَيه وسلم تسليما.

أما بعد، فحين يستشعر المسلم مسؤوليته تجاه مجتمعه تراه يجتهد أن يضع نفسه في مواضع النفع والخير، ينتقل من أرض إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر مستهينا بكل ما يغزوه من مشاعر الغربة لأنه في كل الأحوال بين من تجمعه م أسمى الأواصر وأوثق العلاقات، فهو أنى ذهب في بلاد الإسلام وبين إخوانه المسلمين، لكنه بعد مرور السنين من العمل والسهر والترحال يكتشف أن مثله كمثل الزارع الذي غرس غرسا ثم أمضى عمره منهمكا في رعاية غصونه وفروعه ولم يبد عميق اهتمام بالجذع والجذور، وليس ذلك لضعف خبرة، أو قلة علم، أو انصراف قلب، وإنما استسلام لتتابع الشواغل والقضايا والهموم.

وهذا ما يقع فيه الكثير من الدعاة الذين يقضون في مجال الدعوة عمرا دون أن يهبوا بضع ساعات منه لبنات المسلمين ونسائهم، في حين أن شخصية ا تمع الإسلامي ليست سوى انعكاس لشخصيا ن المبثوثة في نفوس الأولاد والبنات، والمؤثرة على حياة الأسر والأزواج، وما من أحد إلا ويؤمن بعظيم دور المرأة في ا تمعات، فهي جذر الشجرة وجذعها الذي يجب أن نتعهده دوما بالرعاية ونطمئن على سلامته واعتداله قبل تأمل الغصون وانتظار الثمار.

أن مبعث اهتمامي بتأليف هذا الكتاب كان ما لاحظته في حياة المرأة المعاصرة من تناقضات ومبالغات، وإفراط وتفريط، لقد أذهلني ما رأيت من تخلف بعض المنتسبات للإسلام عن المستوى السامي الوضيء الذي أراد الله لهن أن يكن فيه، وليس بينهن وبين بلوغ ذلك المستوى العالي إلا أن يعكفن على معرفة تلك شخصية المرأة المسلمة التي صاغتها نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة. ولتجلية ذلك كله رحت أجمع النصوص الصحيحة من كتاب الله وسنة رسوله الناطقة بتكوين شخصية المرأة، وأصنفها حسب أبوا ـا

وموضوعا ا، فانتظم لدى مخطط متكامل للبحث في شؤون المـرأة الخاصـة والعامة على الشكل التالي:

١. المرأة المسلمة مع ر ا.
٢. المرأة المسلمة مع نفسها.
٣. المرأة المسلمة مع والديها.
٤. المرأة المسلمة مع زوجها.
٥. المرأة المسلمة مع أولادها.
٦. المرأة المسلمة مع كنائنها وأصهارها.
٧. المرأة المسلمة مع أقربائها وذوي رحمها.
٨. المرأة المسلمة مع جيرا ا.
٩. المرأة المسلمة مع أخوا ا وصديقا ا.
١٠. المرأة المسلمة مع مجتمعها.

وقد أردت أيتها الأخت المسلمة والابنة الغالية أن أعبر عن إيماني بـدورك الفاعل وشخصيتك المؤثرة في جميع من حولك من خلال محاولة جادة لتجليـة شخصيتك كما شكلها الإسلام وكما عرفتها عصوره الزاهرة، فرحت أجمـع النصوص الصحيحة من كتاب الله وسنة رسوله لأبين لك كيف كون الإسلام شخصية المرأة، وكيف بلغ في هذا التكوين الشأن الرفيع الذي لم تبلغه امرأة في التاريخ إلا في ظل هذا الدين.

أولا: المرأة المسلمة مع ر ا

اعلمن أخواتي وبناتي أن أبرز ما يميز المرأة المسلمة هو إيما ا العميق بـالله ويقينها بأن ما يجرى في هذا الكون من حوادث، ومايترتب على الناس مـن مصائر إنما هو بقضاء الله وقدره، وأن ما أصا ا لم يكن ليخطئها، وما أخطأها لم يكن ليصيبها. وما عليها في هذه الحياة إلا أن تسعى في طريق الخير وتأخـذ بأسباب العمل الصالح، ولن يتيسر لها ذلك إلا إذا تمثلت عددا من الـسمات وراضت نفسها على القيام ببعض الأعمال والعادات منها أن تكون:

المرأة المسلمة مع ر ا مؤمنة يقظة تعي حقائق الإيمان بالله والعبودية له:

ومن اليقظة أن تؤمني أختاه بأن الله لن يضيعك: وأن تكون أوامـر الله ونواهيه واضحة لديك، وأن يملأك اليقين بأن النجاة في اتباعهـا والهـلاك في مخالفتها، وأن دورك الحقيقي هو معالجة ما يحيط بك من ظروف، فمهما بلغت قسو ا لا يجب أن تشوش عليك هـذا الوضـوح في إدراك أوامـر الله وفي الاستجابة لها، وتذكري قصة أمنا هاجر أم إسماعيل حين حملها إبراهيم عليـه السلام وطفلها الرضيع إلى مكة وهي أرض جرداء لا زرع فيها ولا مـاء ولا بشر، ثم هم بتركها فما كان منها إلا أن قالت له:"آلله أمرك ذا يا إبـراهيم؟ قال: "نعم"،فقالت:"إذن لا يضيعنا"[1].

كان المهم عندها أن تتأكد من أن ما يفعله زوجها ليس من هوى نفـسه وإنما بأمر من الله، عندها تضاءلت في عينيها كل الصعوبات التي أحاطت ـا وتركته يمضي، وبدأت بما وقر في قلبها من يقين تعالج ذلك الموقف العـصيب ولولا صدق إيما ا وتوكلها على الله لا ارت من أول لحظة، ولما عاشـت في ضمائرنا نتمثل أفعالها كلما قصدنا بيت الله الحرام حاجين ومعتمرين سـاعين بين الصفا والمروة، ومن ماء زمزم الطهور ناهلين.

ومن اليقظة أن تستشعري قرب الله وتستحضري خـشيته في الـسر والعلانية: فعن عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده قال: بينا أنا مـع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو يعس في المدينة، إذ أعيا، فاتكـأ علـى جانب جدار في جوف الليل، فإذا امرأة تقول لابنتها: يا ابنتاه قومي إلى ذلك

---

(١) رواه البخارى في كتاب الأنبياء: باب يوفون. انظر فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر ط. دار المعرفة ٦/٣٩٦.

اللبن فامذقيه بالماء، فقالت: يا أُمتاه أوما علمت ما كان عزم أمـير المـؤمنين اليوم؟ قالت: وما كان من عزمته يا بنية؟ قالت: إنه أمر مناديا ألا يشاب اللبن بالماء، فقالت لها: يابنية قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء، فإنك في موضع لا يراك فيه عمر، فقالت الصبية لأمها: ما كنت لأطيعه في الملأ وأعـصيه في الخـلاء، وعمر يسمع ذلك، فقال: يا أسلم، امض إلى الموضع فانظر من القائلة، ومـن المقول لها، وهل لهم من بعل؟ قال: فأتيت الموضع، فنظرت فإذا الجارية أيم[1]، وإذا تلك أمها، وإذا ليس لهم رجل، فأتيت عمر فأخبرتـه، فـدعا ولـده، فجمعهم، قال: هل فيكم من يحتاج إلى امرأة أزوجه؟ ولو كان لأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه منكم أحد إلى هذه الجارية، فقال عبد الله: لي زوجة، وقال عبد الرحمن: لي زوجة، وقال عاصم: لا زوجة لي فزوجني، فبعث إلى الجارية، فزوجها من عاصم، فولدت لعاصم بنتا، وولدت البنـت عمـر بـن عبـد العزيز"[2].

فكان عمر بن عبد العزيز هبة الله إلى الأمة يحمل الزهد عن جده عمر بن الخطاب، والإخلاص لله عن هذه الجدة. فإن امتلكت أيتها الأخت المـسلمة مثل هذا الضمير اليقظ النابع من إيمانك بأنك مع الله في سرك وعلانيتك، وهو معك يسمع ويرى، كيف تنشغلين عندها بمراقبة الناس؟

ومن اليقظة أختي الذكية أن ترضي نفسك بقضاء الله وقدره: فـلا راد لقضائه والرضا بالقضاء والقدر من أكبر علامات الإيمان والطاعـة والتقـوى والصلاح في الإنسان، ألم تسمعي حديث رسول الله صلى الله عليـه وسـلم الذي يقول فيه:"عجبا لأمر المسلم! إن أمره كله خير له، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له"[3].

ما عليك أختاه إلا أن تدربي نفسك على الرضا والصبر والشكر، ولك في الصحابية الجليلة الخنساء (تماضر بنت عمرو الشريدي) أسوة حـسنة، فقبـل دخولها في الإسلام أبكت الدنيا بقصائدها الحزينة حين فُجعت بفقد أخيهـا (صخر)، وبعد إسلامها قدمت أولادها الأربعة شهداء في سـبيل الله في يـوم واحد في معركة القادسية، وحين جاءها نعيهم وقد كف بصرها وانحنى ظهرها

---

(١) أى لا زوج لها.
(٢) صفة الصفوة ووفيات الأعيان، ونقلها ابن الجوزى في كتابه أحكام النساء ص ٤٤١، ٤٤٢.
(٣) صحيح مسلم ٢٥/١٨ كتاب الزهد: باب في أحاديث متفرقة.

استرجعت وقالت: الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم، وأرجو أن يجمعني الله م في مستقر رحمته[٤]، وكانت تفزع إلى مصلاها، تستعين بالصبر والصلاة، وتلوذ برحمة ر ا القائل في كتابه الكريم: "إنما يوفي الصابرونَ أجـرهم بغيـر حسابٍ" (الزمر:١٠)

ومن اليقظة أن تستحضري الحقائق الإيمانية الكبرى المتعلقة بوحدانية الله والحساب بعد الموت وأن تضعيها نصب عينك وتقيسي عليها جميع أمرك (قُلْ من بِيده ملَكُوت كُل شيءٍ وهو يجِير ولَا يجار علَيه إِن كُنـتم تعلَمـونَ * سيقُولُونَ لله قُلْ فَأَنى تسحرونَ) (المؤمنون:٨٨، ٨٩).

وهذا الإيمان يزيد شخصيتك قوة ووعيا ونضجا، فإذا الحياة تكشف لـك عن حقيقتها، دار ابتلاء واختبار، ستعرض نتائجها في يوم آت لا ريب فيـه: (قُلِ الله يحيِيكُم ثُم يميتكُم ثُم يجمعكُم إِلَى يومِ الْقيامة لَا ريب فيه ولَكـن أَكْثَر الناسِ لَا يعلَمونَ) (الجاثية:٢٦). (تبارك الذي بِيده الْملْك وهو علَى كُل شيءٍ قَدير * الذي خلَق الْموت والْحياةَ ليبلُوكُم أَيكُم أَحسن عمـلاً وهـو الْعزِيز الْغفُور) (الملك:١،٢).

ويومئذ سيجزى الإنسان عن عمله، إن كان خيرا فخير، وإن كان شـرا فشر، دون أن تمسسه أثارة من ظلم: (الْيوم تجزى كُل نفْسٍ بِما كَسبت لَـا ظُلْم الْيوم إِن الله سرِيع الْحسابِ) (غافر:١٧)، ولا ريب أن يقظتـك لهـذه الحقائق، تجعلك تقبلين على ربك إقبال الطائعة المنيبة الشاكرة، تنفقين عمرك وجهدك في الغرض الذي من أجله خلقت ووهبت هذه الحياة.

ومن اليقظة أختاه أن تدركي نفسك بالتوبة والإنابة: فأنت أعلم النـاس بنفسك، إن غشيتك غفلة، أو زلت قدمك، أو اعتراك شيء من قصور وتراخ في تنفيذ أمر ربك، فلا يليق بك أيتها المسلمة الواعية اليقظـة أن تستـسلمي للغفلة، بل سارعي باستغفار ربك وعودي إلى تألق إيمانك وجـلاء نفـسك وحرارة تدينك، تائبة آيبة إلى حمى ربك الآمن:"إِن الذين اتقَـواْ إِذَا مـسهم طَائف من الشيطَان تذَكَرواْ فَإِذَا هم مبصرونَ" (الأعراف:٢٠١)، فالغفلـة لا ترين على قلب خالطته بشاشة الإيمان، وقلب المرأة المسلمة التقية اليقظة متفتح

---

(٤) الإصابة ٦٦/٨، ٦٧

دوما لتلقي الهداية والطاعة والإنابة، واسترواح نـسمات التوبـة والرحمـة والغفران.

ومن اليقظة أن تحسني **ترتيب أولوياتك**، ولتعلمي أن همـك الأول هـو مرضاة الله فما رضي الله عنه فعلتيه، ومالم يرض عنه اجتنبتيه. وحينمـا يقـع التعارض بين مايرضي الله عز وجل، وما يرضي الناس، فإن مرضاة الله هـي اختيارك الذي لا تردد ولا جدال فيه، ولو خالف هذا هوى نفسك أو أسخط عليك الناس. ودليلك هدي الرسول الحكيم صلى الله عليـه وسـلم حـين قال:"من التمس رضاء الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس، ومن الـتمس رضاء الناس بسخط الله، وكله الله إلى الناس"[(5)]. هذا الميزان الدقيق، لن تخطئي مرضاة الله عز وجل. وستختفي من حياتك مواقف الازدواجيـة والتنـاقض المزعجة المخجلة التي يقع فيها كثير من الأخوات اللواتي نراهن في مـصلاهن خاشعات، فإذا جاوزن المصلى احتكمن في كثير من مواقفهن لأهواء نفوسهن، فجرن عن الحق، وانطلقت ألسنتهن في المجالس بالغيبة والنميمة وتجريح الناس.

ومن اليقظة أن تديري مع نفسك حوارا حول الهدف من وجـودك في **الحياة:** وقد قال تعالى: **"ومـا خلَقْـت الْجِـن والْـإِنس إِلـا ليعبـدون"** (الذاريات:٥٦)، فالحياة في نظر المرأة المسلمة الراشدة ليست في قضاء الوقت بالأعمال اليومية المألوفة، والاستمتاع بطيبات الحياة وزينتها، وإنمـا الحيـاة رسالة، على كل أن ينهض بها على الوجه الذي تتحقـق فيـه عبادتـه لله. فاستحضري أختاه نية ابتغاء وجه الله تعالى في أعمالك كلها وتحري مرضاته، ولا يغيب عنك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:"إنما الأعمال بالنيـات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرتـه إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى مـا هاجر إليه"[(6)]. فأنت في معبد متحرك دائم، ما دمت تستحضرين رسالتك في الحياة،كما أراد الله لها أن تكون. أنت في عبادة حين تدرسين أو تعملـين في مجالك وفي تخصصك، وحين تتعاملين مع والـديك، وإخوتـك وزوجـك، وأولادك، ما دمت تفعلين ذلك كله لله، وبنية عبادتك إياه.

---

(٥) رواه الترمذي ٣٤/٤ في آخر أبواب الزهد، وهو حديث حسن.
(٦) متفق عليه. انظر شرح السنة ٤٠٤/١ كتاب الطهارة: باب النية في الوضوء وغيره من العبادات.

ومن أسباب اليقظة كثرة تلاوة القرآن: فلن تبلغي هذه الدرجة العالية من الطاعة والصلاح والتقوى والوعي، إلا أن تفيئي كل يوم إلى كتاب الله وظلاله الوارفات، فليكن لك أختاه ورد قرآني دائم، تقبلين فيه على آياته البينات، تتلينها بتمعن وتأمل وتدبر، فتتسرب معانيها إلى عقلك ومشاعرك، ويصفو ا قلبك، و تدي ا نفسك وتبلغي عند الله الم لة العالية التي بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال:"مثل المؤمن الذي يقرأ مثل الأترجة[٧]، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، لا ريح لها، وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر"[٨]. وقوله صلى الله عليه وسلم:"اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه"[٩]. فإن صعب عليك أمر التلاوة تعلميها، واعلمي أنك في زمرة القارئين المأجورين مهما كان مستوى تلاوتك لقوله صلى الله عليه وسلم:"الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق، فله أجران"[١٠].

كوني يقظة فلا تتوانى عن قراءة القرآن، مهما تراكمت شواغلك، لأن القرآن يصلك بخالقك ويوقظ حواسك ويحرر في نفسك أسباب الإيمان.

المرأة المسلمة مع ر ا عابدة له مؤدية لفرائضه: ومن سمات المرأة المسلمة مع ر ا أن تكون عابدة له، ولن تكوني أختاه تلك العابدة إلا إذا تعلمت ما فرض الله عليك وأديت فرائض الإسلام وأركانه أداء حسنا، لا ترخص فيه ولا تساهل ولا تفريط.

وأول الفرائض الصلاة: عليك إقامة الصلوات الخمس في أوقا ا، فهي زاد روحك، لا يلهينك عنها طلب علم أو شواغل بيت وأعباء أمومة أو زوجية ومن باب أولى لا يشغلك عنها اللهو والتسوق وتوافه الأمور؛ إذ الصلاة عماد الدين، من أقامها فقد أقام الدين، ومن تركها فقد هدم الدين[١١]. وهى أفضل الأعمال وأجلها كما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي

---

(٧) الأترجة: فاكهة ذات رائحة طيبة تشبه الكباد.
(٨) متفق عليه. انظر شرح السنة ٤٣١/٤ كتاب فضائل القرآن: باب فضل تلاوة القرآن.
(٩) صحيح مسلم ٩٠/٦ كتاب صلاة المسافرين: باب فضل قراءة القرآن.
(١٠) متفق عليه. انظر شرح السنة ٤٢٩/٤، ٤٣٠ كتاب فضائل القرآن: باب فضل تلاوة القرآن.
(١١) انظر إحياء علوم الدين ١٤٧/١.

رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال:سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل؟ قال:"الصلاة على وقتها"، قلت: ثم أي؟ قال:"بر الوالدين"، قلت: ثم أي؟ قال:"الجهاد في سبيل الله"(١٢). فالصلاة هي الصلة بين العبد وربه التي يستمد منها القوة والثبات والرحمة والرضوان، والنبع الذي يغسل به أدرانه وذنوبه وخطاياه: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:"أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه(١٣) شيء؟" قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال:"فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا" (١٤).

واعلمي أختاه أن حضور الجماعة في **المسجد حق لك** فعن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت:"لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الفجر، فيشهد معه نساء من المؤمنات متلفعات في مروطهن(١٥)، ثم يرجعن إلى بيوتهن، ما يعرفهن أحد"(١٦). وقد جعل صلى الله عليه وسلم صلاة المرأة في بيتها خيرا لها من صلاتها في المسجد، وترك حرية الاختيار لها، إن شاءت صلت في بيتها، وإن شاءت خرجت للصلاة في المسجد، وليس لزوجها إن استأذنته أن يمنعها، كما نص على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في عديد من الأحاديث، ومنها قوله:"لا تمنعوا نساءكم المساجد، وبيوتهن خير لهن" (١٧). وقوله:"إذا استأذنت أحدكم امرأته إلى المسجد فلا يمنعها"(١٨).

ولقد امتثل الرجال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسمحوا للنساء بالخروج إلى المسجد، ولو كان هذا الخروج خلاف رأيهم ومزاجهم. وليس أدل على ذلك من حديث عبد الله بن عمر، قال: "كانت امرأة لعمر تشهد صلاة الصبح والعشاء في الجماعة في المسجد، فقيل لها: لم تخرجين وقد تعلمين

---

(١٢) متفق عليه. انظر شرح السنة للإمام البغوى ١٧٦/٢ كتاب الصلاة: باب فضل الصلوات الخمس. ط. المكتب الإسلامى.
(١٣) أى وسخه.
(١٤) متفق عليه. انظر شرح السنة ١٧٥/٢ كتاب الصلاة: باب فضل الصلوات الخمس.
(١٥) أى متلففات بحجابهن.
(١٦) فتح البارى ٤٨٢/١ كتاب الصلاة: باب في كم تصلى المرأة في الثياب.
(١٧) رواه أبو داود ٢٢١/١ في كتاب الصلاة: باب ما جاء في خروج النساء إلى المسجد، وأحمد ٧٦/٢ وهو حديث حسن لغيره.
(١٨) فتح البارى ٣٥١/٢ كتاب الأذان: باب استئذان المرأة زوجها بالخروج إلى المسجد، وصحيح مسلم ١٦١/٤ كتاب الصلاة: باب خروج النساء إلى المساجد.

أن عمر يكره ذلك ويغار؟ قالت: وما يمنعه أن ينهانى؟ قال: يمنعه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تمنعوا إماء الله مساجد الله"[١٩]، وكان صلى الله عليه وسلم ينظم أمر النساء في صلاة الجماعة، كما ورد في الحديث الذي رواه مسلم: "خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها. وخير صفوف النساء آخرها، وشرها أولها"[٢٠].

وروى البخاري عن هند بنت الحارث أن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرتها أن النساء في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كن إذا سلمن من المكتوبة قمن، وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صلى من الرجال ما شاء الله، فإذا قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قام الرجال[٢١].

فكان صلى الله عليه وسلم يفسح للنساء في الخروج من المسجد أولا، ويحق لك أيضا أختي المسلمة أن تنبهي الإمام إن أخطأ أو سها بالتصفيق بيمينك على ظاهر يسارك؛ فعن سهل بن سعد الساعدى، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مالى رأيتكم أكثرتم التصفيق؟ من نابه شيء في صلاته فليسبح، فإنه إذا سبح التفت إليه، وإنما التصفيق للنساء"[٢٢].

على أن خروجك إلى الصلاة في المسجد ينبغي ألا يؤدى إلى إثارة فتنة، تمشيا مع هدى الإسلام العظيم في طهارة المشاعر والسلوك والشعائر في المجتمع المسلم. فإن خيفت الفتنة بخروجك لسبب من الأسباب، كالتبرج والتزين أو التعطر فصلاتك عندئذ في بيتك خير لك وألزم، فقد حدثت زينب الثقفية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أيما امرأة أصابت بخورا فلا تشهد معنا العشاء الآخرة[٢٣].

واحرصي أختاه على حضور صلاة العيدين: فقد رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حضورك المشاهد العامة، فعن أم عطية قالت:"كنا نؤمر بالخروج في العيدين والمخبأة والبكر. قالت: الحيض يخرجن، فيكن خلف الناس، يكبرن مع الناس[٢٤]. وعنها أيضا "أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١٩) فتح البارى ٣٨٢/٢ كتاب الجمعة: باب الإذن للنساء بالخروج إلى المساجد.
(٢٠) صحيح مسلم ١٥٩/٤ كتاب الصلاة: باب تسوية الصفوف وإقامتها.
(٢١) انظر فتح البارى ٣٤٩/٢ كتاب الأذان: باب انتظار الناس قيام الإمام العالم.
(٢٢) متفق عليه. انظر شرح السنة ٢٧٣/٣ كتاب الصلاة: باب التسبيح إذا نابه شيء في الصلاة.
(٢٣) المصدر السابق ١٦٣/٤.
(٢٤) المصدر السابق ١٧٩/٦ كتاب صلاة العيدين: باب إباحة خروج النساء في العيدين إلى المصلى.

أن نخرجهن في الفطر والأضحى، العواتق والحيض وذوات الخدور، فأما الحيض فيعتزلن الصلاة، ويشهدن الخير ودعوة المسلمين، قلت: يا رسول الله، إحدانا لا يكون لها جلباب، قال: لتلبسها أختها من جلبابها[٢٥].

وفي ذلك حث على المواساة والتكافل والتعاون على البر والتقوى، ودليل واضح على اهتمام الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بتوعية المرأة المسلمة توعية فكرية وشعورية، وترغيب في مشاركتها في قضايا الأمة الإسلامية التي تطرح من على المنابر بعد صلاة العيد وتذكير بدورها ومسؤوليتها في بناء المجتمع المسلم، فعن ابن عباس قال: "شهدت صلاة الفطر مع نبى الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان، فكلهم يصليها قبل الخطبة، ثم يخطب. قال: فنزل النبي صلى الله عليه وسلم كأنى انظر إليه حين يجلس الرجال بيده[٢٦]، ثم أقبل يشقهم حتى جاء النساء، معه بلال، فقال: (يا أيها النبي إِذَا جاءكَ الْمؤمنات يبايعنك علَى أن لا يشركْن بِالله شيئاً)، فتلا تلك الآية حتى فرغ منها، ثم قال: أنتن على ذلك؟ فقالت امرأة واحدة، لم يجب غيرها منهن: نعم يا نبى الله - لا يدرى حينئذ من هى[٢٧]- قال: فتصدقن، فبسط بلال ثوبه، ثم قال: هلم فدى لكن أبى وأمى، فجعلن يلقين الفتخ والخواتيم في ثوب بلال[٢٨]. ولا ريب أن تذكير الرسول صلى الله عليه وسلم النساء في المصلى ووعظهن وأخذ الصدقة منهن، والتأكد من ثباتهن على البيعة، تكليف لهن بالقيام بشعائر هذا الدين، ودفع لهن إلى ساحة العمل الصالح. وقد تم هذا كله بفضل الدعوة إلى الصلاة الجامعة في العيدين.

ولا تستهيني أيتها المؤمنة الحريصة على دينك بأهمية صلاة الجماعة وأثرها في **الفرد والمجتمع**: فبالرغم من أن الإسلام لم يلزم المرأة بحضور الجماعة في المساجد، إلا أنه استحب للنساء إن اجتمعن أن يصلين فرائضهن في جماعة،

---

(٢٥) المصدر السابق ١٨٠/٦ كتاب العيدين: باب إباحة خروج النساء في العيدين إلى المصلى.
(٢٦) أى يأمرهم بالجلوس.
(٢٧) استظهر بن حجر في فتح البارى ٤٦٨/٢ أنها أسماء بنت يزيد بن السكن التى تعرف بخطيبة النساء، وكانت جريئة.
(٢٨) فتح البارى ٤٦٦/٢ كتاب العيدين: باب موعظة الإمام النساء يوم العيد، وصحيح مسلم ١٧١/٦ كتاب صلاة العيدين.

وتقف التي تؤمهن وسطهن، ولا تتقدمهن، وليس عليهن أذان ولا إقامة. هـذا ما فعلته أم المؤمنين أم سلمة حين أمت النساء[29].

صلي السنن الرواتب، وصلي من النوافل ما يتسع له وقتك وجهـدك، كصلاة الضحى، وبعد المغرب، وفي الليل؛ ولا تقتـصري أختـاه علـى أداء الصلوات الخمس المفروضة، فإن صلاة النفل تقرب العبد من ربه، ولـيس أدل على عظم المرتبة التي يبلغها العبد المؤمن بكثرة تقربه إلى الله بالنوافل من قـول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسى:"ما زال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ورجله التي يمشى لها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنـه"[30]. ولكنه صلى الله عليه وسلم دعا في الوقت نفسه إلى الاعتدال في العبادة، وكره المغالاة فيها، تحقيقا للتوازن الحكيم في شخصية الإنسان المـسلم، وضـمانا للاستمرار في الطاعة بيسر ونشاط ورغبة، دون أن تنقض ظهره، وتقعده عن المضي فيها والمداومة عليها، وقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها، وإن قـل. قال: فكانت أمنا السيدة عائشة إذا عملت العمل لزمته"[31].

وأحسني أداء الصلاة: احرصي على أن تكون صلاتك مليئـة بحـضور القلب وخشوع الجوارح، تستحضرين فيها معاني ما تتلين من آيات الكتـاب الكريم، وتتمثلين معاني التسبيحات والأدعية التي تنطقين ا، فتفيض نفـسك بالخشوع لله، ويخفق قلبك بالهداية والشكر له، فإذا ما ساورتك في صـلاتك خواطر تصرفك عما أنت فيه من حضور قلب وصفاء ذهن، بادري إلى طردها بتدبر كلام الله، وما يتحرك به لسانك من تسبيح بحمده والثناء عليه.

وأحسني ختام صلاتك: ولا تنفتلي من صلاتك لتنغمسي على الفـور في أعمال البيت، أو غيرها من شواغل الحياة، بل استغفري الله ثلاثا كما كـان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قولي:"اللهم أنت الـسلام، ومنـك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام"[32]. وقد صح عن النبي صلى الله عليه

---

(٢٩) انظر أحكام النساء لابن الجوزى: ١٨٦، ٢٠٤ ط. بيروت. والمغنى لابن قدامة ٢٠٢/٢ ط. الرياض.
(٣٠) فتح البارى ٣٤١/١١ كتاب الرقاق: باب التواضع.
(٣١) المصدر السابق ٧٢/٦.
(٣٢) المصدر السابق ٨٩/٥، ٩٠ كتاب المساجد: باب استحباب الذكر بعد الصلاة.

وسلم أنه قال: "من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين، وحمد الله ثلاثـا وثلاثين، وكبر الله ثلاثا وثلاثين، فتلك تسع وتسعون، وقال تمام المئة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، غفرت خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر"[٣٣]. ثم توجهي إلى الله بدعاء خاشـع أن يصلح أمرك كله، في الدنيا والآخرة، وأن يلهمك رشدك، ويسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة فإنك إن فعلت ذلك خرجت من الصلاة، وقد خشع قلبـك، وزكت نفسك، وامتلأت بطاقة روحية، تعينك على مواجهة أعبـاء الحيـاة وهمومها ثابتة سخية لا يصيبك هلع ولا جزع:

(إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْـوَالِهِمْ حَـقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) (المعارج:١٩-٢٥).

وثاني الفرائض الزكاة: والزكاة أختاه فريضة مالية تعبدية محددة، فرضها الله على كل مسلم ملك النصاب (القدر الذي تجب فيه الزكاة)، سواء أكـان رجلا أم امرأة، فإن كنت ذات مال وسعة وجبت عليك الزكـاة، ووجـب عليك أن تتعلمي كيف تحسبين زكاة مالك، ولمن تؤدينها، ومتى تؤدى، فعليك أن تحصي ما لديك من مال كل سنة بتوقيت دقيق محدد، وتخرجي عنـه مـا يتوجب عليك دفعه بكل أمانة ودقة وحرص وقد جاءت آيات الكتاب الكريم متتابعة متضافرة، تقرن بين الصلاة والزكاة، في بناء صرح الإيمان في نفـوس المؤمنين بهذا الدين: (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَـاةَ) (المائـدة:٥٥)، (وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ) (البقرة: ٤٣)، فلا يجوز التـهاون بـشأنها ولا التأخر في إخراجها كل عام، وإذا دار بخلدك أنك امرأة وأنك غـير مكلفـة بالنفقة فاعلمي أن الإسلام الذي أعطاك حق الاستقلال في المـال، وجعـل نفقتك على زوجك، هو نفسه الذي فرض عليك الزكاة فيه، وجعلها حقـا معلوما للفقير؛ كما جعلها تطهيرا ونماء لما تمتلكين من مال، فـلا تتلكئـي في إخراجها وإنفاقها فيما بين الله من مصارفها المشروعة.

وثالث الفرائض الصوم: عليك أختاه أن تتعلمي ما يلزمك من أحكـام الصوم، وأن تصومي شهر رمضان، ونفسك معمورة بالإيمان: "مـن صـام

(٣٣) انظر صحيح مسلم ٩٥/٥ كتاب المساجد: باب الذكر بعد الصلاة.

رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه"[٣٤]. وعليك أن تتخلقي بأخلاق الصائمات الحافظات ألسنتهن وأبصارهن وجوارحهن عن كل مخالفة تخدش الصوم، أو تقلل من أجره. "إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إنى صائم"[٣٥]، و"من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه"[٣٦].

واحذري أختاه أن تضيعي موسم الطاعة الرمضانية في أعمالك المنزلية أو في أسباب اللهو والحفلات والسهرات العائلية، بل اغتنمي لحظاته المباركة في الطاعة والعبادة والتقرب إلى الله بصالح الأعمال، اقرئي القرآن، وصلي النوافل، وقومي الليل بالتهجد والدعاء وخاصة في العشر الأواخر، فعن عائشة رضي الله عنها: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره"[٣٧].

واحرصي على أن يعيش أفراد أسرتك شهر رمضان كما عاشه الصحابة الأبرار، أنت نظام البيت، رتبي لهم حياتهم في لياليه المباركة بحيث لا يطيلون السهر بعد صلاة التراويح، لأنهم سيستيقظون بعد سويعات قليلة لقيام الليل، وتناول طعام السحور؛ كما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: "تسحروا، فإن في السحور بركة"[٣٨]، ثم يصلون الصبح حاضرا، حببي إليهم الطاعة، وجنبيهم اللهو واحصدي الأجر لك ولهم.

وسارعي أختاه إلى قضاء ما فاتك من صوم رمضان بسبب حيض أو نفاس أو سفر أو غيرها قبل أن يأتيك رمضان من عام قابل، ولا تنقطعي عن صوم النافلة في غير رمضان، إن لم يشق عليك ذلك، كصيام يوم عرفة ويوم عاشوراء، فعن أبى قتادة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صيام يوم عاشوراء، فقال:"يكفر السنة الماضية"[٣٩]. وعن ابن عباس رضي

---

(٣٤) متفق عليه. انظر شرح السنة ٢١٧/٦ كتاب الصيام: باب ثواب من صام رمضان.

(٣٥) متفق عليه. انظر رياض الصالحين ٥٧٠ كتاب الفضائل: باب في أمر الصائم بحفظ لسانه وجوارحه عن المخالفات.

(٣٦) فتح البارى ١١٦/٤ كتاب الصوم: باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم.

(٣٧) صحيح مسلم ٧٠/٨ كتاب الصوم: باب الاجتهاد في العشر الأواخر من رمضان.

(٣٨) متفق عليه. انظر شرح السنة ٢٥١/٦ كتاب الصيام: باب فضل السحور.

(٣٩) صحيح مسلم ٥١/٨ كتاب الصيام: باب استحباب صيام يوم عاشوراء.

الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لئن بقيت إلى قابـل[٤٠] لأصومن التاسع"[٤١]. وكذلك صوم ستة أيام من شوال. وفي بيـان فـضل صومها يقول الرسول الكريم: "من صام رمضان، ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر".[٤٢] ومن الأيام المستحب صيامها ثلاثة أيام من كل شهر وقد ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله صـلى الله عليه وسلم قال: "صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله".[٤٣]

ورابع الفرائض حج بيت الله الحرام: اعلمي أختاه أن الحج فريضة علـى من يستطيعه، وليس هناك من هو أدرى بك منك، فاجعلي نصب عينيـك أن تحجي بيت الله الحرام متى استطعت إلى ذلك سبيلاً، فإذا تيسرت لك أسباب السفر المشروعة إلى الحج، عكفت قبل السفر على دراسة أحكام الحج بتبـصر ووعى وتمثل، حتى إذا أقبلت على أداء مناسكه، بادرت إليها عن فهم ووعـى وحكمة، وكان حجك صحيحاً مستكملاً الشروط الشرعية، وقائمـاً مقـام الجهاد عند الرجال، كما أخبر بذلك الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله ألا نغزو ونجاهـد معكم؟ فقال: "لكن أحسن الجهاد وأجمله الحج، حجا مبروراً"، قالت عائشة: فلا أدع الحج بعد أن سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم.[٤٤] وقد أوجب الله عليك العمرة أيضاً عند تيسر الأسـباب، وخـصوصاً العمـرة في رمضان، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما رجع النبي صلى الله عليـه وسلم من حجته قال لأم سنان الأنصارية: "ما منعك من الحج؟ قالت: أبـو فلان - تعنى زوجها - كان له ناضحان،[٤٥] حج على أحدهما، والآخر يسقى أرضاً لنا. قال: "فإذا كان رمضان اعتمرى فيه، فإن عمرة في رمضان حجة". وفي رواية أخرى لابن عباس أيضاً:"فإن عمرة في رمـضان تقـضى حجـة معى".[٤٦]

---

(٤٠) أى عام قابل.
(٤١) صحيح مسلم ١٣/٨ كتاب الصيام: باب صوم يوم عاشوراء.
(٤٢) صحيح مسلم ٥٦/٨ كتاب الصيام: باب استحباب صيام ستة أيام من شوال.
(٤٣) متفق عليه. انظر شرح السنة ٣٦٢/٦ كتاب الصيام: باب صوم الدهر.
(٤٤) فتح البارى ٧٢/٤ كتاب جزاء الصيد: باب حج النساء.
(٤٥) أى جملان.
(٤٦) فتح البارى ٧٢/٤ كتاب جزاء الصيد: باب حج النساء.

المرأة المسلمة مع ربها مطيعة لأوامره: اعلمـي أختـاه أنـك مكلفـة بالتكاليف الشرعية التي أمر الله بها، شأنك في ذلك شأن الرجل، لا فـرق بينكما إلا فيما يخص أحدكما دون الآخر من تشريعات. أما فيما عدا ذلـك فأنت والرجل في المسؤولية أمام الله سواء، فقد قال الله جل وعلا: "مَن عمـلَ صالحاً من ذَكَرٍ أو أُنثى وهو مؤمن فَلَنحيينه حياةً طَيبةً ولَنجـزينهم أجـرهم بِأحسنِ ما كَانواْ يعملُونَ" (النحل:٩٧)، وعبارة: "يا أيها الناس" في القـرآن الكريم أو السنة المطهرة، تشمل الرجال والنساء، فجميعهم سواء في اتباع أمر الله، واجتناب نهيه، ولك في تاريخ أخواتك ذوات السبق من المسلمات مواقف ناصعة وضعن فيها حكم الله نصب أعينهن، لا يحدن عنه، ولا يـبغين عنـه حولاً.

تحري أختاه الدقة في المواقف التي لم يسبق لك علم بحكمها الـشرعي، ومن تلك المواقف ما رواه الإمام أحمد وأبو داود، وأورده ابن كثير في مستهل سورة المجادلة، عن خولة بنت ثعلبه وزوجها أوس بن الصامت. قالت خولـة: في والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة، كنـت عنـده، وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه، قالت: فدخل علي يوماً فراجعتـه بـشيء فغضب، فقال: أنت علي كظهر أمي، ثم خرج فجلس في نادي قومه سـاعة، ثم دخل علي، فإذا هو يريدني عن نفسي، قلت: كلا والذي نفس خويلة بيده، لا تخلص إلي وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمـه، قالـت: فواثبني فامتنعت بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف، فألقيته عـني، قالـت: ثم خرجت إلى بعض جاراتي، فاستعرت منها ثياباً، ثم خرجت حتى جئـت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجلست بين يديه، فذكرت له ما لقيت منه، وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه، قالت: فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:"يا خويلة ابن عمك شيخ كبير، فاتقى الله فيه"، وفي روايـة أنه صلى الله عليه وسلم قال لها: ما أري إلا أنك قد بنت منه، بمعنى طلقـت، قالت: فوالله ما برحت حتى نزل في قرآن، فتغشى رسول الله صلى الله عليـه وسلم ما كان يتغشاه، ثم سرى عنه، فقال لي: "يا خويلة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قراناً"، ثم قرأ على: "قَد سمِع الله قَولَ التي تجادلُـك في زوجِهـا وتشتكي إِلَى الله والله يسمع تحاوركُما إِن الله سميع بصير". إلى قوله تعالى: "ولِلْكَافرِين عذَاب أَليم" (المجادلة:١-٤)، قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"مريه فليعتق رقبة"، فقلت: يا رسول الله ما عنده ما يعتقه، قال:"فليصم

شهرين متتابعين"، فقلت: والله إنه لشيخ كبير، ما به من صيام، قال:"فلـيطعم ستين مسكينا وسقا[٤٧] من تمر"، فقلت: والله يا رسول الله ما ذاك عنده، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فإنا سنعينه بفرق[٤٨] من تمر"، قالت: فقلت: يا رسول الله وأنا سأعينه بفرق آخر، قال: "قد أصبت وأحـسنت، فـاذهبي فتصدقي به عنه، ثم استوصي بابن عمك خيراً". قالت: ففعلت.[٤٩]

أرأيت أختاه: لم تطق خولة بنت ثعلبة أن تعيش ساعة مع زوجها بعـد أن تفوه بما تفوه به من عبارات الظهار الذي كان يعد طلاقاً في الجاهلية، حـتى ترجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتعرف حكم الله فيها وفي زوجها، ولم يكن لديها ثوب لائق ترتديه للخروج والمثول بين يدي رسول الله صـلى الله عليه وسلم، فاستعارت ثياباً من بعض جارا ا، وانطلقت من فورهـا إلى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجادلته، ورفعت شكواها ومـسألتها إلى الله، راجية أن ي ل في شأ ا حكما لتمتثله، فأجا ا، وكان حرصها علـى تحري الحلال سببا في تلك المكانة العظيمة التي نالتها في نفوس الصحابة الذين عاصروها وعرفوا فضلها، وعلى رأسهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد التقت به يوماً وهو خارج من المسجد، وبصحبته الجارود العبدى، فسلم عليها عمر، وهو أمير المؤمنين، فقالت له: يا عمر، عهدتك وأنت تسمى عمـيراً في سوق عكاظ، ترعى الضأن بعصاك، فاتق الله في الرعية، واعلم أنه من خـاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشى الفوت. فقال الجارود: قـد أكثرت على أمير المؤمنين أيتها المرأة. فقال عمر: دعها، أما تعرف: هذه خولة التي سمع الله قولها من فوق سبع سماوات، وعمر أحق والله أن يسمع لها.

وضعي أختي الحكيمة طاعة الله ورسوله فوق هوى نفسك، وفوق متـع الحياة، وفوق آراء الناس، ولقد ضربت السيدة زينب بنـت جحـش أروع الأمثلة على امتثالها أمر الله ورسوله، يوم طلب منها رسول الله صلى الله عليه وسلم الموافقة على تزويجها من مولاه ومتبناه زيد بن حارثة، وهي ابنة عمتـه القرشية الحسناء ليبين أن الإسلام يلغي الفروق الطبقية بين الموالى والسادة، في بداية الأمر كرهت هذا الزواج، وقالت: يا رسول الله لا أتزوجه أبداً، وأنـا

---

(٤٧) الوسق: حمل النخلة.
(٤٨) الفرق من التمر: وعاء يزن قرابة ستين كيلاً.
(٤٩) انظر مختصر تفسير ابن كثير ٤٥٩/٣: سورة ا ادلة: ١-٤. ط. دار القرآن الكريم، بيروت.

سيدة أبناء عبد شمس، وأجا ا الرسول صلى الله عليه وسلم ـدوء وثقة وإصرار: بل فانكحيه. وبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسوله: "وما كَانَ لمؤمنٍ ولَا مؤمنة إِذَا قَضى الله ورسولُه أمراً أَن يكُونَ لَهم الْخيرةُ من أمرِهم ومن يعصِ الله ورسولَه فَقَد ضل ضلَالاً مبِيناً" (الأحزاب:٣٦)، هنالك رضيت زينب بأمر الله ورسوله، وقالت: إذن لا أعصي الله ورسوله، وقد أنكحته نفسي، ثم كان بينها وبين زيد الخلاف الذي أدى إلى فراقهما. ولما انقضت عد ا، نزل قوله تعالى: "وإِذْ تقُولُ للذي أَنعم الله علَيه وأَنعمت علَيه أَمسِك علَيك زوجك واتقِ الله وتخفي في نفْسِك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أَحق أَن تخشاه فَلَما قَضى زيد منها وطَراً زوجناكَها لكَي لَا يكُونَ علَى الْمؤمنِين حرج في أَزواجِ أَدعيائهم إِذَا قَضوا منهن وطَراً وكَانَ أَمر الله مفْعولاً" (الأحزاب:٣٧)، وقد تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية، وهو يبتسم، ويقول: "من يذهب إلى زينب يبشرها أن الله قد زوجنيها من السماء"، وكأن الله تبارك وتعالى كافأ زينب على طاعتها المطلقة النادرة لله ولرسوله، إذ رضيت بقضائه وتزوجت زيداً، فها هي ذي تزف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر من الله، في آيات من كتابه، يتعبد بتلاو ا المسلمون حتى قيام الساعة. وكانت أم المؤمنين زينب تعتز ذا الشرف الذي أسبغه الله عليها، وتفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، تقول: "زوجكن أهاليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات".(٥٠)

وتجنبي أيتها الأخت العفيفة الخلوة برجل أجنبي: فذلك من طاعتك لله ولرسوله؛ لأن خلوة المرأة برجل أجنبي حرام باتفاق العلماء، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم:"لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم". فقال رجل: يا رسول الله: إن امرأتي خرجت حاجة وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا، قال: "انطلق فحج مع امرأتك".(٥١)

ومحرم المرأة يا أختاه هو كل من حرم عليه الزواج منها على التأبيد، كالأب والأخ والعم والخال... الخ،

والأجنبي عنها: كل رجل يحل له الزواج منها أصلاً، ولو كان من الأقارب، ولا سيما أخو الزوج ونحوه من أقاربه، فهؤلاء جميعاً تحرم الخلوة م

---

(٥٠) انظر فتح البار ٤٠٣/١٣ كتاب التوحيد: باب وكان عرشه على الماء.
(٥١) متفق عليه: انظر شرح السنة ١٨/٧ كتاب الحج: باب المرأة لا تخرج إلا مع محرم.

لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إياكم والدخول على النساء"، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحمو؟ قال:"الحمو الموت".[٥٢]

والحمو: أخو الزوج وما أشبه من أقارب الزوج. وقول الرسول الكـريم: الحمو الموت معناه أن توقع الشر منه أكثر من غيره، لسهولة دخوله على بيت أخيه، ولذلك وصف بالموت تغليظاً وترهيباً وتخويفاً، وكأن الخلوة بالأحمـاء تؤدى إلى فساد وفتنة وزيغ وهلاك في الدين كهلاك الموت. والمرأة المـسلمة الواعية التقية لا تقع في مثل هذه المخالفة الشرعية التي يقع فيها كثير من الناس المتساهلين في هذه الأيام.

والتزمي بالحجاب الشرعي فهو سترك وشعارك وزيك الإسلامي المميـز الذي حددت معالمه النصوص القاطعة من كتاب الله وسنة رسوله، فلا تخرجي من بيتك، أو تظهري أمام الرجال غير المحارم متعطرة متبرجة بزينـة، لأنـك تعلمين أن ذلك حرام بنص القرآن القاطع: "وقُل للْمؤمنات يغضـضن مـن أبصارِهن ويحفَظْن فُروجهن ولَا يبدين زِينتهن إِلا ما ظَهر منهـا ولْيـضرِبن بِخمرِهن علَى جيوبِهِن ولَا يبدين زِينتهن إِلا لبعـولَتهن أَو آبـائهن أَو آبـاء بعولَتهن أَو أَبنائهن أَو أَبناء بعولَتهن أَو إِخوانِهِن أَو بنِـي إِخـوانِهِن أَو بنِـي أَخواتهِن أَو نِسائهِن أَو ما ملَكَت أَيمانهن أَوِ التابِعين غَيرِ أُولي الْإِربـة مـن الرجالِ أَوِ الطِّفْلِ[٥٣] الذين لَم يظْهروا علَى عورات النـساء ولَـا يـضرِبن بِأَرجلهِن ليعلَم ما يخفين من زِينتهِن وتوبوا إِلَى الله جميعاً أَيهـا الْمؤمنـونَ لَعلَّكُم تفْلحونَ" (النور: ٣١).

فالمرأة المسلمة الواعية إذن ليست من النساء الكاسيات العاريات اللاتي تغص بهن المجتمعات المعاصرة الشاردة عن هدى الله وطاعته، بـل إن المـرأة المسلمة لترتعد فرقاً[٥٤] من الصورة المخيفة التي رسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأولئك النسوة المتبرجات الغاويات الضالات المفسدات: "صنفان مـن أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونـساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلـة[٥٥]، لا

---

(٥٢) متفق عليه: انظر شرح السنة ٢٦/٩ كتاب النكاح: باب النهى عن أن يخلو الرجل بالمرأة الأجنبية.
(٥٣) أى الذين لا يشتهون النساء.
(٥٤) أى خوفاً.
(٥٥) أى ضخمة كأسنمة الإبل من الزينة المتصنعة.

يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكـذا".[٥٦]
والتزامك بالحجاب لايجب أن يكون مجرد عادة أو تقليد ورثتـه عـن أمـك وجدتك، بل ينبغي أن يكون إيماناً بالله وتصديقاً لكتابه، بنفس راضية، وقلب مطمئن، واقتناع راسخ، كما تقبلته نساء المهاجرين والأنصار، يوم أنزل الله فيه حكمه، فقد ورد في رواية عن صفية بنت شيبة، قالت: "بينا نحن عند عائـشة رضي الله عنها ذكرنا نساء قريش وفضلهن، فقالت عائشة رضي الله عنها: إن لنساء قريش لفضلاً، وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار، ولا أشـد تصديقاً لكتاب الله، ولا إيماناً بالتنزيل! لقد أنزلت سورة النـور: "وليـضربن بخمرهن على جيوبهن"، فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها، ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته، وعلى كل ذى قرابة، فما منـهن إمرأة إلا قامت إلى مرطها المرحل[٥٧]، فاعتجرت به[٥٨]، تصديقاً وإيمانـاً بمـا أنزل الله من كتاب، فأصبحن وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان".[٥٩]

واعلمي أختاه أن الحجاب الشرعى للمرأة لم يكن بـدعاً في شـريعة الإسلام، بل كان في شرائع الله جميعاً قبل الإسلام، ودليل ذلك ما نراه في لباس الراهبات المحتشم عند النصارى في بلادنا الإسلامية وفي سائر ديار الغرب، وفي تغطية المرأة الكتابية رأسها عند دخولها الكنيسة، "وما كانَ النـاس إلا أمـةً واحدةً فَاختلَفُواْ ولَولاَ كَلمةٌ سبقَت من ربـك لَقُـضي بيـنهم فيمـا فيـه يختلفُونَ"(يونس:١٩)

وإن إصرار كثير من التجمعات البشرية المعاصرة علـى تكـشف المـرأة وعريها وتبذلها دليل الانحراف والشرود والابتعاد عن هدى الله، لا في بـلاد المسلمين فحسب، بل في بلاد العالم قاطبة. "فَلْيحذَرِ الذين يخالفُونَ عن أمره أن تصيبهم فتنةٌ أو يصيبهم عذَاب أليم" (النور:٦٣)

ومن هنا باءت دعوا م إلى تكشف المرأة ونزع الحجاب بالإخفاق الذريع أمام صمود المؤمنين والمؤمنات من أبناء الصحوة الإسلامية المنتشرين في أنحـاء

---

(٥٦) صحيح مسلم ١٠٩/١٤ كتاب اللباس والزينة: باب النساء الكاسيات العاريات.
(٥٧) هو كساء من صوف نقشت فيه تصاوير الرحال.
(٥٨) أى تلففت به.
(٥٩) انظر فتح البارى شرح صحيح البخارى ٤٨٩/٨، ٤٩٠ كتاب التفسير: باب وليضربن بخمرهن على جيو ن.

العالم، وعادت المرأة المسلمة الواعية المثقفة إلى زيها الإسلامي المتميز، وحجا ا الشرعي المصون، وحشمتها الرصينة المحببة، وليس عجيبـا أن تقـف سـيدة كالدكتورة نوال السعداوي، لتنتقد تبذل المرأة في الغرب وعريها الفاضح وهي التي دأبت على مهاجمة الحجاب والمتحجبات زمناً طويلاً، ودعت إلى نزعـه بشراسة وإصرار، فتقول: "إنني في شوارع لندن.. أرى نساء شبه عاريـات، وهؤلاء يعرضن أجسادهن كالبضاعة، الملابس لها وظيفة، وهى وقاية الجـسم من العوامل الطبيعية، ولا ينبغى أن تقدم رسائل إغراء، لو نظرت المرأة لنفسها كإنسانة، وليس كبضاعة، لما احتاجت أن تتعـرى.[٦٠] لقـد تـبين لنـوال السعداوى بعد حين أن رفع الحجاب ينبغى أن يكون عن العقل، وخـصوصاً عند المثقفين والمثقفات؛ فكم من نساء محجبات متوسطات التعليم يملكن عقولاً نيرة متفتحة، تزن عشرات من عقول بعض المتعلمات الرقيعات[٦١] المتبرجات، كاشفات الرؤوس والأجساد، محجبات العقول والفطر والأفهام، ولذلك فهى تقول أن خطتها القريبة: رفع الحجاب عن العقل عند المثقفين والمثقفات[٦٢]"، وتقول أيضاً:"أنا أعرف أستاذات وطبيبات ومهندسات يعانين من أمية سياسية واجتماعية وثقافية".[٦٣]

وتجنبي **أختي المسلمة مصافحة الرجال والاختلاط** م ما اسـتطعت إلى ذلك سبيلا، فلا تسعي إليه، ولا تشجعي عليه، متأسية بذلك بفاطمـة بنـت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمهات المؤمنين، ونـساء الـصالحين مـن الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسار على طريقهم الهادي المـستقيم، والشواهد على مضار الاختلاط في العالم أكثر من أن تحصى، وكلـها تقـدم الدليل الناصع على حكمة الإسلام في الحد من الاختلاط، وتجنيب ا تمعـات الإسلامية مضاره الوخيمة القاتلة، المبددة للطاقات، المزلزلة للقلوب والمـشاعر والضمائر. وبدهي أن المرأة المسلمة التي ليس من شأ ا الاختلاط بالرجال، لن تصافح منهم من كان من غير محارمها، متأسية في ذلك بما رواه البخاري عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، قالت:كانت المؤمنات إذا هاجرن إلى الـنبي صلى الله عليه وسلم يمتحنهن بقول الله عز وجل: "يا أيها الـذين آمنـوا إذا

(٦٠) مجلة ا تمع الكويتية: العدد ٩٣٢.
(٦١) أى الحمقاوات.
(٦٢) مجلة ا تمع: العدد ٩٣١.
(٦٣) المصدر السابق.

جاءكُم الْمؤمنات مهاجِرات فَامتحنوهن" إلى أخر الآية. قالت عائشة: فمـن أقر ـذا الشرط من المؤمنات فقد أقر بالمنحة[٦٤].

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقررن بذلك قال لهن:"انطلقـن فقد بايعتكن"، لا والله ما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امـرأة قط، غير أنه يايعهن بالكلام. والله ما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم علي النساء إلا بما أمره الله، يقول لهن إذا أخذ عليهن:"قد بايعتكن كلاما"[٦٥].

ولا تسافري إلا ومعك رجل محرم؛ ذلك أن السفر لا يخلو من المشقة، بل قد يكون محفوفا بالمخاطر والمكاره والصعاب، وليس من الخير والـصواب أن تواجه المرأة شيئا من هذا وحدها، وليس معها رجل من محارمها، يحمل عنـها الأعباء، ويدرأ عنها الأخطار. ومن هنا جاء هدي النبوة بنهيها عـن الـسفر وحدها من غير محرم، متعددا متنوعا متتاليا: ففي صحيح البخاري: "لا تسافر المرأة ثلاثة أيام إلا مع ذي محرم"[٦٦]. وفي صحيح مسلم:"لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة ثلاث ليال إلا و معها ذو محرم"[٦٧].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وكلها تؤكد شرط المحرم لسفر المرأة، إلا في حالات الضرورة القصوى التي بينها العلماء وتعددت فيها آراؤهم[٦٨].

ومن الطاعة أن تشعري أختاه بالمسؤولية عن أفراد أسرتك: فلا تقـل مسؤوليتك عنهم أمام الله عز وجل عن مسؤولية الرجل، بـل قـد تكـون مسؤوليتك كأم مثلا أكبر من الأب، لما تعلمين من خفايا حياة الأولاد الذين يعيشون معك وقتا أطول، وقد يطلعونك على ما لا يطلعون عليه الأب والمرأة المسلمة الواعية تشعر ـذه المسؤولية كلما ترامى إلى سمعها قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "كلكم راع، وكلكم مـسؤول عـن رعيتـه: الإمـام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن راعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، فكلكم راع ومسؤول عن رعيته"[٦٩]. وشعورك بالمـسؤولية يـدفعك

---

(٦٤) أي فقد بايع البيعة الشرعية.
(٦٥) فتح الباري ٤٢٠/٩ كتاب الطلاق:باب إذا أسلمت المشركة أو النصرانية تحت الذمي أو الحربي.
(٦٦) فتح الباري ٥٦٦/٢ كتاب تقصير الصلاة:باب في كم يقصر الصلاة.
(٦٧) صحيح مسلم ١٠٣/٩ كتاب الحج: باب سفر المرأة مع محرم.
(٦٨) انظر شرح صحيح مسلم ١٠٢/٩-١٠٩ كتاب الحج: باب سفر المرأة مع محرم.
(٦٩) متفق عليه. انظر شرح السنة ٦١/١٠ كتاب الإمارة والقضاء: باب الراعي مسؤول عن رعيته.

دوما إلى تقويم الانحراف، إن لمسته في أحد منهم. ولـيس مـن الإحـساس بالمسؤولية أن تسكتي عن أي انحراف أو ضعف أو اون أو تقصير تجديـه في بيتك وأسرتك، وإلا إن كان ذلك دليلا على ضعف في دينـك وقـصور في طاعتك. هكذا تكون المرأة المسلمة بحق مطيعة ر ا، ممتثلة أمره، مجتنبة يـه، راضية بحكمه، ملتزمة بتعاليم دينها وشعائره وآدابه، تصبر على تكاليف الطاعة لله عز وجل، ولو خالفت في كثير منها المفاهيم الاجتماعية السائدة، وكلـها ثقة ويقين أ ا الناجية الفائزة، كما أكد القرآن الكريم: "والْعصرِ * إن الْإنسانَ لَفي خسرٍ * إلا الذين آمنوا وعملُوا الصالحات وتواصوا بِـالْحق وتواصـوا بِالصبرِ" (العصر:١-٣)

المرأة المسلمة مع ر ا تعمل علي نصرة دينه: اعلمي أختـاه أن أجـل الأعمال التعبدية التي تقوم ا المرأة المسلمة، هو نصرة دين الله، والعمل علـى تطبيق منهجه في حياة الفرد والأسرة وا تمع والدولة. وأن إعلاء كلمة الله في الأرض، وتحقيق معنى: "لا إله إلا الله محمد رسول الله" في واقع الحيـاة لـيس مهمة الرجال وحدهم، وأن أخواتك الفضليات من المسلمات عبر الحقب قـد أدركن هذا المعنى إدراكا عميقا، حتى تفوق بعضهن على كثير من الرجال في ميدان نصرة الدين. فأسماء بنت عميس، زوجة جعفر بن أبي طالب، سارعت إلى الإسلام مع زوجها، في أيام الإسلام الأولى، أيام الشدة والكرب والـضيق والابتلاء، وهاجرت معه إلى الحبشة، على ما كان يكتنف تلك الهجـرة مـن صعوبات ومشاق ومخاطر، محتسبة ذلك كله في سبيل الله ونصرة دينه. ولما قال لها عمر بن الخطاب رضي الله عنه مفاكها [٧٠]: يا حبشية، سبقناكم بالهجرة، فقالت: لعمري، لقد صدقت: كنتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يطعم جائعكم، ويعلم جاهلكم، وكنا البعداء الطرداء، أما والله لآتـين رسـول الله صلى الله عليه وسلم فلأذكرن ذلك له. فأتت النبي صلى الله عليـه وسـلم، فقالت: يا رسول الله إن رجالا يغمزون علينا، ويزعمون أنا لسنا من المهاجرين الأولين. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل لكـم هجرتـان إلى أرض الحبشة، ونحن مرهنون بمكة، ثم هاجرتم بعد ذلك إلي [٧١].

(٧٠) أي ممازحا.

(٧١) طبقات ابن سعد ٢٨٠/٨ط. بيروت.

وحين تآمرت قريش على قتل الرسول بمكة، لم يستشف خبر هذا التـآمر إلا امرأة مسلمة نافت على المئة، فتحاملت على نفـسها، وجاءتـه فحدثتـه حديث القوم، فبادر إلى الهجرة لساعته، ولما غادر رسول الله صلى الله عليـه وسلم وصاحبه مكة، وتواريا عن الأنظار في الغار عند قمة جبل ثور، كانـت التي تحمل إليهما الطعام والماء وأخبار القوم المترصدين صبية ناشئة، هي أسمـاء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما. وكانت هذه الفتاة المسلمة الفذة تقطع المسافة الطويلة بين مكة وجبل ثور في جوف الليل، لم يثنها عن مهمتها وحشة الطريق، ووعورة المسلك، وترصد الأعداء، لأ ا كانت تعلم أن في اسـتنقاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه، وإنجاح مقصدهما ووصولهما إلى دار الهجرة، نصرة لدين الله، وإعلاءً لكلمته، وإظهارا للحق وجنده. ويوم أحـاط ا رجال من المشركين، يسألو ا عن أبيها، أنكرت أمره، فأمعنوا في الـشدة عليها، حتى إن أبا جهل لطمها لطمة أطارت قرطها من أذ ا، فلم يوهن ذلك من عزيمتها على الاحتفاظ بسرها المكنون. ولما دنت ساعة الرحيـل ـضت لتربط سفرة الزاد[٧٢]، فلم تجد شيئاً تربط به سوى نطاقهـا، شـقته بـاثنين فربطت بواحد السقاء، وبالآخر السفرة، ولذلك سميت بذات النطاقين[٧٣].

والصحابية الجليلة أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط التي هاجرت من مكة وحيدة فرارا بدينها في مدة صلح الحديبية، وهى المدة التي كان العهد فيها بين الرسول صلى الله عليه وسلم والمشركين أن من جاء منهم مسلماً إلى الرسول رده إليهم. وقد أوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعهده ورد رجلين إليهم. فلما وصلت أم كلثوم إلى المدينة قالت للرسول صلى الله عليـه وسـلم: إني فررت إليك بديني، فامنعني، ولا تردني لهم، يفتنوني ويعذبوني، ولا صـبر لي على العذاب، إنما أنا امرأة، وضعف النساء إلى ما تعرف، وقد رأيتـك رددت رجلين، فقال:"إن الله عز وجل قد نقض العهد في النساء"[٧٤].

وعلم الله صدق إيمان أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معـيط وغيرهـا مـن المهاجرات اللواتي لم يخرجن إلا حباً لله ولرسوله فأنزل في شأ ن: (يـا أيهـا الذين آمنوا إِذَا جاءكُم الْمؤمنات مهاجِرات فَامتحنوهن الله أَعلَم بِإِيمانِهن فَإِنْ

---

(٧٢) أى ما يحمل فيه الزاد.

(٧٣) انظر فتح البارى شرح صحيح البخارى ٢٣٣،٢٤٠/٧ كتاب مناقب الأنصار: باب هجرة النبى وأصحابه إلى المدينة، و ١٢٩/٦ كتاب الجهاد: باب حمل الزاد في الغزو.

(٧٤) أحكام النساء لابن الجوزى: ٤٣٩.

علمتموهن مؤمنات فَلَا ترجِعوهن إِلَى الْكُفارِ لَا هن حل لهم ولَا هم يحلـونَ لَهن...) (الممتحنة:١٠)، ومن السابقات إلى الإسلام والمضحيات المستهينات بما أصا ن في سبيله من عذاب وتنكيل وآلام: سمية بنت خباط، أم عمار بن ياسر. التي اعتصمت بالصبر، وأبت أن ترضي المشركين بكلمة كفر واحـدة، فما كان من أبي جهل إلا أن طعنها بحربة فاضت ا روحها، وسجلها التاريخ بمداد من نور أول شهيد في الإسلام.

وفي جهاد أم شريك القرشية العامرية من أجل دينها قال ابن عباس: وقع في قلب أم شريك الإسلام، وهى بمكة، فأسلمت، ثم جعلت تدخل على نساء قريش سراً، فتدعوهن وترغبهن في الإسلام، حتى ظهر أمرها لأهـل مكـة، فأخذوها وقالوا لها: لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا، ولكنا سنردك إليهم. قالت: فحملوني على بعير ليس تحتي شيء موطأ ولا غـيره، ثم تركـوني ثلاثـاً، لا يطعموني ولا يسقوني. قالت: فما أتت علي ثلاث حتى ما في الأرض شـيء أسمعه. وكانوا إذا نزلوا أوثقوني في الشمس، واستظلوا، وحبسوا عنى الطعـام والشراب حتى يرتحلوا... إلخ. ولقد وردت أحاديـث كـثيرة في صـحيحي البخاري ومسلم، تتجلى فيها الصورة المشرقة للمرأة المسلمة ومنها مـا رواه الإمام مسلم عن أم عطيه الأنصارية، قالت:"غزوت مع رسول الله صـلى الله عليه وسلم سبع غزوات، أخلفهم في رحالهم، فأصنع لهـم الطعـام، وأداوى الجرحى، وأقوم على المرضي" (٧٥).

وعن أنس بن مالك، قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو بأم سليم، ونسوة من الأنصار معه إذا غزا، فيسقين الماء، ويداوين الجرحـى" (٧٦). ويروى الإمام البخاري عن الربيع بنت معوذ قولها: "كنا مع النبي صـلى الله عليه وسلم نسقى ونداوى الجرحى، ونرد القتلى إلى المدينة" (٧٧). وروى عن ثعلبة بن أبى مالك: "أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قسم مروطاً بين نساء المدينة، فبقى مرط جيد، قال له بعض من عنده: يا أمير المؤمنين، أعط هذا ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي عندك – يريدون أم كلثوم بنت علـى(٧٨)

---

(٧٥) انظر صحيح مسلم ١٩٤/١٢ كتاب الجهاد والسير: باب النساء الغازيات.
(٧٦) انظر صحيح مسلم ١٨٨/١٢ كتاب الجهاد والسير: باب غزوة النساء.
(٧٧) إنظر فتح البارى ٨٠/٦ كتاب الجهاد: باب مداوإاة النساء الجرحى في الغزو.
(٧٨) أى حفيدة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهى أصغر بنات فاطمة عليها السلام، ولهذا قالوا لها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

– فقال عمر: أم سليط أحق، وأم سليط من نساء الأنصار ممن بايع الرسـول صلى الله عليه وسلم. قال عمر: فإ ا كانت تزفر لنا القرب[٧٩] يوم أحد"[٨٠].

ومن النساء اللواتي ثبتن وقت الشدة في غزوة أحد: صـفية بنـت عبـد المطلب، عمة النبي صلى الله عليه وسلم، إذ قامت وفي يدها رمح تـضرب في وجوه الناس وتقول: ا زمتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم! فلما رآهـا الرسول صلى الله عليه وسلم أشار إلى ولدها الزبير بن العوام أن يرجعها كيلا ترى ما حل بشقيقها حمزة رضي الله عنه من تمثيل، فقالت: ولم؟ فقد بلغني أنه مثل بأخي، وذلك في الله سبحانه وتعالى قليل، فما أرضانا بما كان من ذلك، لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله. وشهدت السيدة صفية غزوة الخندق، وكـان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج لقتال عدوه من المدينة رفع أزواجـه ونساءه في حصن حسان بن ثابت، وكان من أحصن الآكام في المدينة. فمـر رجل يهودي، فجعل يطيف بالحصن، فقالت: يا حسان، إن هـذا اليهـودي يطيف بالحصن، وإني والله ما آمنه أن يدل علينا من وراءنا من يهـود، وقـد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فانزل إليه فاقتله، فقـال: يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا. فلمـا سمعت صفية كلامه قامت فأخذت عموداً ثم نزلت من الحـصن، فـضربت اليهودي بالعمود فقتلته، ثم رجعت إلى الحصن، وقالت: يا حسان، انزل إليـه فاسلبه، فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل، فقال لها: ما لي بسلبه من حاجة.

ومن أبرز النساء ا اهدات يوم أحد، بل أبرزهن طراً: نسيبة بيت كعب المازنية، أم عمارة رضي الله عنها، فقد كانت في أول المعركة تسقى الظمـاء، وتداوى الجرحى كما يصنع غيرها من النساء، إذ كانت كفة المسلمين هـي الراجحة. ولما وقعت مخالفة الرماة عن أمر الرسول الكريم التي بدلت نـصرهم هزيمة، تقدمت نسيبة، فاستلت سيفها، واحتملت قوسها، وانضمت إلى القلة الصامدة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانوا بمثابة جدار بشرى يحمى الرسول صلى الله عليه وسلم من سهام المشركين. وكلما دنا الخطر من رسول الله صلى الله عليه وسلم سارعت إلى الذود عنه، حتى إ ا لفتت نظر رسول الله

---

(٧٩) أى تخيطها.

(٨٠) فتح البارى ٧٩/٦ كتاب الجهاد: باب حمل النساء القرب إلى الناس في الغزو، و ٣٦٦/٧ كتاب المغازى: باب ذكر أم سليط.

صلى الله عليه وسلم، فقال: "ما التفت يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني". ومما حدث به ابنها عمارة في هذا الموقف العصيب قوله: جرحت يومئذ جرحاً في عضدي اليسرى. ضربني رجل كأنه الرقل[٨١]، ومضى عني، ولم يعرج علي، وجعل الدم لا يرقأ. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اعصب جرحك. فأقبلت أمي إلي، ومعها عصائب في حقويها[٨٢]، قد أعدتها للجراح، فربطت جرحي، والنبي واقف ينظر إلي، ثم قالت: انهض بني، فضارب القوم. فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة؟ قالت: وأقبل الرجل الذي ضرب ابني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا ضارب ابنك. قالت: فاعترضت له، فضربت ساقه، فبرك، قالت: فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبتسم حتى رأيت نواجذه. وقال استقدت يا أم عمارة. ثم أقبلنا نعله بالسلاح[٨٣] حتى أتينا على نفسه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: الحمد لله الذي أظفرك وأقر عينك من عدوك، وأراك ثأرك بعينك. في هذا اليوم العصيب أثخن جسد نسيبة بالجراح، وهي تجالد القوم وتضرب في نحورهم. ويراها رسول الله صلى الله عليه وسلم فينادي ابنها: أمك أمك، اعصب جرحها، بارك الله عليكم من أهل بيت. مقام أمك خير من مقام فلان وفلان. فما سمعت أمه قول الرسول صلى الله عليه وسلم قالت: ادع الله أن نرافقك في الجنة، فقال: اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة، فقالت: ما أبالي ما أصابني في الدنيا[٨٤].

وفي صحيح مسلم: "أن أم سليم اتخذت يوم حنين خنجراً، فكان معها، فرآها أبو طلحة، فقال: يا رسول الله، هذه أم سليم معها خنجر، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما هذا الخنجر؟ قالت: اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك. قالت: يا رسول الله، اقتل من بعدنا من الطلقاء[٨٥]، انهزموا عنك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أم سليم، إن الله قد كفى وأحسن"[٨٦]. لقد ثبتت

---

(٨١) أي النخل العالي.
(٨٢) الحقو: الخصر والإزار.
(٨٣) أي نتابع ضربه.
(٨٤) انظر أخبار غزوة أحد في سيرة ابن هشام وإنسان العيون والآثار المحمدية وطبقات ابن سعد، والإصابة، وأسد الغابة.
(٨٥) أي من أسلموا يوم فتح مكة.
(٨٦) صحيح مسلم ١٨٧،١٨٨/١٢ كتاب الجهاد والسير: باب غزوة النساء مع الرجال.

أم سليم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الشدة والكرب والضيق، وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "رأيتنى دخلت الجنة، فإذا أنا بالرميصاء[٨٧] بنت ملحان، امرأة أبي طلحة"[٨٨].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزور أم سليم، ويزور أختها أم حرام بنت ملحان. وكما بشر أم سليم بالجنة، بشر أختها أم حرام بركوب ثبج البحر مع المجاهدين في سبيل الله غازية مجاهدة. فقد روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:"دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنة ملحان، فاتكأ عندها، ثم ضحك، فقالت: لم تضحك يا رسول الله؟ فقال: ناس من أمتى يركبون البحر الأخضر في سبيل الله، مثلهم مثل الملوك على الأسرة. فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: "اللهم اجعلها منهم". ثم عاد فضحك، فقالت له: مثل ذلك، فقال لها مثل ذلك، فقالت: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: "أنت من الأولين ولست من الآخرين".

وتحققت بشرى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يقول أنس رضي الله عنه: "فقد تزوجت عبادة بن الصامت، وسارت معه مجاهدة، فركبت البحر مع بنت قرظة[٨٩]. فلما قفلت ركبت دابتها، فوقصت بها، فسقطت عنها فماتت"[٩٠]. وبقى قبرها في قبرص إلى اليوم منارة تحكى قصة المرأة المسلمة المجاهدة في سبيل الله، ويقف الناس عنده يقولون: هذا قبر المرأة الصالحة رحمها الله[٩١].

ومنهن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية؛ فقد شاركت الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق، وخرجت معه إلى الحديبية وشهدت بيعة الرضوان، وشاركت في غزوة خيبر، وظلت تقدم جهدها المشكور للإسلام وقضاياه حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنها راض. ولم تتوقف بعد وفاته عن نصرة الإسلام، بل خرجت في السنة الثالثة عشرة من الهجرة إلى بلاد الشام، وشهدت معركة اليرموك، تسقى العطاش، وتضمد

---

(٨٧) الرميصاء بالتصغير: صفة لأم سليم، لرمص كان بعينها.
(٨٨) متفق عليه. انظر شرح السنة ٨٦/١٤ كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل عمر بن الخطاب.
(٨٩) هى زوج معاوية.
(٩٠) فتح البارى ٧٦/٦ كتاب الجهاد: باب غزو المرأة في البحر.
(٩١) الحلية ٦٢/٢، وصفة الصفوة ٧٠/٢.

الجرحى، وتشجع المجاهدين على الإقدام والصمود. ومعركة اليرموك من أشهر المعارك الإسلامية التي شاركت فيها المرأة المسلمة مشاركة فعلية مع المجاهدين، فقد زلزل فيها المجاهدون زلزالاً شديداً، وتراجع بعضهم، فكانت النساء المجاهدات يقاتلن من ورائهم، ويقبلن على المنهزمين بالخشب والحجارة محرضات إياهم على الإقدام والصمود.

وقد نوه ابن كثير بشجاعة النساء المسلمات ودورهن المشرف في هذه المعركة، فقال: "وقد قاتل نساء المسلمين في هذا اليوم، وقتلوا خلقاً كثيراً من الروم، وكن يضربن من انهزم من المسلمين، ويقلن: أين تذهبون وتدعوننا للعلوج؟ فإذا زجرهم لا يملك أحد نفسه حتى يرجع إلى القتال"(92).

وقد كان لموقف المسلمات الحسن وتثبيتهم المجاهدين أكبر الأثر في صمودهم وثباتهم حتى كتب الله لهم النصر على الروم. وفي هذا اليوم العصيب أبلت البطلة أسماء بنت يزيد بلاءً حسناً، وأظهرت من ضروب الشجاعة والبسالة والإقدام ما لم يبده كثير من الأبطال؛ فقد انغمرت في صفوف القتال، وأردت عدداً من رجال الشرك. وقد نوه بشجاعتها ابن حجر بقوله: "أم سلمة الأنصارية هى أسماء بنت يزيد بن السكن، شهدت اليرموك، وقتلت يومئذ تسعة من الروم بعمود فسطاطها، وعاشت بعد ذلك دهراً"(93).

ولما وافاها الأجل عطرت ثرى دمشق بجثمانها الطاهر الذي ثوى في مقبرة الباب الصغير. هذه يا أختاه صفحات مشرقات من تاريخ المرأة المسلمة، سطرها فتيات وسيدات فضليات بصدق إيمانهن، وعميق وعيهن، وواسع إدراكهن لرسالة المرأة المسلمة في الحياة، فاتخذيهن قدوة لك، ونبراساً تستضيئين به، ومثالاً حياً ناطقاً، تحرصين على التأسي به في تكوين شخصيتك وفهمك لدورك في نصرة دينك كمسلمة معاصرة.

المرأة المسلمة معتزة بشخصيتها الإسلامية ودينها الحق: لو سألت نفسك أختاه: ما الذي يدعوني للاعتزاز بديني وبشخصيتي المصبوغة بتعاليم هذا الدين، لاستطعت أن تضعي يدك على حقائق لا مراء فيها:

---

(92) البداية والنهاية ١٣/٧، وانظر تاريخ الطبرى ٣٣٥/٢ وما بعدها دار الكتب العلمية.
(93) الإصابة ٢٢٩/٤، وانظر مجمع الزوائد للهيثمى حيث أورد هذا الخبر وقال: رواه الطبرانى ورجاله ثقات. وانظر سير أعلام النبلاء ٢٩٧/٢.

الحقيقة الأولى: أن الإسلام أعلن حقوق المرأة منذ نحو خمسة عشر قرناً من الزمان بالمساواة مع الرجل، حين نزل قوله تعالى: (فَاستجاب لَهم ربهم أني لاَ أُضيع عملَ عاملٍ منكُم من ذَكَرٍ أو أُنثَى بعضكُم من بعضٍ) (آل عمران:١٩٧) فكانت إعلانا لحقوق المرأة كاملة، ولأول مرة في التاريخ الإنساني تتمتع المرأة المسلمة بحقوق الإنسان، قبل أن تعرف الدنيا منظمات ومواثيق حقوق الإنسان بقرون طويلة. لقد أعلن الإسلام في ذلك الوقت المبكر أن النساء شقائق الرجال، في وقت كانت فيه العديد من الأوساط الاجتماعية في العالم تشك في إنسانية المرأة وتتساءل عن طبيعة روحها، هل تتمتع بروح كروح الرجل، أم أن روحها كروح الحيوانات مثل الثعابين والكلاب.. بل إن أحد هذه الاجتماعات في روما قرر: أنه لا روح لها على الإطلاق، وأنها لن تبعث في الحياة الأخرى في حين بايع رسول صلى الله عليه وسلم النساء على الإسلام والسمع والطاعة، كما بايع الرجال. وكانت بيعتهن مستقلة عن رجالهن، وليست تبعاً لهم، وفي ذلك كله تأكيد على استقلال شخصية المرأة المسلمة، وأهليتها لتحمل المسؤولية في البيعة والعهد وإعطاء الولاء لله ولرسوله.

وكان هذا كله قبل قرون من اعتراف العالم الحديث للمرأة بحقها في التعبير عن رأيها المستقل عن طريق الاستفتاء والانتخاب. هذا إلى جانب مجموعة كبيرة من الحقوق، كاستقلالها بمالها وملكيتها، وإعفائها من النفقة ولو كانت غنية، ومساواتها بالرجل في الكرامة الإنسانية والتربية والتهذيب والتكاليف الشرعية عامة. ولو رحنا نستعرض الحقوق التي أعطاها الإسلام للمرأة، والتكريم الذي أحاطها به لضاق بنا المجال. ويكفي أن تعلمي أختاه أن الثورة الفرنسية حين أعلنت في أواخر القرن الثامن عشر وثيقة حقوق الإنسان أعلنتها بعنوان "حقوق الرجل"، فقد جاء في المادة الأولى من هذه الوثيقة:"يولد الرجل حراً، ولا يجوز استعباده". ثم جرت محاولات لإضافة كلمة "والمرأة"، غير أن هذه المحاولات رفضت، وظلت المادة الأولى من إعلان الثورة للحرية قاصرة على قولها: "يولد الرجل حراً ولا يجوز استعباده". ويأتي بعد قرن العالم الفرنسي الكبير (غوستاف لوبون) في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين فيعلن في كتابه (روح الاجتماع): أن المرأة لم تكن قط مساوية للرجل إلا في عهد الانحطاط، وذلك في رده على من يطالب بمساواة المرأة بالرجل في إعطائها حق الانتخاب أسوة بالرجال.

وظل الأمر كذلك حتى جاء عهد (عصبة الأمم) بعد الحرب العالمية الأولى، ثم عهد (منظمة الأمم المتحدة) بعد الحرب العالمية الثانية، ولم ينجح العاملون لحقوق المرأة في النص على مساواتها بالرجل إلا بعد لأي[٩٤]؛ لأنهم كانوا يصطدمون بأعراف وتقاليد ذات صفة دينية تقف عقبة في وجوههم، ولم يكن لديهم نصوص قانونية محلية أو دولية تنصف المرأة، ليتخذوها وسيلة شرعية للتغلب على تلك العقبات في الوصول إلى تحرير المرأة من رواسب ماضيها الكثيفة الثقيلة. في حين جاءت النصوص الإسلامية قاطعة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم منذ خمسة عشر قرناً تسوى بين الرجل والمرأة في الثواب والعقاب، والمسؤولية والجزاء، والعبادة والكرامة الإنسانية والحقوق الإنسانية جميعاً.

أما وضع المرأة في الشرائع القديمة، فقد أجمله الزعيم الهندى (جواهر لال نهرو) في كتابه (اكتشاف الهند)، حيث قال: "أما وضع المرأة القانونى وفقاً لما يقوله (مانو)، فقد كان سيئاً من غير ريب، وكن يعتمدن دائماً على الأب والزوج أو الابن"، إذ من المعلوم أن الميراث لديهم كان يذهب كله من موتى الذكور إلى أحيائهم دون الإناث، أما المرأة في جزيرة العرب قديما، فقد كانت عاراً في بعض القبائل يحرص كثيرون من أوليائها على ألا يلحقهم، وذلك بوأدها ساعة ولادتها.

وقد نددت دعوة الإسلام بهذا الوضع الأليم المهين للمرأة في غير موضع من كتاب الله، فقال تعالى واصفاً حطة هذا الشعور ومعرته (وَإِذَا بشر أَحدهم بِالأُنثَى ظَلَّ وجهه مسوَدّاً وهو كَظيم * يتوارى من الْقَوْمِ من سوءِ ما بشر بِهِ أَيمسِكُه علَى هون أَم يدسه في الترابِ أَلاَ ساء ما يحكُمونَ) (النحل:٥٨-٥٩)، وقال تعالى مصوراً فظاعة جريمة دفنها حية بريئة طاهرة،لم تقترف ذنباً:"وإِذَا الْموؤودةُ سئلَت * بِأَي ذَنبٍ قُتلَت" (التكوير:٨-٩)

الحقيقة الثانية: أن الإسلام كما ساوى بينك وبين الرجل في **التمتع بالحقوق ساوى بينكما أيضاً** في **القيام بالواجبات،** إذ عهد إليكما معاً بالخلافة في الأرض وعمارتها، وعبادة الله فيها، وجعل لكل منكما دوره المتميز في إقامة المجتمع الإنساني الفاضل الراشد النظيف، وإنهما لدوران ملزمان ومتكاملان لا

(٩٤) أى بعد جهد ومشقة.

متنابذان، فعلى كل منكما أن يقوم بما هو مؤهل له أكثر من الآخر في بنـاء الإنسان والأسرة وا تمع، تحقيقاً للتكافل والتآزر والتعاون بين الجنسين، مـن غير حجر على أحد فيما يريد من عمل مشروع خلق له، إن ما يحكم الرجل والمرأة على السواء هو مقتضيات المصلحة العامة للإنسان، القائمة على أ مـا مجزيان بدقة عن أعمالهما في هذه الحياة، كما في قوله تعالى: (من عملَ صالحاً من ذَكَرٍ أو أُنثَى وهو مؤمن فَلَنحيينه حياةً طَيبةً ولَنجزينهم أجرهم بِأَحسنِ ما كَانواْ يعملُونَ) (النحل:٩٧)، وعلى أن كلاً من الرجل والمرأة راع ومـسؤول عن رعيته، كما جاء في الهدي النبوى العظيم.

الحقيقة الثالثة: أن الإسلام جعل مقام الأمومة فوق مقام الأبوة، مما يفعم نفس المرأة المسلمة سعادة ورضا وطمأنينة واعتزازاً، و يزيـد مـن قـدرها ومكانتها، فقد جاء رجل إلى النبي صلي الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ فقال له:"أمك" قال: ثم من؟ قال:"أمك". قال: ثم من؟ قال:"أمك". قال: ثم من؟ قال: "أبوك" [٩٥]. ذلك أن المـرأة اختـصت بحكم خلقتها وتكوينها بحمل الجنين، ثم بإرضاعه وحضانته، وأنه لجهد شـاق وعمل عظيم، وكان على الرجل أن يحمل عبء القوامة على الأسرة، وينهض بواجب الكسب والإنفاق، وهو مع ذلك لم يدرك مقام الأمومة في الإسلام.

الحقيقة الرابعة: أن الإسلام رفع من قدر المرأة بعد اقترا ـا بـالزوج باحتفاظها باسم عائلتها بعد الزواج؛ فالمرأة المسلمة لا يلغى اسـم عائلتـها ونسبها بعد الزواج، كما هو الحال في ا تمعات الغربية، فعلـى كثـرة مـا أوصاها الإسلام به من بر لزوجها وطاعة وإكرام وتقدير وحسن تبعل، لم يرد لها الذوبان الكامل في شخصية الرجل، وأنت أيتها الأخت المـسلمة الواعيـة المعاصرة حين تدركين ما لك من مكانة وحقوق في هذا الدين، لا بد أن تمتلئ نفسك إعجاباً به، ويقينا بأنه المنهج الرباني الكامل الشامل لكل ما فيـه مـن سعادة الإنسان، ذكراً كان أم أنثى. إن ما حققه الإسلام في إصـلاح وضـع المرأة منذ خمسة عشر قرناً دفعة واحدة، لم يستطع أحد في التاريخ أن يحققـه حتى عصرنا الحالي، ويبقى أختاه ألا تسلمي قياد عقلك لمن يريد أن يـصرفك عن حقيقة هذا الدين ليسلبك حقا كرمك الله به، أو يـ ع عنك مكانة أعزك الله ا.

---

(٩٥) متفق عليه. انظر شرح السنة ٤/١٣ كتاب الاستئذان: باب بر الوالدين.

الحقيقة الخامسة: أن الإسلام جعل ولاء المرأة لله وليس لأحد غير الله، ولو كان زوجك أو أباك، وهما أقرب الناس إليك، فكان في ذلك غاية الإعزاز لشخصيتك، وستجدين قمة التعبير عن هذا الولاء في صـنيع أم المـؤمنين، أم حبيبة رضي الله عنها، رملة بنت أبى سفيان، زعيم مكة، وقائد المشركين، فقد كانت زوجة لابن عمة الرسول رضي الله عنه عبيد الله بن جحش الأسـدي، أسلما معاً وهاجرا إلى الحبشة معاً على غير رغبة من أبيها سيد قومه، ولكـن الحياة لم تصف لهذه المرأة المسلمة الصابرة المهاجرة، فقد فجعت بردة زوجهـا عبيد الله عن الإسلام ودخوله النصرانية دين الأحباش!! وحاول أن يردها عن دينها، فأبت، وثبتت على دينها، واعتصمت بالصبر، وكانت قد وضعت ابنتها حبيبة التي كنيت ا، فصارت تدعى "أم حبيبة"، واعتزلت الناس، وكـادت لك غماً وأسى وحسرة، فهي وابنتها في دار الهجرة والاغتراب، انقطع مـا بينها وبين زوجها وأبيها من أواصر، فهذا نصراني، وذاك مشرك يعلن حربـاً شعواء على النبي الذي صدقته، والدين الذي آمنت به. ولم ينقذها من الحـيرة والضياع والغم والكرب إلا عين الرسول الكريم الـساهرة علـى المـؤمنين المهاجرين، المتفقدة أمورهم وأحوالهم؛ فقد أرسل إلى النجاشى أن يزوجـه أم حبيبة بنت أبى سفيان. وباتت أم حبيبة بنت أبى سفيان وهي "أم المؤمنين"!! ودارت الأيام، وأزف أجل فتح مكة، ولاحت نذر الخطر دد قريشاً حينمـا نقضت عهد الحديبية، فتشاور قاد ا، وأدركوا أن محمداً صلى الله عليه وسلم لن يسكت على ضيم، ولن يرضي أن يغدر به أو ينقض له عهـد، واسـتقر رأيهم على أن يوفدوا رسولاً منهم إلى المدينة، يفاوض محمداً صلى الله عليـه وسلم في تجديد الهدنة ومد أجلها، وكان رسولهم إلى محمد صـلى الله عليـه وسلم أبو سفيان بن حرب. وجاء أبو سفيان المدينة، و يب لقاء محمد صـلى الله عليه وسلم، وعرف أن ابنته رملة في بيت الرسول صلى الله عليه وسـلم، فتسلل إليها يستعين ا على ما جاء من أجله. وفوجئت به أم المؤمنين رضـي الله عنها يدخل بيتها، ولم تكن رأته مذ هاجرت إلى الحبشة، فوقفت تنظر إليه بادية الدهشة والحيرة، لا تدرى ماذا تفعل أو ماذا تقول. وأدرك أبو سفيان ما تعانيه ابنته من مباغتة المفاجأة بقدومه، فأعفاها من إن تأذن له بالجلوس، وتقدم من تلقاء نفسه ليجلس على الفراش، فما راعه إلا أن وثبت "رملة" فاختطفت الفراش وطوته عنه، فقال: يا بنية، ما أدرى أرغبت بي عن هذا أم رغبت بـه عني؟ قالت: بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسـلم، وأنـت رجـل

مشرك، فلم أحب أن تجلس عليه! لقد محضت رملةُ بنت أبي سفيان ولاءها لله، فلم تأس على زوج تافه، باع دينه بدنياه، ولم تنسها مفاجأة لقائها لأبيها بعد غياب طويل ولاءها لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، إذ لا مكان في نفـسها المترعة بالإيمان لعصبية أو ولاء أمام الولاء لله ولرسوله ولدينه.

الحقيقة السادسة: أن الإسلام أعطى المرأة الحـق في **تقـديم النـصح للآخرين بل أمرها أن تقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر**، وهذا ليس سوى ثمرة من ثمرات اعتزازك بدينك واعتدادك بشخصيتك وثقتـك في الحق الذي تحملين، ولتتدبري أختاه قوله تعـالى: "والْمؤمنـونَ والْمؤمنـات بعضهم أولياء بعضٍ يأمرونَ بِالْمعروفِ وينهونَ عنِ الْمنكرِ ويقيمونَ الـصلاَةَ ويؤتونَ الزكَاةَ ويطيعونَ اللّه ورسولَه أُولَـئك سيرحمهم اللّه إِن اللّه عزيـز حكيم" (التوبة: ٧١)، الذي أنزله الله منذ خمسة عشر قرناً، لقد وضعك الله في أعلى المنازل الاجتماعية وقمة مستويات الفكر الاجتماعي، بل رفعك إلى مقام الولاية المتبادلة مع الرجل، وأشركك معه في واجب الأمر بالمعروف والنـهى عن المنكر، وكلفك بالمسؤولية وحمل الأمانة مع الرجل على حد سواء، وأفسح لك ا ال للنضج وحرية الفكر وإبداء الرأي بل وحرية التوجه بالنقـد حـتى للخليفة نفسه وهذا ما حدث مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إذ استمعت إليه امرأة وهو ينهى عن المغالاة في المهور، ويـدعو إلى تحديـدها بمبلغ معين، فانبرت له تلك المرأة قائلة: ليس ذلك لك يا عمـر!: قـال ولم؟ قالت: لأن الله تعالى يقول:"وإِنْ أَردتم استبدالَ زوجٍ مكَـانَ زوجٍ وآتيـتم إِحداهن قنطَاراً فَلاَ تأْخذُواْ منه شيئاً أَتأْخذُونه بهتاناً وإِثْماً مبِيناً"، فقال عمـر رضي الله عنه: امرأة أصابت، ورجل أخطأ[٩٦].

لقد أنصت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى هذه المرأة، ولما تبين في قولها الحق اعترف بأنه حق، وأنه وهو على خطأ. وبذلك سجلت المرأة المسلمة أولى المواقف التاريخية في نقد رئيس دولة، وأي رئيس دولة؟ إنه خليفـة المـسلمين الراشد، أعظم حكام عصره، والرجل القوى المهيب، قاهر الفرس والروم. وما كانت تلك المرأة لتجرؤ على معارضته ونقده؛ لولا وعيها وفقهها في دينـها الذي أعطاها حق إبداء الرأي، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. وبعد، فهذا شأن المرأة المسلمة مع ر ا: إيمان بالله عميق، وتسليم بقضائه وقدره. وإقبـال

(٩٦) انظر فتح البارى: كتاب النكاح، وأخبار عمر للشيخ على الطنطاوى: ٣٩٣.

صادق على عبادته، وطاعة مطلقة لأوامره واجتناب صارم لنواهيه، وتمثل واع لمعنى عبوديتها لله، وعمل دائب على نصرة دينه، وتحقيق كلمتـه، واعتـزاز بشخصيتها المسلمة منبعث من قوة إيمانها ونقائه، وحسن تفهمها للهدف مـن وجود الإنسان في هذه الحياة الذي حدده الله تعالى بقوله:"وما خلقْت الْجِـن والْإنس إلَّا ليعبدون" (الذاريات:٥٦)

ثانيا: المرأة المسلمة مع نفسها

أختي المسلمة لقد حض الإسلام المسلمين على أن يكونوا شامة في الناس، متميزين في زيهم وهيئاتهم وتصرفاتهم وأعمالهم، ليكونوا قدوة حسنة، تجعلهم جديرين بحمل رسالتهم العظمى للناس؛ ففي الحديث أن النبي صلى الله عليـه وسلم قال لأصحابه وكانوا قادمين من سفر:"إنكم قادمون عـلى إخـوانكم، فأصلحوا رحالكم، وأحسنوا لباسكم، حتى تكونوا كأنكم شامة في النـاس؛ فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش"[(٩٧)] يعني الهيئة الرديئة، وإهمال العنايـة بالمظهر، وإذا كان الإسلام قد حض المسلمين بعامة على أن يكونوا شـامة في الناس، فقد حض المرأة المسلمة بخاصة على أن تكون شامة بارزة متميـزة في شكلها ومظهرها وهيئتها؛ إذ إن شكلها النظيف الحسن المرتب يليق بمحتواها الجليل ويعكس جوهرها النبيل، ومنهما معاً يتكون شخصيتها، فالمسلمة الذكية هي التي توازن بين مظهرها ومخبرها وتدرك أنها مكونة مـن جـسم وعقـل وروح، فتعطي لكل حقه، مستهدية بهدي الإسلام الحنيف الذي حض علـى هذا التوازن ورغب فيه. فكيف تحققين أختاه التوازن المنشود بـين جـسمك وعقلك وروحك؟

أ. جسمك

لا يغيب عن بالك أختاه أن احتفاظك بلياقتك البدنية ونشاطك الجسمي وصحتك العامة من الأمور التي حض عليها الإسلام ورغب فيهـا، ولتبلغـي ذلك:

---

(٩٧) رواه أبو داود ٨٣/٤ في كتاب اللباس: باب ما جاء في إسبال الإزار، وهو صحيح الإسناد.

عوّدي نفسك الاعتدال في **الطعام والشراب**، واعلمي أنه ما من امرأة على وجه الأرض إلا وهي تتمنى ألا تحرم نعمة الرشاقة والصحة والجمال، وتخشى أن تستيقظ ذات يوم فإذا هي ثقيلة الوزن مترهلة، ورشاقتك أمر صعب المنال، لأنه يحتاج لمثابرة وضبط لشهوة الطعام بدءًا من أيام الصبا والشباب، ولكن الصعب يسهل بالاعتياد، واعتدالك في الطعام والشراب عبادة، ألم يقل رب العالمين في محكم كتابه: (وكُلُواْ واشربواْ ولاَ تسرِفُواْ إنه لاَ يحب الْمسرِفين) (الأعراف:٣١)، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: "ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه، فإذا كان لا محالة فاعلا، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه"[٩٨]. ولقول عمر رضي الله عنه:"إياكم والبطنة في الطعام والشراب، فإنها مفسدة للجسد، مورثة للسقم، مكسلة عن الصلاة. وعليكم بالقصد فيهما، فإنه أصلح للجسد، وأبعد من السرف. وإن الله تعالى ليبغض الحبر السمين، وإن الرجل لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه"[٩٩].

وابتعدي كل البعد عن تناول المنبهات فهي من العادات الدخيلة على مجتمع الإسلام والمسلمين، وجنبي نفسك السيئ من العادات كالسهر الطويل الفارغ في اللهو والعبث وقتل الوقت؛ بل بكري النوم، وبكري الاستيقاظ لتزاولي نشاطك اليومي في حيوية وفعالية وانشراح، فلا يطفئ شعلة نشاطك سهر طويل، ولا تضعف قواك عادة سيئة.

وزاولي من الرياضة البدنية ما يناسب جسمك ووزنك وسنك وبيئتك ومجتمعك، في أوقات محددة، ومواعيد ثابتة، لتهب هذه التمارين الرياضية جسمك الرشاقة والمرونة والجمال، وتمنح صحتك القوة والمناعة من العلل والأمراض، وتجعلك أقدر على القيام بواجباتك، وأكثر لياقة لأداء رسالتك في الحياة.

واحرصي على نظافة بدنك وثيابك، مستجيبة في ذلك لهدي النبي صلى الله عليه وسلم الذي حث على الاستحمام والتطيب وبخاصة في يوم

---

(٩٨) حديث حسن صحيح رواه أحمد ١٣٢/٣، والترمذى ١٨/٤ في كتاب الزهد: باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل.

(٩٩) كنز العمال ٤٣٣/١٥. وانظر المقال المقيم في مضار الشبع المفرط على الجسم والعقل والنفس للدكتور الطبيب محمد ناظم نسيمى في مجلة حضارة الإسلام، العددين: ٥،٦ من السنة ١٥.

الجمعة:"اغتسلوا يوم الجمعة، واغسلوا رؤوسكم، وإن لم تكونوا جنبا، وأصيبوا من الطيب"[(١٠٠)]. "من أتى الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل"[(١٠١)]. وبلغ من شدة حضه على النظافة بالاستحمام أن بعض الأئمة ذهب إلى أن الاغتسال واجب لصلاة الجمعة. ذلك أن النظافة من ألزم صفات الإنسان، وبخاصة المرأة، وأكثرها دلالة على شخصيتها السوية الذكية، وهي لا تجعلها قريبة محببة إلى نفس زوجها فحسب، بل إلى نفوس كل من عرفها من النساء، ومحارمها من الرجال. وقد روى الإمام أحمد والنسائي عن جابر رضي الله عنه أنه قال: أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرا، فرأى رجلا عليه ثياب وسخة، فقال: "ما كان يجد هذا ما يغسل به ثوبه!". لقد أنكر الرسول الكريم أن يظهر الإنسان على الملأ بثياب وسخة ما دام قادرا على غسلها، وإذا كان هذا الهدي النبوي موجها إلى الرجل، فإنه بالأحرى موجه إلى المرأة، لأنها مظنة النظافة، ولا ريب أن إحساس المرأة العميق الواعي بالنظافة يرتد على بيتها وزوجها وأولادها فإذا هم جميعا نظيفون مرتبون متجملون، تضوع ثيابهم بالطيب، وتفوح من أجسامهم الروائح النظيفة العطرة الزكية. ومما يلفت نظر الباحثين ويسترعى انتباههم في كل زمان ومكان، أن هذا الهدي النبوي العالي بالحض على النظافة والاستحمام جاء منذ خمسة عشر قرنا، يوم لم تكن الدنيا تعرف الحمامات والاستحمام. بل أن دنيا غير المسلمين لم تصل حتى بعد مرور ألف سنة على الإسلام إلى مستوى هذا الهدي في النظافة عند المسلمين.

وتعهدي أيتها المسلمة الذكية فمك، فلا يشم أحد منه رائحة مؤذية، وذلك بتنظيف أسنانك بعد كل وجبة طعام بالسواك والفرشاة والمطهرات والمنظفات، وتفقدي أسنانك، فاعرضيها على طبيب الأسنان مرة كل سنة على الأقل، ولو لم تشعري بألم، لتحفظي لأسنانك صحتها ونظافتها وبريقها، واستشيري طبيب الحنجرة والبلعوم، إن احتاج الأمر إلى ذلك، بحيث تغدو أنفاسك زكية معطرة، وهذا بلا ريب أليق بالمرأة وأجدر وأجمل. وقد كانت السيدة عائشة رضي الله عنها شديدة العناية بأسنانها، لا تتوانى عن تنظيفها

---

(١٠٠) فتح الباري ٣٧٠/٢ كتاب الجمعة: باب الدهن للجمعة.
(١٠١) حديث لعبد الله بن عمر عند أبي عوانة وابن خزيمة وابن حبان في صحاحهم، وانظر فتح الباري ٣٦٥/٢ كتاب الجمعة: باب فضل الغسل يوم الجمعة.

بالسواك، جاءت بذلك الروايات ففي صحيح مسلم عن عطاء عن عروة رضي الله عنه:"وإنا لنسمع ضر ا بالسواك تستن..."[١٠٢].

وتروى السيدة عائشة رضي الله عنها:"أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يرقد ليلاً ولا ارأ، فيستيقظ إلا تسوك قبل أن يتوضأ"[١٠٣]. وتبلـغ عناية الرسول الكريم بنظافة الفم حداً يجعله يقول:"لولا أن أشق علـى أمـتي لأمر م بالسواك عند كل صلاة"[١٠٤]. وسئلت السيدة عائشة عن أي شـيء يبدأ به الرسول الكريم إذا دخل بيته، فقالـت: "بالـسواك"[١٠٥]. إنـه لمـن المستغرب جداً، أن نرى بعض النساء المسلمات يهملن هذه الجوانب، وهى من الزم مستلزمات شخصية المراة الرقيقة المحببة الموحية بالأنس والأنوثة والأناقـة والجمال.

واهتمي بشعرك وأكرميه فجمال شعر المرأة من أهم مقومـات جمالهـا، والحفاظ عليه وتحسينه من أبرز عوامل الجاذبية فيها، وقد روى أبو داود عـن أبى هريرة رضي الله عنه، قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"من كان له شعر فليكرمه"[١٠٦]، وإكرام الشعر في الذوق الإسلامي يكون بتنظيفه وتمشيطه وتطييبه وتحسين شكله وهيئته. وقد كره النبي صلى الله عليه وسلم أن يـدع الإنسان شعره مرسلاً مهملاً شعثاً منفوشاً في الحديث الذي رواه الإمام مالك في الموطأ مرسلاً عن عطاء بن يسار، قال:"كان رسول الله صـلى الله عليـه وسلم في المسجد، فدخل رجل ثائر الرأس واللحية، فأشار إليه الرسول بيـده، كأنه يأمره بإصلاح شعره ولحيته، ففعل ثم رجع، فقال النبي صـلى الله عليـه وسلم:"أليس هذا خيراً من أن يأتى أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان؟!"[١٠٧]. فالإسلام يعتني بحسن المنظر وجمال الهيئة، وينكر التبذل وقبح المنظر.

واحرصي على حسن الهيئة، وأناقة المظهر، من غير تبرج ولا مغالاة ولا سرف، فترتاح لمرآك عينا زوجك وأولادك ومحارمك وغيرهم مـن النـساء

(١٠٢) صحيح مسلم ٢٣٦/٨ كتاب الحج: باب عدد عمر النبى صلى الله عليه وسلم وزما ن.
(١٠٣) حديث حسن، رواه أحمد ١٦٠/٦، وأبو داود ٤٦/١ في كتاب الطهارة: باب السواك.
(١٠٤) فتح البارى ٣٧٤/٢ كتاب الجمعة: باب السواك يوم الجمعة، وصحيح مسلم ١٤٣/٣ كتاب الطهارة: باب السواك.
(١٠٥) صحيح مسلم ١٤٣/٣ كتاب الطهارة: باب السواك.
(١٠٦) رواه أبو داود ١٠٧/٤ في كتاب الترجّل: باب في إصلاح الشعر، وإسناده حسن.
(١٠٧) الموطأ ٩٤٩/٢ كتاب الشعر: باب إصلاح الشعر، وإسناده حسن.

المسلمات، وتأنس بك نفوسهم وتقتدي بك أخواتك وبناتك، قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: (قُلْ من حرم زِينةَ اللّه التي أخرج لعباده والْطيبـات مـن الرزق): "روى مكحول عن عائشة رضي الله عنها قالت: كـان نفـر مـن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه على الباب، فخرج يريدهم، وفي الدار ركوة فيها ماء، فجعل ينظر في الماء، ويسوى لحيته وشعره. فقالـت له: يا رسول الله، وأنت تفعل هذا؟ قال: نعم، إذا خرج الرجل إلى إخوانـه، فليهيئ من نفسه، فإن الله جميل يحب الجمال"[١٠٨].

واعلمي أن الزهد والتواضع لا يتنافيان مع الأناقة؛ فرسول الله صـلى الله عليه وسلم، وهو سيد المتواضعين، كان يلبس اللباس الحسن، ويتجمل لأهلـه وأصحابه، ويرى في هذا التجمل وحسن الهندام إظهاراً لنعمة الله عليه:"إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده"[١٠٩]. وفي طبقات ابن سـعد[١١٠]: عـن جندب بن مكيث رضي الله عنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسـلم إذا قدم الوفد لبس أحسن ثيابه وأمر علْية أصحابه بذلك، فلقد رأيت رسـول الله صلى الله عليه وسلم يوم قدم وفد كندة، وعليه حلة يمانية، وعلى أبى بكر وعمر رضي الله عنهما مثل ذلك".

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر" فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة. يعنى: أيعد هذا من الكبر؟ قال النبي صـلى الله عليه وسلم: "إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطـر الحـق[١١١] وغمـط الناس[١١٢]"[١١٣].

وبدهي أن الدعاة إلى الله من الرجال والنساء ينبغي أن يكونـوا أحـسن هيئة، وأجمل مظهراً، وأتم أناقة، وأن يعنوا بنظافة أبدا م وثيـا م وأظـافرهم وشعورهم، ولو كانوا في خلوة مع أنفسهم، مستجيبين بذلك لنداء الفطـرة السليمة التي أخبر ا وبمستلزما ا الرسول الكريم في قوله:"خمس من الفطـرة:

---

(١٠٨) انظر تفسير القرطبى ١٩٧/٧ الآية ٣٢ من سورة الأعراف.
(١٠٩) حديث حسن رواه الترمذى ٢٠٦/٤ كتاب الاستئذان: باب أثر النعمة على العبد.
(١١٠) ٣٤٦/٤.
(١١١) أى أن يتكبر الإنسان على الحق فلا يقبله.
(١١٢) أى احتقارهم والاستهانة م.
(١١٣) صحيح مسلم ٨٩/٢ كتاب الإيمان: باب تحريم الكبر.

الختان، والاستحداد (أي خلق العانة)، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر، وقص الشارب"(١١٤). فرعاية جمال الفطرة الإنسانية مما حبب به هذا الدين، ورغب فيه كل ذي طبع راق وذوق سليم.

ولا تلقي أختاه إلى التبرج والإفراط في الزينة: فتبدين زينتك إلى غير زوجك ومحارمك، ولا يغيب عن بالك أن الإسلام الذي حض على الزينة الحلال ورغب فيها، هو نفسه الذي حذر من الإفراط والمبالغة فيها، بحيث تستعبد المرأة في هذه الحياة، وتغدو شغلها الشاغل وهمها الدائم الكبير، وذلك في الحديث الشريف القائل: "تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة(١١٥) والخميصة(١١٦)، إن أعطى رضي، وإن لم يعط لم يرض(١١٧)". وقد استمالت بيوت الأزياء الكثير من النساء بل أسر حتى غدت المرأة الموسرة منهن لا تلبس الثوب الثمين الغالي أكثر من مرة واحدة، ووقع كثير من المسلمات في فخ التفاخر والتكاثر بالملابس والأزياء الفاخرة الباهظة الثمن وخاصة في حفلات الزفاف التي استحالت إلى عروض للأزياء، تشتد فيها المنافسة والتسابق إلى حد السرف والخيلاء والمباهاة الجوفاء بعيداً عن أي أثر للتعقل والتماسك والاعتدال. مما يرهق اقتصاديات الأسر ويؤذي رقيقات الحال فتمتلئ نفسهن حسرة وألماً وغماً، أو غيرة وحسداً، وما كان شيء من هذا ليكون لو التزمنا جميعا بالاعتدال.

ب - عقلك

أما عقلك الذي هو موضع فكرك وإيمانك وصلتك بخالقك، ودليلك لكل خير وحارسك من كل شر، والذي يرسم شخصيتك، ويشكل منطقك ويضعك بين الناس حيث تستحقين فهو الأولى بعنايتك.

فعليك أختاه أن تثقفي عقلك وتزوديه بالمعارف النافعة، وتنميه بالاطلاع على العلوم المتنوعة، فالمرأة المسلمة مكلفة كالرجل، وعليها طلب العلم الذي ينفعها في دينها ودنياها، وهى إذ تقرأ قوله تعالى: (وقُل رب زِدنِي عِلْماً)

---

(١١٤) فتح الباري ٣٣٤/١٠ كتاب اللباس: باب قص الشارب، ومسلم ١٤٦/٣ كتاب الطهارة: باب خصال الفطرة.

(١١٥) القطيفة: الثوب الذي له خمل.

(١١٦) الخميصة: الكساء المربّع من خزّ أو صوف

(١١٧) فيض الباري ٨١/٦ كتاب الجهاد: باب الحراسة في الغزو في سبيل الله.

(طه:١١٤)، وتسمع قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: "طلب العلـم فريضة على كل مسلم"[١١٨]، تدرك أن هدي القرآن والسنة يـشمل الرجـل والمرأة على حد سواء، وأ ا تساوى الرجل في علوم فرض العين وعلوم فرض الكفاية منذ وجد العلم في ا تمع الإسلامي، ولقد أدركت المرأة المـسلمة في ذلك ا تمع الرباني قيمة العلم منذ الأيام الأولى للإسلام، فقالت نساء الأنصار للرسول الكريم صلوات الله عليه: "اجعل لنا يوما من نفسك نتعلم فيه، فقـد غلبنا عنك الرجال. فقال لهن: موعدكن دار فلانة. فأتاهن فيهـا فـوعظهن وذكرهن وعلمهن".[١١٩]

وكانت المرأة المسلمة مقبلة على طلب العلم، لا تستحيي من السؤال عن أحكام دينها، لأ ا تسأل عن الحق، والله لا يستحيي من الحق، فعن عائـشة رضي الله عنها أن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية[١٢٠] سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن غسل المحيض، فقال:"تأخذ إحداكن ماءها وسـدر ا[١٢١] فتطهر، فتحسن الطهور، ثم تصب عليها الماء، ثم تأخذ فرصـة ممـسكة[١٢٢] فتطهر ا. قالت أسماء رضي الله عنها: وكيف تطهر ا؟ فقال: سـبحان الله، تطهرين ا. فقالت عائشة رضي الله عنها كأ ا تخفي ذلـك: تتـبعين أثـر الدم"[١٢٣]. وسألته عن غسل الجنابة، فقال:"تأخذين ماءك فتطهرين، فتحسنين الطهور، وأبلغى الطهور، ثم تصب على رأسها، فتدلكه، حتى تبلـغ شـؤون رأسها، ثم تفيض عليها الماء".[١٢٤] فقالت عائشة رضي الله عنها:"نعم النـساء نساء الأنصار! لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين".[١٢٥]

---

(١١٨) حديث حسن رواه ابن ماجه ٨١/١ في المقدمة: باب فض العلماء والحث على طلب العلم.

(١١٩) فتح البارى ١٩٥/١ كتاب العلم: باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم.

(١٢٠) هى من أعلام النساء المسلمات، كانت خطيبة مجاهدة، بايعت النبى صلى الله عليه وسلم، وشهدت اليرموك، وقتلت تسعة من الروم بعمود خيمتها.

(١٢١) السّدرة: النبق، وهو نبات طيب الرائحة، يتطهر به.

(١٢٢) الفرصة بكسر الفاء: قطعة من صوف أو قطن أو خرقة. والممسكة: المطيبة بالمسك، ويتتبع ا أثر الدم فيتحصل منه الطيب والتنشيف.

(١٢٣) أى قالت لها كلاما خفيا لا تكاد تسمعه ولا يسمعه الحاضرون.

(١٢٤) فتح البارى ٤١٤/١ كتاب الحيض: باب دلك المرأة نفسها إذا تطهرت من المحيض، وصحيح مسلم ١٥/٤، ١٦ كتاب الحيض: باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض المسك.

(١٢٥) انظر فتح البارى ٢٢٨/١ كتاب العلم: باب الحياء في العلم، وصحيح مسلم ١٦/٤ كتاب الحيض: باب غسل المستحاضة وصلا ا.

وجاءت أم سليم بنت ملحان، والدة أنس بن مالك إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله، إن الله لا يستحى من الحق، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"نعم، إذا رأت الماء". فغطت أم سلمة وجهها حياء، وقالت: يا رسول الله، وتحتلم المرأة؟ قال:"نعم، تربت يمينك، فبم يشبهها ولدها؟"[(١٢٦)]، وهكذا فالمرأة المسلمة تواقة إلى العلم، مقبلة عليه، مهتمة بتفهم مسائله، مدركة لأثره في شخصيتها وأولادها وأسر ا ومجتمعها؛ ولكن ما الذي يجب عليها تعلمه؟ أول ما ينبغى لك أيتها الأخـت والابنة المسلمة الواعية أن تتقني كتاب الله تعالى: تلاوة، وتجويدا، وتفسيرا، ثم تلمي بعلوم الحديث، والسيرة، وأخبار الصحابيات والتابعيات مـن أعـلام النساء، وتطلعي على ما يلزمك من أبحاث الفقه، لإقامة عباداتك ومعاملاتك، ومعرفة أحكام دينك على أساس قويم. ثم التفتي بعد ذلـك إلى اختـصاصك الأول في الحياة، وهو بيتك وزوجك وأسرتك وأولادك؛ فأنت المخلوق الذي خصصه الله ليهب بيت الزوجية والأمومة الأنس والسكينة والبهجة والبشاشة والسعادة والنعيم، وأنت التي ألقى عليها الإسلام مسؤولية كـبرى في تربيـة الأجيال، وصناعة الأبطال، وتنشيءة العبقريات. لذا فليس مـن الحكمـة أن يكون تعليمك وثقافتك كتعليم الرجل وثقافته في كل شيء، فا تمع ليس في حاجة إلى نسخ من الرجال، بل هناك أمور تختص ا المرأة، ولا يستطيع الرجل أن ينهض ا، وأمور يختص ا الرجل، ولا تستطيع المرأة أن تنهض ا، أمـا وقد فُتحت لك أبواب كافة الاختصاصات، فأوصيك أن تضعي نصب عينيك ما جبلت عليه من تكوين عقلي ونفـسي واجتمـاعي، وأن تختـاري مـن التخصصات ما يؤهلك للقيام بالمهمة الأساس التي خلقت من أجلها والـتي لا بديل لك في القيام ا، فتكوني منتجة بناءة في أسرتك ومجتمعك وأمتك، وليس في ذلك حجر على نبوغك في العلم. ففي تاريخ الأعلام من النساء المسلمات نماذج نادرة في الإقبال على العلم، فقد كانت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها المرجع الأول في الحديث والسنة المطهرة، والفقيهة الأولى في الإسلام، وهى في ميعة الصبا وريعان الشباب، لم تخطُ إلى التاسعة عشرة.

---

(١٢٦) فتح البارى ٢٢٨/١ كتاب العلم: باب الحياء في العلم، وصحيح مسلم ٢٢٣/٣، ٢٢٤ كتاب الحيض: باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المنى منها.

قال الإمام الزهرى:"لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وعلم جميع النساء، لكان علم عائشة أفضل". [١٢٧] وكم من مـرة فزع كبار الصحابة إليها، ليسمعوا منها القول الفصل في أصول الدين ودقائق الكتاب المبين. ولم يكن نفاذ رأيها ورجاحة عقلها في قضايا الدين فحـسب، بل كان ذلك شأ ا في رواية الشعر والأدب والتاريخ والطب، وغير ذلك من العلوم المعروفة في عصرها، يشهد لذلك قول فقيه المسلمين عروة بن الزبير، إذ روى ابنه هشام قوله:"ما رأيت أحدا أعلم بفقه ولا بطـب ولا بـشعر مـن عائشة". [١٢٨]

وكانت عائشة رضي الله عنها إلى جانب هذا العلم كله فصيحة اللسان، بليغة المقال. إذا تحدثت ملكت على الناس مسامعهم، وأخذت بمجامع قلو م. وهذا ما دعا الأحنف بن قيس إلى أن يقول: سمعت خطبة أبى بكـر وعمـر وعثمان وعلى والخلفاء من بعدهم، فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم ولا أحسن منه من في عائشة. وقال موسى بن طلحة:"ما رأيت أحدا أفصح مـن عائشة". [١٢٩]

ومن أعلام النساء اللواتي نبغن في العلم ابنة سعيد بن المسيب، عالم عصره، الذي أبى أن يزوج ابنته لابن أمير المؤمنين، عبد الملك بن مروان، وزوجها أحد تلامذته الصلحاء وهو عبد الله بن وداعة، فقد دخل عبد الله هذا على زوجته، فإذا هي أجمل الناس، وأحفظهم لكتاب الله، وأعلمهم بسنة رسول الله صـلى الله عليه وسلم وبحقوق الزوجية. ولما أسفر الصبح ض عبد الله يريد الخروج، فقالت زوجته: إلى أين؟ قال: إلى مجلس أبيك سعيد بن المسيب.. أتعلم العلم، فقالت: اجلس أعلمك علم سعيد. فمكث عبد الله شهرا لا يحضر حلقة العلم مستغنيا بعلم هذه الصبية الحسناء عن سماع أبيها.

ومن هؤلاء العالمات النابغات فاطمة بنت علاء الدين السمرقندي، مؤلف تحفة الفقهاء، فقد كانت فقيهة علامة، تفقهت على أبيها وحفظت تحفته. وقد زوجها والدها تلميذه علاء الدين الكاساني الذي برع في علمـي الأصـول والفروع، وصنف كتابه العظيم (بدائع الصنائع)، وهو شرح تحفـة الفقهـاء،

---

(١٢٧) الاستيعاب ١٨٨٣/٤، والإصابة ١٤٠/٨.
(١٢٨) تاريخ الطبرى: حوادث سنة ٥٨، والسمط الثمين: ٨٢، والاستيعاب ١٨٨٥/٤.
(١٢٩) أخرجه الترمذى ٣٦٤/٥ في كتاب المناقب: باب من فضل عائشة، وقال: حسن صحيح غريب.

وعرضه على شيخه، ففرح به كثيرا، وجعله مهرا لابنته، التي طلبها جماعة من ملوك بلاد الروم، فامتنع والدها، وآثر تلميذه هذا عليهم، وقـال الفقهـاء في عصره:"شرح تحفته فزوجه ابنته". وكانت قبل زواجها تشارك والدها الفتوى، فتخرج الفتوى وعليها خطها وخط أبيها. فلما تزوجت صاحب البدائع كانت الفتوى تخرج وعليها خطها وخط أبيها وخط زوجها، وكان زوجها يخطـئ، فترده إلى الصواب.(١٣٠)

وقد عقد ابن سعد جزءا من كتابه الطبقات الكبرى لراويات الحديث من النساء، أتى فيه على ذكر أكثر من سبعمئة امرأة روين الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو عن الثقات من أصحابه، وروى عنـهن جمـع مـن الأعلام وأئمة المسلمين.

ومما يزيد صفحة المرأة المسلمة تألقا ونضارة ونقاء، أ ا كانت صادقة أمينة في روايتها لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعيدة عن مزالـق التـهم والظنون إلى حدلم يوفق إلى الوصول إليه كثير من الرجال، يشهد بذلك ما قاله الإمام الحافظ الذهبى في كتابه ميزان الاعتدال في نقد رجال الحديث، إذ خرج فيه أربعة آلاف متهم من الرواة الرجال، ثم أتبع ذلك بقوله:"وما علمت مـن النساء من ا مت ولا من تركوها".(١٣١)

ولا تنقطعي أختاه عن المطالعة، ولا يصرفك عنها ا ماك في الدراسـة أو في شواغل البيت وأعباء الأمومة فالمطالعة هي المورد الذي يرفد العقل بالمعرفة، ويمده بالغذاء الذي يهبه التفتح والنضج والنمو والتألق. ولو أنك استـسلمت لهذه الشواغل دون أن تختلسي بين الحين والحين لحظات تخلدين فيها إلى كتاب نافع، أو مجلة علمية مفيدة لأهدرت عمرك وأنت تتراجعين للوراء حتى يـأتي عليك الوقت الذي لن تجدي فيه فرقا بينك وبين من لم تدخل مدرسة ولم تقرأ يوما كتاب، فلكل يوم علمه ومن استوى في العلم يومه وأمسه فقـد ظلـم نفسه، وظلم من هو عنهم مسؤول، فلتثري فكرك بالجديد مما أبدعته قـرائح العلماء والأدباء والمفكرين من بحوث فكرية واجتماعيـة وأدبيـة وعلميـة، واسمحي لنفسك أن تستفيدي دوما مما أتاحته التكنولوجيا من وسائل اطـلاع

(١٣٠) تحفة الفقهاء ١٢/١.
(١٣١) ميزان الاعتدال ٣٩٥/٣.

فلم تعد الأمية كما عهدناها قديما أمية القراءة والكتابة، بل أصبحت المجتمعات تسعى للتخلص من أنواع من الأمية كالأمية الثقافية والتكنولوجية.

وابتعدي أختاه عن تعاطي الخرافات فالمرأة المسلمة المقبلة على العلم بعيدة كل البعد عن لوثة الخرافات والأساطير والخزعبلات التي تعشش عادة في أذهان الأميات الجاهلات من النساء، بل إن المسلمة الواعية لهدي دينها تؤمن أن الركون إلى أهل البدع والخرافات والأساطير والكهانة والسحر من الكبائر التي تحبط عمل المؤمن، وتهدد آخرته؛ فقد روى مسلم عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:"من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة".[(١٣٢)] وروى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:"من أتى كاهنا فصدقه بما يقول، فقد بريء مما أنزل على محمد".[(١٣٣)]

واحذري المخدرات، وكوني يقظة للمحاولات الدؤوبة التي يبذلها أعداء الأمة للقضاء على الشباب والشابات من خلال ما يروجونه من تعاطي للمهدئات والمهلوسات والمخدرات فهي فضلا عن كونها من المحرمات، خطر داهم يدمر خلايا الدماغ، ويعطل وظائف العقل، ويهدم القوى، ويفسد القيم، ويزري بالإنسان، ويطيح بكل ما يعتز به من شخصية ومكانة ودور في الحياة.

ج - روحك

الإنسان مكون من جسم وعقل وروح، ولكل حقه، وبراعتك تكون في إحكام التوازن بين الجسم والعقل والروح، بحيث لا يطغى جانب على جانب؛ وهذا هو مفتاح الشخصية السوية المعتدلة الناضجة المتفتحة.

وتقوية الروح وتزكية النفس تكون بدوام العبادة والذكر والمحاسبة واستحضار خشية الله ومراقبته في أعمالها كلها، فإذا صليت أختاه أدي صلاتك في هدأة من النفس، وصفاء من الفكر، بحيث تتشرب نفسك معاني ما تلفظين به في صلاتك من قرآن وذكر وتسبيحات، وبعيدا عن الضوضاء، سبحي ربك، واتلي آيات من كتابه، وتأملي وتدبري معانيه واجعلي ما بدا منك في حق الله من تقصير ماثل أمامك، فالمرأة المسلمة التقية الصادقة، قد

---

(١٣٢) حديث حسن رواه البيهقي في شعب الإيمان ٣٣٤/٤ عن عائشة رضى الله عنها.
(١٣٣) حديث حس أخرجه أبو داود ٢١/٤ في كتاب الطب: باب في الكاهن.

تخطيء، وقد تقصر، وقد تزل بها القدم، ولكنها سرعان ما تنخلع من زلتها، وتستغفر الله من خطئها، وتتبرأ من تقصيرها، وتتوب من ذنبها، وهذا شأن الصالحات: (إِن الذين اتقَواْ إِذَا مسهم طَائف من الشيطَان تذَكَرواْ فَإِذَا هم مبصرونَ) (الأعراف:٢٠١) ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه:"جددوا إيمانكم". قيل:"يا رسول الله، وكيف نجدد أيماننا؟ قال:"أكثروا من قول لا إله إلا الله".[١٣٤]

وتقوية الروح تكون باختيار الرفقة الصالحة ولزوم مجالس الإيمان، اختاري أختاه الرفيقة التقية النقية الصالحة، التي تخلص لك الود والنصح، ولا تغشك في معاملة أو حديث. واعلمي أن للرفيقة الصالحة أثر كبير في استقامة أمر الفتاة المسلمة، وتحليها بالعادات الحسنة والشمائل الرفيعة؛ فالرفيقة القرينة - في الغالب - صورة مماثلة لها في أخلاقها وسجاياها.

وتقوية الروح تكون بحرصك أختي المسلمة على حضور المجالس التي تدور فيها الأحاديث عن الإسلام وعظمته في بناء الفرد والأسرة والمجتمع، وتتذاكر فيها الحاضرات قدرة الله العظيم، ونعمه السابغات على المخلوقات، ويتعاهدن على الالتزام بأوامر الله واجتناب نواهيه، والإقبال على طاعته والإخبات له؛ فبمثل هذه المجالس ترق النفس، وتزكو الروح، تخشع الجوارح، ويسمو الإنسان، وتخالط قلبه بشاشة الإيمان. ولهذا كان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه إذا لقى الرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"تعال نؤمن بربنا ساعة" ويبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: "يرحم الله ابن رواحة، إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة".[١٣٥]

وكان الخليفة الراشد سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه ينتزع نفسه من شواغل الخلافة وأعباء الحكم، ويأخذ بيد الرجل والرجلين، فيقول: "قم بنا نزداد إيمانا"، فيذكرون الله عز وجل.[١٣٦] إن المسلم مسؤول عن تقوية روحه وتزكية نفسه، ودفعها، دوما إلى أعلى، وحمايتها أبدا من الارتكاس إلى أدنى: (ونفْسٍ وما سواها * فَألهمها فُجورها وتقْواها * قَد أَفْلَح من زكاها * وقَد خاب من دساها) (الشمس:٧-١٠)، ومن هنا كانت المرأة المسلمة مطالبة

---

(١٣٤) رواه أحمد بسند جيد ٣٥٩/٢.

(١٣٥) رواه أحمد بإسناد حسن ٢٦٥/٣.

(١٣٦) حياة الصحابة ٣٢٩/٣.

بحسن اختيار الصديقات والبيئات والمجالس التي لا تزيدها إلا سموا في روحها، وتقوى في أعمالها، وصفاء في نفسها: (واصبِر نفْسك مع الذين يدعونَ ربهـم بِالْغداة والْعشي يرِيدونَ وجهه ولَا تعد عيناك عنهم ترِيد زِينةَ الْحياة الدنيا ولَا تطع من أَغْفَلْنا قَلْبه عن ذكْرِنا واتبع هواه وكَانَ أَمره فُرطاً) (الكهف: ٢٨)

واحفظي بعض الأدعية والصيغ المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم في كل عمل من الأعمال يعينك على تقوية روحك وربط قلبك بالله عز وجـل، فلقد أثر عنه صلوات الله عليه صيغ رائعات من الدعاء للخروج من البيـت، وللدخول فيه، وللشروع في الطعام، وللانتهاء منه، وللبس الثـوب الجديـد، وللاضطجاع في الفراش، وللاستيقاظ من النوم، ولوداع المسافر ولاسـتقباله، وهكذالم يكد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم بعمل مـن الأعمـال إلا وكان له فيه دعاء، يتوجه به إلى الله أن يبارك له في مسعاه، ويجنبـه الزلـل، ويلهمه الصواب، ويكتب له الخير، ويقيه من الشر، وإن المرأة المسلمة المعاصرة اليوم لفي أمس الحاجة إلى هذا الزاد الروحي، تزود به روحها، وتصقل نفسها، وتنأى بها عن فتن العصر وموبقاته وآفاته التي أطاحت بالمرأة في كـثير مـن المجتمعات الشاردة عن هدى الله.

ثالثا: المرأة المسلمة مع والديها

إن أبرز ما تتميزين به أختي المسلمة برك بوالديك وإحسانك إليهمـا؛ ذلك أن الإسلام حض على بر الوالدين في العديد من النصوص القاطعة مـن كتاب الله وسنه رسوله صلى الله عليه وسلم ورفع منزلتهما لمرتبة ما عرفهـا البشر إلا في هذا الدين، إذ جعلها تلي مرتبة الإيمان بالله والعبودية له، وجعـل الإحسان إليهما رأس الفضائل بعد الإيمان بالله: (واعبدواْ اللّه ولاَ تشرِكُواْ بِـه شيئاً وبِالْوالدينِ إِحساناً) (النساء:٣٦)، ومن هنا كانت الفتاة المسلمة الواعية بهدي دينها أبر بوالديها من أي فتاة في الوجود؛ إذ لا يتوقف برها لوالـديها عند انتقالها إلى عش الزوجية ومحضن الأولاد، بل يستمر ما تنفس بها العمـر وامتدت بها الأيام، (ووصينا الْإِنسانَ بِوالديه حسناً) (العنكبـوت:٨)، وتـأتي الأحاديث الشريفة تترى مواكبة الآيات الكريمة، مؤكدة فضل بر الوالـدين، محذرة من عقوقهما أو الإساءة إليهما مهما تكن الأسباب: فعن عبد الله بـن

مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي العمل أحب إلى الله؟ قال:"الصلاة على وقتها"، قلت: ثم أي؟ قال:"بر الوالدين"، قلت: ثم أي؟ قال:"الجهاد في سبيل الله".(١٣٧)

وقد أتي رجل ليبايع الرسول الكريم على الهجرة والجهاد، يبتغي الأجر من الله تعالى، تريث صلى الله عليه وسلم في قبوله، وسأله:"هل من والديك أحد حي؟"، قال الرجل:نعم، بل كلاهما، فقال الرسول الكريم:"فتبتغى الأجر من الله تعالى؟"، فأجابه الرجل: نعم، فقال الرسول البر الرحيم:"فارجع إلى والديك، فأحسن صحبتهما".(١٣٨)

وفي قصة جريج العابد عبرة بالغة في أهمية بر الوالدين والمسارعة في طاعتهما، إذ نادته أمه وهو يصلى، فقال: اللهم أمي وصلاتي، واختار صلاته، ونادته ثانية، فلم يجبها واستمر في صلاته، ونادته ثالثة، فلما لم يجبها دعت عليه ألا يميته الله حتى يريه وجوه المومسات. وحدث أن ارتكبت مومس فاحشة الزنا مع راع فحملت منه. فلما خشيت انفضاح أمرها قال لها الراعي: إن سئلت عن أبي المولود فقولي: جريج العابد، فقالت. وهب الناس يخربون صومعة جريج، واقتاده الحاكم للساحة، فبينما هو في الطريق تذكر دعاء أمه فتبسم. ولما قدم للعقاب استمهل حتى يصلى ركعتين، ثم طلب الغلام وهمس بأذنه: من أبوك؟ فقال: أبى فلان الراعي (١٣٩)، فهلل الناس وكبروا وقالوا: نعيد بناء صومعتك فضة وذهبا، فقال: لا، بل أعيدوها كما كانت من تراب وطين. يقول النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الذي رواه البخاري: "لو كان جريج عالما لعلم أن إجابته أمه أولى من عبادة ربه"(١٤٠).

ومن هنا رأى الفقهاء أن المرء إذا كان في صلاة النفل، وناداه أحد والديه فعليه أن يقطع صلاته ويجيبه. ولقد وقر في أخلاد المسلمين والمسلمات وجوب بر الوالدين، فسارع الأبناء والبنات إلى برهما في حياتهما وبعد مماتهما. والأخبار والأحاديث في ذلك كثيرة، منها:"أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي صلى الله

---

(١٣٧) متفق عليه. انظر شرح السنة ١٧٦/٢ كتاب الصلاة: باب فضل الصلوات الخمس.
(١٣٨) متفق عليه. انظر رياض الصالحين: ١٩١ باب بر الوالدين.
(١٣٩) هذا الغلام أحد الثلاثة الذين نطقوا في المهد، والآخران: عيسى بن مريم، والغلام الذى كان مع أمه في أهل الأخدود.
(١٤٠) انظر فتح البارى ٧٨/٣ كتاب العمل في الصلاة: باب إذا دعت الأم ولدها في الصلاة، و ١٣٦/٥ كتاب المظالم: باب إذا هدم حائطا فليبن غيره.

عليه وسلم، فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: نعم، حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين، أكنت قاضيته؟ اقْضوا الله، فالله أحق بالوفاء". (١٤١) وفي رواية لمسلم:"قالت: إنه كان عليها صوم شهر، أفأصوم عنها؟ قال: صومي عنها. قالت: إنها لم تحج قط، أفأحج عنها؟ قال: حجي عنها". (١٤٢)

واعلمي أيتها الأخت العادلة أن التوازن في **بر الوالدين واجب،** بحيث **لا يكون بر أحدهما على حساب الآخر، مع وجوب تقديم بر الأم على الأب.** فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه رجل فسأله: يا رسول الله، يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي، فأجابه الرسول الكريم:"أمك"، قال: ثم من؟ قال:"أمك". قال: ثم من؟ قال:"أمك"، قال: ثم من؟ قال: "أبوك". (١٤٣) ففي هذا الحديث تأكيد من الرسول الكريم على أن بر الأم مقدم على بر الأب، ولهذا رأينا الإمام البخاري في كتابه (الأدب المفرد) الذي صدره بباب بر الوالدين يقدم باب بر الأم على باب بر الأب، محققا بذلك التناسق والانسجام بين تبويبه هذا وما تضمن من هدي نبوي كريم. ولقد استثار القرآن مشاعر البر والعرفان في نفوس الأبناء، فوصى بالوالدين، ونوه بفضل الأم في الحمل والرضاعة، وما تكابد من مشاق بالبذل النبيل، والحنو المطلق: (ووصينا الْإِنسانَ بِوالديه حملَته أُمه وهناً علَى وهنٍ(١٤٤)، وفصاله(١٤٥) في عامين أن اشكُر لي ولوالديك إِلَي الْمصير) (لقمان:١٥)، وهذا ابن عمر يشهد رجلا يمانيا يطوف بالبيت الحرام، يحمل أمه ويقول: إني لها بعيرها المذلل، وقد حملتها أكثر مما حملتني، أتراني جزيتها يا ابن عمر؟ فأجابه لا، ولا بزفرة واحدة! (١٤٦)، وقد تبتسم الدنيا للفتاة، وتتقلب في بيت الزوجية في أعطاف النعيم، وتنصرف إلى الزوج، وتلتفت إلى الذرية الناشيءة، فتشغل عن الوالدين، ويقل اهتمامها بهما والإحسان إليهما وتفَقد أحوالهما، ولكن المرأة المسلمة الواعية الراشدة في نجوة من هذه الغفلة وعصمة، إذ تطالع توصيات

---

(١٤١) انظر فتح البارى ٦٤/٤ كتاب جزاء الصيد: باب الحج والنذور.
(١٤٢) صحيح مسلم ٢٥/٨ كتاب الصيام: باب قضاء الصوم عن الميت.
(١٤٣) متفق عليه. انظر شرح السنة ٤/١٣ كتاب البر والصلة: باب بر الوالدين.
(١٤٤) أى ضعفا على ضعف.
(١٤٥) أى فطامه.
(١٤٦) أخرجه البخارى في الأدب المفرد ٦٢/١ باب جزاء الوالدين.

القرآن الكريم والحديث الشريف بالوالدين فإذا هي مقبلة عليهما، تتفقد دوما أحوالهما، وتسارع إلى برهما والإحسان إليهما، ما أسعفها جهـدها ووقتـها وظروفها، وما استطاعت إلى ذلك سبيلا.

ثم **إن عليك أختاه أن تختاري أمثـل الطـرق وأرقـى الأسـاليب** في **مخاطبتهما**، ومعاملتهما بكل احترام وتقدير وتأدب، وإحاطتهما بكل أسـباب الرعاية والتكريم والإجلال، خافضة لهما جناح الذل من الرحمة، كما أمر رب العزة في كتابه الكريم، ولا تند عنك كلمة تضجر أو تأفف أو ضيق منـهما، مهما كانت الظروف والأحوال، مستهدية دوما بقوله تعالى: (وقَضى ربك ألا تعبدواْ إلا إياه وبِالْوالدينِ إحسانا إِما يبلُغن عندك الْكبر أحدهما أو كلاَهمـا فَلاَ تقُل لهمآ أُف ولاَ تنهرهما وقُل لهما قَولاً كَرِيما * واخفض لَهما جنـاح الذل من الرحمة وقُل رب ارحمهما كَما ربيانِي صغيرا) (الإسراء:٢٣،٢٤)

وقد سأل رجل سعيد بن المسيب رضي الله عنه قائلا: لقد فهمت آية بـر الوالدين كلها إلا قوله تعالى: (وقُل لهما قَولاً كَرِيماً)، فكيف يكـون القـول الكريم؟ فأجابه سعيد: يعنى خاطبهما كما يخاطب العبد سيده.

وكان ابن سيرين رضي الله عنه يكلم والدته بصوت ضعيف، كأنه صوت مريض إجلالا لها واحتراما. وقد يكون الوالدان أو أحدهما في انحـراف عـن جادة الحق والصواب، فواجب الفتاة المسلمة البارة في مثل هذه الحالة أن تحسن التأتى إلى نفسيهما، وتسلك معهما مسلك الرفق والتؤدة والتلطف والإقنـاع، لا تقسو، ولا تجور، ولا تخرج عن دائرة الأدب والتهذيب، بل تحاول إقناعهما بالسبل التي تراها مجدية معهما، وسلاحها في سبيل الوصول إلى هدفها الصبر، والكلمة الطيبة، والبسمة الودود، والحجة القوية، والمنطق السليم، والأسـلوب المهذب الحكيم.

واعلمي أيتها المؤمنة التقية أنك مطالـَبةٌ ببر والديك والإحسان إليهما ولو كانا على غير دين الإسلام، وذلك فيما حدثتنا به أسماء بنت أبى بكـر الصديق رضي الله عنهما قالت: قدمت علي أمي، وهى مـشركة في عهـد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسـلم قلت: قدمت على أمي، وهى راغبة[١٤٧]، أفأصل أمي؟ قـال:"نعـم، صـلي

---

(١٤٧) أى راغبة فيما عندى.

أمك".[148] أنت مطالبة بهذا البر كله نحو والديك، حتى لو كانا مشركين، (ووصينا الْإِنسانَ بِوالديه حملَته أُمه وهناً علَى وهنٍ وفصاله فِي عامينِ أَن اشكُر لِي ولوالديك إِلَي الْمصير * وإِن جاهداك علَى أَن تشرِك بِي ما لَيس لَك بِه علْم فَلَا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبِع سبِيلَ من أَناب إِلَي ثُم إِلَي مرجِعكُم فَأُنبئُكُم بِما كُنتم تعملُونَ) (لقمان:١٣-١٤)، إن بر الوالدين في الإسلام لأمر عظيم؛ لأنه نابع من أمتن الوشائج الإنسانية، من رابطة البنوة بالأبوة والأمومة. ولكن هذه الرابطة على جلالة قدرها، تأتى بعد رابطة العقيدة، فإن كان الوالدان مشركين، وأمرا ابنهما أو ابنتهما بالشرك، فلا طاعة لهما عليهما؛ إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وعلامة برك بوالديك شدة خوفك من الوقوع في **جريمة عقوقهما؛** ذلك أن هذه الجريمة تعد من الكبائر، فكما اقترن البر بهما بالإيمان بالله اقترن عقوقهما بالإشراك بالله، فعن أبى بكرة نفيع بن الحارث، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟" ثلاثاً. قلنا: بلى يا رسول الله قال: "الإشراك بالله، وعقوق الوالدين".[149]

ولا ينقطع البر بوفاة الوالدين، وإنما وجب عليك أيتها الابنة الوفية وصل البر بالدعاء لهما، والتصدق عنهما، وقضاء ما عليهما من ذمة إن كانا مدينين لله أو للناس، فإن كان قد فاتك شيء من بر والديك أحياء، فعوضيه وهما بين يدي الله، ولا تحرميهما من هداياك التي هما أحوج إليها من أي وقت مضى. إن بر الوالدين والإحسان إليهما لخليقة أصيلة من أخلاق المسلمين والمسلمات تقي من تحجر القلب، وجفاف العاطفة، ومعرة الجحود والكفران، وتبرهن على الوفاء للجيل الذي أنفق وضحى، الجيل المتجه إلى نهاية الحياة، وهو في أمس الحاجة إلى الكلمة المواسية المؤنسة، واليد الحانية، والقلب المحب، وهى بعد خليقة تطيل العمر وتوسع الرزق وتفتح للإنسان أبواب الجنان.

---

(١٤٨) متفق عليه. انظر شرح السنة ١٣/١٣ كتاب البر والصلة: باب صلة الوالد المشرك.
(١٤٩) متفق عليه. انظر شرح السنة ١٥/١٣ كتاب البر والصلة: باب تحريم العقوق.

رابعا: المرأة المسلمة مع زوجها

تأملي أختاه قوله تعالى: "ومِن آياته أَنْ خلَق لَكُم من أَنفُسِكُم أزواجاً لِتسكُنوا إِلَيها وجعلَ بينكُم مودةً ورحمةً" (الروم:١٢)، إن الله تعالى خلق آدم أولا ثم خلق حواء، خلقك أنت منه وجعلك له سكنا، وجعله لك طمأنينة وأمنا، وقضى أن تكون المودة والرحمة هما جوهر العلاقة بينكما، ومع كل اقتران بين رجل وامرأة يستدعي الناس ذكرى أول عقد للزواج، الوثيقة التي جمع الله ا بين آدم وحواء، يا حواء أنت من آدم فلتقبليه ولتثقي به وتدعميه ولتفخري بانتمائك إليه، ويا آدم حواء منك فلترعها وتحمها وتطمئنها ولتحترمها لأ ا بضعة منه، تلك هي الشروط الأهم والأولى بالعناية والاعتبار لدى النساء والرجال ليصبح عقد الزواج مباركا وتنتج عنه أسرة مسلمة صالحة تكون لبنة صلبة في بناء ا تمع المسلم الراشد، ويكون أفرادها أعضاء منتجين بنائين، متعاونين على البر والتقوى، وأنت أيتها الأخت أو الابنة عماد الأسرة، فكيف تسهمين في بناء الأسرة الصالحة؟

اعلمي أولا أن الإسلام أعطاك حق اختيار الزوج، فليس للوالدين أن يكرهاك على زواج لا تريدينه، ولكنك لا تستغنين عن نصحهما لأ ما أوسع منك خبرة بالحياة والناس، وقد روى الإمام البخاري عن الخنساء بنت خدام: "إن أبى زوجني من ابن أخيه، وأنا لذلك كارهة، فشكوت ذلك إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقال لي: "أجيزي ما صنع أبوك"، فقلت: ما لي رغبة فيما صنع أبي، فقال: "اذهبي، فلا نكاح له، انكحي من شئت". فقلت: قد أجزت ما صنع أبي، ولكنني أردت أن تعلم النساء أن ليس للآباء من أمور بنا م شيء".(١٥٠)

فالإسلام لا يعنت المرأة(١٥١)، ولا يرضي لها أن تعيش في صحبة رجل تكرهه، لأنه يريد للزواج أن يكون ناجحا مبنيا على أسس متينة من الكفاءة بين الزوجين في المظهر والمخبر، والتقارب في الأمزجة والعادات والميول والأهداف. فإذا حدث خلل في بناء صرح الزوجية، ولم يطب العيش بين الزوجين، وأحست المرأة أ ا لا يمكن أن تمحض زوجها الحب والإخلاص

---

(١٥٠) انظر فتح البارى ١٩٤/٩ كتاب النكاح: باب إكراه البنت على الزواج، وابن ماجه ٦٠٢/١ كتاب النكاح: باب من زوج ابنته وهى كارهة، والمبسوط ٢/٥.

(١٥١) أى لا يحملها مشقة.

والوفاء، وخشيت على نفسها من الوقوع في إثم العقوق ومخالفة الزوج الـذي لا تحبه، فلها أن تطلب الطلاق، وهذا ما أقره الرسول (صلى الله عليه وسلم)، إذ جاءته امرأة ثابت بن قيس بن شماس، جميلة أخت عبد الله بن أبى، فقالت: يا رسول الله. ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولا دين، ولكـنى أكـره الكفر في الإسلام[(١٥٢)]. فقال: "أتردين عليه حديقته؟" – وكان مهرها حديقة – قالت: نعم. فأرسل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إليه: "اقبل الحديقـة وطلقها تطليقة"[(١٥٣)].

أحسني اختيار الزوج: فلا يشغلك جمال الهيئة، وأناقة المظهـر، ورفعـة المنصب، ومظاهر الثراء، عن الوقوف عند دينه وخلقه، فهمـا عمـاد بيـت الزوجية الناجح، وأثمن حلية يتحلى ا الزوج. وقد نص هدى الإسلام الحنيف على لزوم هاتين الصفتين في الخاطب، فإذا ما توافرتا فيه وجب تزويجـه، وإلا عمت الفتنة ا تمع، وساد فيه الفساد: "إذا أتاكم من ترضون دينـه وخلقـه فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض"[(١٥٤)]. فلا يستهويك الشاب اللاهي المائع الأرعن، ولو حسن مظهره وراقت هيئته، وإنما يعجبـك الشاب المؤمن الجاد، الواعى المتفتح الذهن، الحسن الدين والخلـق والـسيرة، وليس معنى هذا أن دري جمال الشكل وحسن الهيئـة، وترضـي بـالقبح والدمامة وقماءة المظهر، فمن حقك أن تظفري بالرجل الذي يمـلأ نفـسك، ويرضي أحاسيسك ومشاعرك، ويستحوذ على إعجابك وتقـديرك، والمـرأة المسلمة الواعية الراشدة لا تعشى بصرها أضواء المظهر، ولا تصرفها عن رؤية الحقيقة والجوهر. فإذا كان للرجل حق القوامة على المرأة بنص القرآن الكريم: "الرجالُ قَوامونَ علَى النساء بِما فَضلَ اللّه بعضهم علَى بعضٍ وبِما أَنفَقُواْ من أموالهم" (النساء: ٣٤)؛ فلا تزفي إلا إلى رجل تعتزين بقوامته عليك، وتفرحين باقترانك به، لتضعي يدك في يده، ثم تنطلقان معا لتؤديا رسالتكما في الحيـاة، ولك في الصحابية الجليلة أم سليم بنت ملحان خير قدوة، فقد كانـت مـن أسرع نساء الأنصار إلى الإسلام. وكانت متزوجة من مالـك بـن النـضر، وأنجبت منه ابنها أنسا، فلما أسلمت امتعض زوجها مالك مـن إسـلامها،

---

(١٥٢) أى أكره إن أقمت عنده أن أقع فيما يقتضى الكفر.
(١٥٣) فتح البارى ٣٩٥/٩ كتاب الطلاق: باب الخلع.
(١٥٤) حديث حسن رواه الترمذى ٢٧٤/٢ أبواب النكاح: ٣، وابن ماجه ٦٣٣/١ كتاب النكاح: باب الأكفاء.

وتركها مغاضبا، وأصرت هي على إسلامها. وجاءها بعد ذلك نعيه، وهي في ميعة الصبا وريعان الشباب. واحتسبت ذلك كله في سبيل الله، وانصرفت إلى ولدها أنس، وحين بلغ العاشرة من عمره سعت به إلى رسول الله (صـلى الله عليه وسلم) ليكون في خدمته. وتقدم إليها أبو طلحة، قبل أن يسلم، وكـان مهوى أفئدة فتيات يثرب بماله وشبابه وقوته، فحسِب أن أم سليم ستطير فرحا به. ولكنه فوجئ بها تقول له: يا أبا طلحة، ألست تعلم أن إلهك الذي تعبـد، إنما هو شجرة تنبت من الأرض، وإنما نجرها حبشي بني فلان؟ قـال: بلـى. قالت: أما تستحيي أن تسجد لخشبة تنبت من الأرض، نجرها حبـشي بـني فلان؟ وكابر أبو طلحة، ولوح لها بالمهر الغالي والعيش الرغد. ولكنها أصرت على موقفها، وصارحته قائلة، والله يا أبا طلحة، ما مثلك يرد، ولكنك رجل كافر، وأنا امرأة مسلمة، ولا يحل لي أن أتزوجك، فإن تسلم فذاك مهري، وما أسألك غيره[155]. وعاد في اليوم الثاني يمنيها بمهر أكبر وعطاء أغزر. وثبتت أم سليم، وكان ثباتها يزيدها في عينيه جمالا وجاذبية ورصانة وحصافة، وراحت تقول له: أما تعلم يا أبا طلحة أن آلهتكم التي تعبدون ينحتها عبـد آل فـلان النجار؟ وأنكم لو أشعلتم فيها نارا لاحترقت؟

كانت كلماتها بمثابة صدمة اهتزت لها أحاسيس أبى طلحة، فإذا هو يسأل نفسه: هل يحترق الرب؟ وينطلق لسانه مرددا: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله. هنالك، قالت أم سليم لابنها أنس، والفرحة تغمر كيانها كله: قم يا أنس، فزوج أبا طلحة.

وكان من فرحة أبى طلحة أنه عزم على نثر ثروته كلها بين يدي أم سليم، ولكنها وقفت في شموخ المؤمنات الصادقات العزيزات العفيفات تقول له: يا أبا طلحة، إني تزوجتك لله، ولن آخذ صداقا غيره، وإنها لتعلم أنهـا بإسـلام أبى طلحة لم تظفر بالزوج الكريم الكفء فحسب، بل ظفرت بثواب من الله عـز وجل، يفوق ما في الدنيا من امتلاك حمر النعم، كما سمعت من الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم): "لأن يهدى الله بك رجلا خير من أن يكون لك حمر النعم"[156].

---

(١٥٥) أخرجه النسائى بإسناد صحيح ١١٤/٦ كتاب النكاح: باب التزويج على الإسلام.
(١٥٦) فتح البارى ٤٧٦/٧ كتاب المغازى: باب غزوة خيبر.

اعتني بزوجك وبيتك وبنيك: اعتني به في المأكل والمشرب والملبس والحديث، واعتني بمطالبه الخاصة، واحرصي على إرضائه وإدخال السرور على نفسه، ولو كان فقيرا معسرا، لا تتذمري من ضيق ذات اليد، ولا تضيقي ذرعا بأعمال البيت، وتذكري السيدة فاطمة الزهراء، ابنة محمد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، وزوجة على بن أبى طالب رضي الله عنه؛ فقد كانت تشكو ما تلقى في يدها من الرحى، فقال لها زوجها يوما: لقد جاء أبوك بسبي، فاذهبي إليه فالتمسي واحدة تخدمك، وذهبت إلى أبيها، ولكن الحياء منعها أن تسأله ما جاءت من أجله، ثم ذهب علي رضي الله عنه فسأله خادما لابنته الحبيبة إلى قلب أبيها. ولكن الرسول العظيم لم يستطع أن يستجيب لأحب الناس إليه، ويمنع فقراء المسلمين، وجاء إلى ابنته وزوجها، فقال: "ألا أعلمكما خيرا مما سألتماني؟ إذا أخذتما مضاجعكما، فسبحا الله ثلاثا وثلاثين، واحمدا ثلاثا وثلاثين، وكبرا أربعا وثلاثين، فهو خير لكما من خادم"، ثم ودعهما ومضى، بعد أن علمهما هذا المدد الرباني الذي ينسى المتاعب ويهزم الصعاب. وطفق على رضي الله عنه يقول: فو الله ما تركتهن منذ علمنيهن. وسأله رجل من أصحابه: ولا ليلة صفين؟ فقال: ولا ليلة صفين[(١٥٧)].

وهذه أسماء بنت أبى بكر كما روى عنها الشيخان قالت: "تزوجني الزبير، وماله في الأرض من مال ولا مملوك، ولا شيء غير فرسه. قالت: فكنت أعلف فرسه، وأكفيه مؤونته، وأسوسه، وأدق النوى لناضحه[(١٥٨)]، وأعلفه، وأستقى الماء، وأخرز غربه[(١٥٩)]، وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز، وكان يخبز لي جارات لي من الأنصار، وكن نسوة صدق. قالت: وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على رأسي، وهى على ثلثي فرسخ. قالت: فجئت يوما، والنوى على رأسي، فلقيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ومعه نفر من أصحابه، فدعاني، ثم قال: إخ إخ[(١٦٠)]، ليحملني خلفه. قالت أسماء لزوجها وهي تحكي له ما حدث: فاستحييت، وعرفت غيرتك[(١٦١)]، فقال: والله لحملك النوى على رأسك أشد من ركوبك معه.

---

(١٥٧) انظر فتح البارى ٧١/٧ كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب على بن أبى طالب، وصحيح مسلم ٤٥/١٧ كتاب الذكر والدعاء: باب التسبيح أول النهار وعند النوم.

(١٥٨) أى جمله.

(١٥٩) أى أصلح دلوه.

(١٦٠) هى كلمة للبعير ليبرك.

(١٦١) أى غيرة زوجها الزبير.

قالت: حتى أرسل إلى أبو بكر بعد ذلك بخادم، فكفتني سياسة الفرس، فكأنما أعتقتني[١٦٢].

فأقبلي أختاه على خدمة بيتك وزوجك، واعلمي أن حقه عليك كبير، أكده رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في قوله: "لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، لعظم حقه عليها"[١٦٣]. وقوله: "لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها"[١٦٤]. وسألت السيدة عائشة رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أي الناس أعظم حقا على المرأة؟ قال: "زوجها". قالت: فأي الناس أعظم حقا على الرجل؟ قال: "أمه"[١٦٥].

ومن أمثلة ذلك ما أورده ابن الجوزي في كتابه أحكام النساء[١٦٦] من أن رجلا صالحا صواما قواما من رجال القرن الثاني الهجري، يدعى شعيب بن حرب، أراد أن يتزوج امرأة، فقال لها متواضعا: إنى سيئ الخلق، فقالت له بلباقة وفطنة: أسوأ منك خلقا من أحوجك أن تكون سيئ الخلق، فأدرك أنه أمام امرأة راشدة ناضجة ذكية، فقال من فوره: إذًا أنت امرأتي، وهكذا فتفَهمك نفسية زوجك، ومعرفتك لعاداته، وما يرضيه وما يسخطه، يكسبك قلبه وإعجابه وتقديره، ويوصد كل منافذ الخلاف، ويعينه على حسن الخلق، وليس هذا خلقا اجتماعيا تفخرين به بين قريناتك، وإنما هو دين، دين يحاسبك الله عليه، فيثيبك إن أحسنت، ويؤاخذك على التقصير فيه.

والزمي في كل الأحوال قول الرسول الكريم: "لا تصوم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته وهو شاهد إلا بإذنه. وما أنفقت من كسبه من غير أمره، فإن نصف أجره له"[١٦٧]. وإذن الزوج رضاه، ولا يتحقق التفاهم والانسجام بين الزوجين إلا في التنسيق بينهما في مثل هذه الأمور، بحيث لا يلحق أحد الطرفين ضرر أو إزعاج مما يفسد صفاء الحياة الزوجية التي بناها الإسلام على المودة والرحمة. أما إذا كان الزوج بخيلا، يقتر عليها وعلى

---

(١٦٢) انظر فتح البارى ٣١٩/٩ كتاب النكاح: باب الغيرة.
(١٦٣) رواه أحمد والبزار، ورجاله رجال الصحيح. انظر مجمع الزوائد ٤/٩ باب حق الزوج على المرأة.
(١٦٤) حديث حسن صحيح، رواه الترمذى ٣١٤/٢ فى أبواب الرضاع: ١٠.
(١٦٥) رواه البزار بإسناد حسن. انظر مجمع الزوائد ٣٠٨/٤ باب حق الزوج على المرأة.
(١٦٦) ص ٣٣١.
(١٦٧) صحيح مسلم ١١٥/٧ كتاب الزكاة: باب أجر الخازن والمرأة إذا تصدقت من بيت زوجها.

أولادها في النفقة، فلها أن تنفق من ماله على نفسها وعيالها بالمعروف ما يكفيهم بغير علمه. وقد صرح بذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لهند بنت عتبة زوجة أبي سفيان، إذ جاءته فقالت له: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي، إلا ما أخذت منه، وهو لا يعلم. فقال: "خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف"(١٦٨). فأنت مسؤولة عن حسن تصرفك في إدارة شؤون البيت بالمعروف. والمرأة المسلمة الحصيفة تدرك مسؤوليتها التي كلفها بها الإسلام في رعاية بيت زوجها وولده، إذ جعلها راعية على بيت زوجها وولده، وخصها بالذكر في المسؤولية، تقديرا منه لها في تحملها هذه المسؤولية، وذلك في الحديث المتفق عليه الذي جعل الرسول فيه كل فرد في المجتمع الإسلامي مسؤولا عما في حوزته وتحت إدارته، بحيث لا يفلت من قبضة المسؤولية أحد، سواء أكان رجلا أم امرأة: "كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، فكلكم راع ومسؤول عن رعيته"(١٦٩).

واعلمي أن حنوك على أولادك، ورعايتك لزوجك، هما أجمل ما تتجملين به وقد أشاد بهما الرسول الكريم ممتدحا نساء قريش: "خير نساء ركبن الإبل نساء قريش، أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده"(١٧٠). إنها لشهادة لنساء قريش ودعوة لكل امرأة مسلمة أن تكون مثلهن في حنوها على أولادها، وفي رعايتها لزوجها. فبهاتين الصفتين العظيمتين ينجح الزواج، ويسعد الفرد، وتنعم الأسرة، ويتقدم المجتمع.

وإنه لشرف للمرأة كبير أن تحف زوجها وتهتم بشؤونه وترعاه، في مصبحه وممساه، ولك في السيدة عائشة أم المؤمنين أسوة حسنة، إذ كانت ترافق الرسول (صلى الله عليه وسلم) في حجه، وتحيطه بعنايتها ورعايتها، تقول: "طيبت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بيدي هاتين حين أحرم، ولحله حين أحل قبل أن يطوف، وبسطت يديها"(١٧١). وروي عنها أنها قالت:

---

(١٦٨) متفق عليه. انظر شرح السنة ٣٢٧/٩ كتاب العدة: باب نفقة الأولاد والأقارب.
(١٦٩) متفق عليه. انظر شرح السنة ١٠/١٦ كتاب الإمارة والقضاء: باب الراعي مسؤول عن رعيته.
(١٧٠) انظر صحيح مسلم ٨١/١٦ كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل نساء قريش.
(١٧١) فتح الباري ٥٨٥/٣ كتاب الحج: باب الطيب.

"كان النبي (صلى الله عليه وسلم) إذا اعتكف يدني إلي رأسه فأرجله، وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان"[١٧٢]. وقالت: "كنت أغسل رأس رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأنا حائض"[١٧٣].

وتشتد السيدة عائشة في توصية النساء بـأزواجهن ومعرفتـهن حقـوق أزواجهن عليهن، حتى إ ا لترى هذه الحقوق من الضخامة والخطورة والأهمية ما جعلها تقول: "يا معشر النساء، لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن، لجعلـت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمى زوجها بحر وجهها"[١٧٤].

إنه لتصوير معبر عن أهمية حق الزوج على المرأة، أرادت أم المـؤمنين أن تقرب فيه إلى أذهان النساء المستكبرات المستعليات علـى أزواجهـن ذلـك الشعور الجافي الغليظ النشاز الذي كثيرا ما يودى بصرح الحياة الزوجيـة، أو يقبلها إلى جحيم لا يطاق. إن إكرام الزوج والحفاوة به خلق أصيل في أمتنـا، وهو من مكارم الأخلاق التي كانت سائدة في الجاهليـة وأقرهـا الإسـلام، وتوارثتها الأجيال العربية المسلمة.

أطيعي زوجك وكوني به بارة: ولا يغب عن بالك أيتها المسلمة الواعيـة قول الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم): "إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وأطاعت زوجها، وحفظت فرجها، قيل لها: ادخلي الجنـة مـن أي الأبواب شيئت"[١٧٥]. وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسـول الله (صلى الله عليه وسلم): "أيما امرأة ماتـت وزوجهـا عنـها راض دخلـت الجنة"[١٧٦]. ولا تغب عن مخيلتك تلك الصورة الوضيئة المشرقة الـتي رسمهـا الرسول (صلى الله عليه وسلم) للزوجة الصالحة حـين قـال: "ألا أخـبركم بنسائكم في الجنة؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: ولود ودود، إذا غـضبت، أو أسئ إليها، أو غضب زوجها، قالت: هذه يدي في يدك، لا أكتحل بغمـض

(١٧٢) صحيح مسلم ٩٩/٨ كتاب الحيض: باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجليه.
(١٧٣) فتح البارى ٤٠٣/١ كتاب الحيض: باب مباشرة الحائض، وصحيح مسلم ٢٠٩/٣ كتاب الحيض: باب جواز غسل الحائض رأس زوجها.
(١٧٤) رواه ابن حبان فى صحيحه، والبزار بإسناد جيد، رواته ثقات مشهورون. انظر أحكام النساء لابن الجوزى ص ٣١١
(١٧٥) رواه أحمد والطبرانى، ورواته ثقات. انظر مجمع الزوائد ٣٠٦/٤ باب حق الزوج على المرأة.
(١٧٦) رواه ابن ماجه ٥٩٥/١ كتاب النكاح: باب حق الزوج على المرأة، والحاكم ١٧٣/٤ كتاب البر والصلة، وقال: صحيح الإسناد.

حتى ترضي"[١٧٧]. واعلمي أختاه أن الإسلام الذي أجزل لك المثوبة بطاعتك لزوجك، هو نفسه الذي توعد كل امرأة تنكبت سبيل طاعة الزوج، وأعرضت عنه، ولم تبال به، توعدها بالإثم والسخط ولعنات الملائكة: ففي الصحيحين عن أبى هريرة أيضا أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته، فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح"[١٧٨].

وفي صحيح مسلم عن أبى هريرة أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "والذي نفسى بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه، فتأبى عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطا عليها، حتى يرضي عنها"[١٧٩].

لقد حلت اللعنة على كل امرأة نافرة ناشزة شرسة، ولم تنج منها المتثاقلات المتباطئات عن أزواجهن المسوفات: "لعن الله المسوفات التي يدعوها زوجها إلى فراشه، فتقول: سوف، حتى تغلبه عيناه"[١٨٠].

لقد كان الزواج في الإسلام لإحصان الرجل والمرأة على السواء، ومن ثم كان على المرأة أن تستجيب لرغبة زوجها إذا سألها نفسها، ولا تتذرع بعلل واهية، متهربة منه؛ ولهذا وردت أحاديث تحض على هذه الاستجابة ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، مهما تكن الشواغل والعوائق، إلا إذا كان هناك عذر قاهر مانع لا سبيل إلى دفعه، ومن تلك الأحاديث قوله (صلى الله عليه وسلم): "إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلتجب وإن كانت على ظهر قتب"[١٨١]. وقوله: "إذا دعا الرجل زوجته لحاجته، فلتأته، وإن كانت على التنور"[١٨٢]. ذلك أن قضية إحصان الرجل وإبعاده عن الفتنة أهم من كل عمل تقوم به المرأة؛ لأن الإسلام يريد للرجل والمرأة على السواء أن يعيشا في جو، كله نقاء وصفاء وطهر وبعد عن أي أثارة من آثار الفتنة والتطلع إلى

---

(١٧٧) رواه الطبرانى، ورواته محتج بهم فى الصحيح. انظر مجمع الزوائد ٣١٢/٤.
(١٧٨) فتح البارى ٢٩٤/٩ كتاب النكاح: باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها، وصحيح مسلم ٨/١٠ كتاب النكاح: باب تحريم امتناع المرأة من فراش زوجها.
(١٧٩) صحيح مسلم ٧/١٠ كتاب النكاح: باب تحريم امتناع الرأة عن فراش زوجها.
(١٨٠) حديث صحيح رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير. انظر مجمع الزوائد ٢٩٦/٤ باب فيمن يدعوها زوجها فتعتل.
(١٨١) رواه البزار ورجاله رجال الصحيح. انظر مجمع الزوائد ٣١٢/٤.
(١٨٢) حديث حسن صحيح رواه االترمذى٣١٤/٢ أبواب الرضاع: ١٠، وابن حبان فى صحيحه ٤٧٣/٩ كتاب النكاح.

اللذة الحرام. ولا يطفئ سعار الشهوة، ويطرد خاطرة الجنوح إلى الحرام، إلا تفريغ الطاقة الطبيعية في مصرفها الحلال الطبيعي المشروع. ويزداد وعيد المرأة الساخط عليها زوجها، حتى يبلغ حدا، ينخلع له قلب كل زوجة تقية، ترجو الله واليوم الآخر، فعن جابر بن عبد الله، قال: "قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ثلاثة لا تقبل لهم صلاة، ولا تصعد لهم إلى السماء حسنة: العبد الآبق حتى يرجع إلى مواليه، فيضع يده في أيديهم، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضي، والسكران حتى يصحو"[١٨٣].

والمقصود بسخط الزوج على زوجته، حين يكون الزوج على حق، وهى على خلافه. أما حين يكون الزوج هو الظالم، فسخطه لا يضرها بشيء، بل إن الله تعالى يثيبها على صبرها، ورغم ذلك تبقى الزوجة مطالبة بمحاسنة زوجها وطاعته في غير معصية، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وفي ذلك يقول الرسول الكريم: "لا يحل لامرأة تؤمن بالله أن تأذن في بيت زوجها وهو كاره، ولا تخرج وهو كاره، ولا تطع فيه أحدا، ولا تعزل فراشه، ولا تضربه. فإن كان هو أظلم، فلتأته حتى ترضيه فإن قبل منها فبها ونعمت، وقبل الله عذرها، وأفلج حجتها[١٨٤]، ولا إثم عليها، وإن هو لم يرض، فقد أبلغت عند الله عذرها"[١٨٥].

زوجك وبنيك أولى بالصدقة: فإن كنت أختاه من ذوات الغنى، فلا يغشي بصرك فتنة المال والغنى والاستقلال الاقتصادي الذي تتمتعين به، بل ابقي راعية حقوق زوجك، محسنة عشرته مهما بلغت من السعة والغنى، ولا تنسي واجب الشكر لله عز وجل على ما أعطاك من جزيل نعمه، وأكثري من الصدقة تبتغين ا وجه الله عز وجل، وأول من تخصين بعطائك المغدق زوجك، إن كان معسرا، فيكون لك بذلك أجران، أجر القرابة وأجر الصدقة، ففي الحديث الذي روته زينب الثقفية، امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قالت: "قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تصدقن يا معشر النساء، ولو من حليكن". قالت: فرجعت إلى عبد الله بن مسعود، فقلت: إنك رجل خفيف ذات اليد، وإن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد أمرنا بالصدقة،

---

(١٨٣) رواه ابن حبان فى صحيحه ١٧٨/١٢ كتاب الأشربة: فصل فى الأشربة.
(١٨٤) أى أظهرها وقواها.
(١٨٥) رواه الحاكم ١٩٠/٢ كتاب النكاح، وقال: صحيح الإسناد.

فائته، فاسأله، فإن كان ذلك يجزئ عنى، وإلا صرفتها إلى غيركم. فقال عبـد الله: بل ائته أنت. فانطلقت، فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مثل حاجتها حاجتى، وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد ألقيت عليه المهابة، فخرج علينا بلال رضي الله عنه، فقلنا له: ائت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فاخبره أن امرأتين بالباب يسألانك: أتجزئ الـصدقة عنهما على أزواجها وعلى أيتام في حجورهما؟ ولا تخبره من نحـن. قالـت: فدخل بلال على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فسأله، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم): من هما؟ قال: امرأة من الأنصار وزينب. فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "أي الزيانب؟ "قال: امرأة عبد الله بن مـسعود، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "لهما أجران: أجر القرابـة، وأجـر الصدقة(١٨٦)". وفي رواية للبخارى: "زوجك وولدك أحق من تـصدقت بـه عليهم(١٨٧)". إن المرأة المسلمة الواعية تنتبه دوما للشكر على النعمة إن غمر ا السراء، ولا يخو ا الصبر إن مستها الضراء، ولا يغيب عنها تحـذير الرسـول (صلى الله عليه وسلم) للنساء عامة، في الحديث الذي رواه الشيخان عن ابـن عباس رضي الله عنهما أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "يا معشر النساء، تصدقن، فإنى رأيتكن أكثر أهل النار. فقلن: وبم ذلك يا رسـول الله؟ قـال: تكثرن اللعن. وتكفرن العشير(١٨٨)". وفي رواية لأحمد: "قال رجل: يا رسول الله، أولسن أمهاتنا وأخواتنا وأزواجنا؟ قال: بلـى، ولكنـهن إذا أعطـين لم يشكرن وإذا ابتلين لم يصبرن(١٨٩)".

والمرأة المسلمة الراشدة التقية، إذ تتأمل هذه الأحاديث الصحاح تبقـى في حذر دائم من الوقوع في إثم كفران العشير، وكثرة اللعن، وجحود الإحسان، ونسيان الشكر في السراء، ففقدان الصبر في الضراء، وتسارع في كل حـين إلى التعبير عن تقدير الزوج، والتنويه بفضائله، وذكر شمائله، ونشر محاسنه. وهذا هو الوفاء الخليق بالمرأة المسلمة الوفية، وفي تاريخ المرأة المسلمة مواقف خالدة تنضح بالوفاء والاعتراف بالفضل وذكر الشمائل الرفيعة للزوج.

---

(١٨٦) فتح البارى ٣٢٨/٣ كتاب الزكاة: باب الزكاة على الزوج والأيتام فى الحجر، وصحيح مسلم ٨٦/٧ كتاب الزكاة: باب الزكاة على الأقارب.

(١٨٧) فتح البارى ٣٢٥/٣ كتاب الزكاة على الأقارب.

(١٨٨) فتح البارى ٣٢٥/٣ كتاب الزكاة: باب الزكاة عل الأقارب، وصحيح مسلم ٦٥/٢. كتاب الإيمان: باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات. والعشير: الزوج.

(١٨٩) رواه أحمد ٤٢٨/٣، ورجاله رجال الصحيح.

ومنها ما وعاه التاريخ عن أسماء بنت عميس، وهي إحـدى عظيمـات النساء في الإسلام، من السابقات المهاجرات النجيبات، وكانت لجعفر بن أبى طالب، ثم لأبى بكر الصديق من بعده، ثم خلفهما علـي، رضـي الله عنـهم أجمعين، فتفاخر مرة ولداها محمد بن جعفر، ومحمد بن أبي بكر، كل يقول: أنا أكرم منك، وأبي خير من أبيك، فقال لها علي: اقضي بينهما يا أسماء، فقالت: ما رأيت شابا من العرب خيرا من جعفر، ولا رأيت كهلا خيرا من أبى بكر. فقال علي: ما تركت لنا شيئا، ولو قلت غير الذي قلت لمقتك! فقالت أسماء: إن ثلاثة أنت أقلهم لخيار(١٩٠). فيا لرجاحة العقل! ويا لفطنة الإجابة ولباقـة التعبير! لقد أعطت كلا منهم ما يستحق من التقـدير، وأرضـت عليـا، إذ أدخلتهم جميعا في زمرة الأخيار.

وقد وعى تراثنا العربى نصوصا بليغة في توصية الأمهات بنـاتهن برعايـة الزوج وبره وإكرامه، تعد وثائق اجتماعية ثمينة راقية. ومن أبرزها وأجملها ما روي عن أمامة بنت الحارث، وهي من ربات الفـصاحة والبلاغـة والـرأي والعقل وصيتها لابنتها وهى على أبواب الزواج، بصيغة رائعة، جـديرة بـأن تكتب بمداد من ذهب. قيل: لما زوج عوف بن محلم الشيبانى، وكـان سـيدا مطاعا من أشراف العرب في الجاهلية، ابنته أم إياس من الحارث بـن عمـرو الكندى، فجهزت وحضرت لتحمل إليه، دخلت عليها أمها أمامة لتوصـيها، فقالت: يا بنية، إن الوصية لو تركت لفضل في الأدب، أو مكرمة في الحسب، لتركت لذلك منك، ولكنها تذكرة للغافل، ومعونة للعاقل.

أي بنية، لو استغنت المرأة عن زوجها بغنى أبويها وشدة حاجتهما إليهـا، لكنت أغنى الناس عنه، ولكن النساء خلقن للرجال، كما لهن خلق الرجال.

أي بنية، إنك قد فارقت الجو الذي منه خرجت، والعـش الـذي فيـه درجت، إلى وكر لم تعريفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليـك مليكـا، فكونى له أمة يكن لك عبدا. احملي عني خصالا عشرا، تكن لك ذخرا وذكرا:

أما **الأولى والثانية**: فالصحبة له بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة؛ فإن في القناعة راحة القلب، وفي حسن السمع والطاعة رضا الرب.

---

(١٩٠) الطبقات الكبرى ٢٠٨/٧-٢٠٩.

وأما **الثالثة والرابعة**: فالتفقد لموضع أنفه، والتعهد لموضع عينه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم أنفه منك إلا أطيب ريح. وإن الكحل أحسن الحُسن الموجود، والماء أطيب الطيب المفقود.

وأما **الخامسة والسادسة**: فالتعهد لوقت طعامه، والهدوء عند منامه؛ فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة.

وأما **السابعة والثامنة**: فالإرعاء على حشمه وعياله، والاحتفاظ بماله؛ فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير، والإرعاء على الحشم والعيال حسن التدبير.

وأما **التاسعة والعاشرة**: فلا تفشي له سرا، ولا تعصي له أمرا؛ فإنك أن أفشيت سره، لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره، أوغرت صدره.

ثم اتقي يا بنية الفرح لديه إذا كان ترحا، والاكتئاب إذا كان فرحا؛ فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير. وكوني أشد ما تكونين له إعظاما، يكن أشد ما يكون لك إكراما، وأشد ما تكونين له موافقة، يكن أطول ما تكونين له مرافقة. واعلمي يا بنية أنك لن تصلي إلى ما تحبين منه حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك، فيما أحببت وكرهت، والله يخير لك ويحفظك(١٩١). وحملت إليه، فعظم موقعها عنده، وولدت له الملوك الذين ملكوا بعده. وواضح أن هذه الوصية جامعة شاملة كل ما يخطر على البال، مما تحتاج إليه الفتاة في حياتها الزوجية من مكارم الأخلاق، وحسن العشرة، وذكاء التصرف والتعامل، ومن ثم صلحت أن تكون دستورا لكل فتاة مقبلة على الزواج.

أكرمي أهله وبري أمه: اعلمي أن أعظم الناس حقا على الرجل أمه، وأن أفضل ما تبرين به زوجك هو أن تعينيه على إكرام أمه والبر بها، وأن تكرميها أنت أيضا وتبريها وتحترميها وتقدريها، فتكسبي بذلك حسنة لك، وحسنة لزوجك، فأنت المعينة على البر والتقوى والعمل الصالح الذي أمر به القرآن الكريم وأنت الحبيبة إلى قلب زوجك، الذي يقدر إكرامك وبرك لأهله عامة، ولأمه خاصة، إذ ما من شيء أثلج لقلب الرجل البر الكريم الشهم من أن يرى أواصر الود والاحترام والتقدير والتواصل معقودة بين زوجه وأهله، وما من

---

(١٩١) جمهرة خطب العرب ١٤٥/١

شيء أبغض لقلب الرجل الكريم من أن يرى تفكك الأواصر واستحكام الشر والبغض والحقد والكيد بين زوجه وأهله.

وقد تبتلى الزوجة المسلمة بحماة[192] أو بأحماء ليسوا على خلق حسن، فواجبها في مثل هذه الحالة أن تحسن التعامل معهم بشيء غير قليل من اللباقة والكياسة والمجاملة والتلطف والدفع بالتي هي أحسن. بحيث تحفظ التوازن في صلاتها بأحمائها، وتجنب نفسها وحياتها الزوجية أي أثر قد ينتج عن اختلال ذلك التوازن. ولا تحسبن المرأة المسلمة أنها هي المطالبة وحدها في بر الزوج ورعايته وحسن معاشرته، فمن واجب الزوج المسلم أن يحسن القوامة على زوجته، ولا يتحقق له هذا الإحسان إلا إذا كان رجلا ناجحا في قيادته لبيته وأسرته، بما اتصف به من صفات رجولية محببة للمرأة، كقوة في الشخصية من غير عنف، ولين في الجانب من غير ضعف، وخلق عال نبيل، وسماحة، وإغضاء عن الهفوات، وقيادة بارعة حكيمة لبقة لدفة الحياة الزوجية، وبذل وسخاء في غير سرف ولا تبذير، واحترام لمشاعر الزوجة وإشعارها بالمسؤولية معه في تدبير شؤون البيت، وتربية الأطفال، والتعاون على بناء الأسرة المسلمة الراقية، كما أراد لها الإسلام أن تكون.

توددي لزوجك واحرصي على رضاه: وأسمعيه الكلام الطيب المفرح، وأمسكي عن الكلام الجارح المؤذي المكدر، وقدمي إليه الأنباء السارة، وجنبيه الأخبار المحزنة، ما استطعت إلى ذلك سبيلا، أو أجليها إلى وقت مناسب يخف فيه وقعها عليه وتلمسي السبل والأساليب المناسبة للدخول بها إلى نفسه، ولك في الصحابية الجليلة أم سليم بنت ملحان، زوجة أبي طلحة الأنصاري أسوة حسنة، فقد فجعت بابنها، وكان أبو طلحة مسافرا، فكان لها هذا الموقف الفريد لولا ثبوته في صحيح مسلم لعددناه من الأساطير. ولنستمع إلى ابنها أنس بن مالك يحكي قصة أمه العجيبة وموقفها الفريد، قال: "مات ابن لأبي طلحة من أم سليم، فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه. قال: فجاء فقربت إليه عشاء، فأكل وشرب قال: ثم تصنعت له أحسن ما كان تصنع قبل ذلك، فوقع بها، فلما رأت أنه قد شبع، وأصاب منها، قالت: يا أبا طلحة، أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت، فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا، قالت: فاحتسب ابنك. قال: فغضب،

(١٩٢) هي أم الزوج، والأحماء: أهل الزوج عامة.

وقال: تركتنى حتى تلطخت، ثم أخبرتنى بابني، فانطلق حتى أتـى رسـول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما كان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسـلم: "بارك الله لكما في غابر ليلتكما". قال: فحملت، قال: فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر وهي معه، وكان رسول الله صلى الله عليه وسـلم إذا أتى المدينة من سفر لا يطرقها طروقا، فدنوا من المدينة، فـضر ا المخـاض، فاحتبس أبو طلحة، وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يقول أبـو طلحة: إنك تعلم يا رب أنه يعجبنى أن أخرج مع رسولك إذا خرج وأدخـل معه إذا دخل. وقد احتبست بما ترى. قال: وضر ا المخـاض حـين قـدما، فولدت غلاما، فقالت لي أمى: يا أنس، لا يرضعه أحد حتى تغدو بـه علـى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما أصبح احتملته، فانطلقت به إلى رسـول الله صلى الله عليه وسلم بعجوة من عجوة المدينة، فلاكها في فيه حتى ذابـت، ثم قذفها في الصبى، فجعل الصبى يتلمظها. قال: فقال رسول الله (صـلى الله عليه وسلم): "انظروا إلى حب الأنصار التمر". قال: فمسح وجهه، وسماه عبد الله"(١٩٣). لله أنت يا أم سليم! ما أعظم إيمانك! وما أروع صبرك! وما أكـبر فضلك! وما أحسن تجملك لزوجك وتوددك له! كيف استطعت أن تبتلعـي مرارة حزنك على فلذة كبدك؟ وكيف تماسكت نفسك الثكلى الولهى المولعة على الفقيد الحبيب، وأنت تقضين تلك اللحظات مع زوجك صابرة محتسبة، تبتغين بصبرك واحتسابك وحسن تبعلك زوجك مرضاة الله عز وجل؟! إنـه الإيمان الحق الصادق العميق.

وقد تحققت بركة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المولود، إذ جاء من نسله عشرة رجال علماء أخيار. لا جرم أن الله علم صدق إيمانـك، فجاءتك البشرى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم: "دخلـت الجنـة، فسمعت خشفة، فقلت من هذا؟ قالوا: هذه الغميصاء بنت ملحان، أم أنس بن مالك(١٩٤)".

ومن المواقف الذكية المحببة في تودد المرأة المسلمة لزوجها: مـا قالتـه أم المؤمنين عائشة للنبى صلى الله عليه وسلم حين عودته الى نسائه بعد أن اعتزلهن شهرا، وكان قد قال: "ما أنا بداخل عليهن شهراً" من شدة موجدته علـيهن.

---

(١٩٣) صحيح مسلم ١١/١٦ كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل أم سليم.
(١٩٤) انظر صحيح مسلم ١١/١٦ كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل أم سليم.

فلما مضت تسع وعشرون دخل على عائشة، فبدأ ا، فقالت له عائشة: إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا، وإنا أصبحنا بتسع وعشرين ليلـة، أعـدها عدا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم "الشهر تسع وعشرون"، وكـان ذلـك الشهر تسعا وعشرين[(١٩٥)]. ففي قول أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها: إنا أصبحنا بتسع وعشرين ليلة، أعدها عدا، تعبير موح بتعلق قلـب الزوجـة المحبة الودود بزوجها، وترقب عودته إليها ليلة ليلة، وساعة ساعة، وفيه تـودد وتحبب واستمالة لقلب الزوج المحب المشتاق، إذ بدأ ا قبل غيرها من نسائه.

والمرأة المسلمة الحصيفة الودود تتعرف على ميول زوجها ورغباته وعاداته، وتعمل على مراعا ا، ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، ابتغاء التفاهم والانسجام في مسيرة الحياة الزوجية، ودفعا للسأم والتذمر من رتابتها، وهذا ما تفعله كل امرأة ذكية واعية نا ة؛ فقد روى عن شريح القاضى الفقيه أنه تزوج امرأة من بنى حنظلة، وفي ليلة الزفاف صلى كل من الزوجين ركعتين، وسألا الله لهمـا الخير، ثم أقبلت الزوجة على شريح قائلـة: إني امـرأة غريبـة، لا علـم لي بأخلاقك، فبين لى ما تحب فآتيه، وما تكره فأبتعد عنه، قال شريح: مكثـت معى عشرين سنة، لم أعتب عليها في شيء، إلا مرة واحدة وكنت لها ظالمـا. هذه هي الزوجة البرة الودود التي يريدها الإسلام، راعية لبيتها، وفية لزوجها، حريصة على دوام العشرة بينهما. وإذا ما هبت على حيا ما الزوجية ريـاح مكدرة سارعت إلى تنقية الجو بالتودد الصادق والتفاهم الحكيم، ولا تسمع إلى وسوسات الشيطان ونزغات النفس الأمارة بالسوء، فتسارع إلى طلب الطلاق من زوجها؛ ذلك أن عقدة الزوجية أجل وأكبر من أن تنفصم عراها لخـلاف عارض أو سوء تفاهم ناشز، ولذلك توعد الرسول صلى الله عليه وسلم المرأة الخفيفة الطائشة الحمقاء المسارعة إلى طلب الطلاق من زوجها لغير ما سـبب شرعى قاهر بحرما ا من رائحة الجنة إذ قال: "أيما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير بأس[(١٩٦)] فحرام عليها رائحة الجنة[(١٩٧)]".

---

(١٩٥) من حديث طويل فى البخارى ومسلم. انظر فتح البارى ١٦/٥ كتاب المظالم: باب الغرفة والعلية المشرفة، وصحيح مسلم ١٩٥/٧ كتاب الصيام: باب بيان أن الشهر يكون تسعا وعشرين.

(١٩٦) أى عذر شرعى أو سبب قوى.

(١٩٧) حديث حسن صحيح، رواه الترمذى ٣٩٢/٢ أبواب الطلاق: ١١، وابن حبان ٤٩٠/٩ كتاب النكاح: باب معاشرة الزوجين.

لا تفشي سر زوجك مهما صغر أو كبر: أيتها الأخت التقية الحصان لا تنشري سر زوجك، ولا تتحدثي إلى أحد بما يكون بينكما من أعمال وأسرار؛ فأنت أكبر وأرفع من التدني إلى مستوى الاستهتار والسمو والخوض في الأحاديث الرخيصة التافهة التي تكون في البيئات المتدنية، وإن وقتك لأثمن من أن يضيع في مثل هذه الأعمال الوضيعة التي لا تصدر إلا عن الفارغين والفارغات والتافهين والتافهات. فاربئي بنفسك أن تكوني من هذا النمط من الناس الذين وصفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر الناس في قوله: "إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه، ثم ينشر أحدهم سر صاحبه"(198).

وهناك أسرار ليس إفشاؤها في هذه الدرجة من القبح والاستهجان، ولكنه إفشاء مكروه مستنكر على كل حال؛ لأن حفظ السر في حد ذاته من الفضائل والكمالات، ولقد أدى إفشاء الحديث الذي أسره النبي صلى الله عليه وسلم إلى زوجه السيدة حفصة، فنقلته إلى السيدة عائشة، وما تبعه من اضطرابات في بيت الرسول صلى الله عليه وسلم إلى اعتزال النبي صلى الله عليه وسلم نساءه شهرا من شدة موجدته عليهن(199). وفي ذلك يقول الله تعالى: "وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ" (التحريم:3).

لقد واجه الرسول الزوج زوجتيه بخطئهما، ودعاهما إلى التوبة، لتعود قلوبهما إلى الله، بعد أن بعدت عنه بما كان منهما، وإلا فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة: "إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ" (التحريم:3)، ثم وجه لهن تهديدا صريحا مخيفا بفقدان شرف الاقتران برسول الله صلى الله عليه وسلم إن أصررن على أخطائهن: "عَسَى رَبُّهُ إِنْ

(198) صحيح مسلم 8/10 كتاب النكاح: باب تحريم إفشاء سر المرآة، والترغيب والترهيب 86/3 كتاب النكاح: باب إفشاء السر بين الزوجين.

(199) روى حديث اعتزال النبى صلى الله عليه وسلم نساءه البخارى ومسلم وغيرهما. انظر فتح البارى 116/5 كتاب المظلم: باب الغرفة والعلية المشرفة و 656/8 كتاب التفسير: سورة التحريم، وصحيح مسلم 195/7 كتاب الصيام: باب بيان أن الشهر يكون تسعا وعشرين.

طَلقَكُن أن يبدلَه أزواجاً خيراً منكُن مسلمات مؤمنات قَانِتات تائبات عابِدات سائحات ثَيبات وأبكاراً" (التحريم:٣).

إن في هذا الحادث لتوجيها بليغا للمرأة المسلمة بقيمة حفظ المـرأة سـر زوجها، وأثر هذا الحفظ في استقرار النفوس والضمائر والبيوت. ولقد كان من نعمة الله الكبرى على المسلمين بخاصة، وعلى البشرية بعامة، أن جعل حيـاة الرسول صلى الله عليه وسلم الخاصة والعامة كتابا مفتوحا لأمتـه وللبـشرية كلها، تقرأ فيه قيم هذه العقيدة، وترى تطبيقا ا العملية في واقع الحياة. ومن ثم لم يكن فيها سر مخبوء، ولا ستر مطوي، بـل تعـرض في القـرآن والـسنة والحوادث والأحوال التي يطويها الناس عادة في حيا م العادية، ويحرصون على كتما ا، حتى مواضع الضعف البشرى الذي لا حيلة فيـه لبـشر، تعرضـها نصوص الإسلام للناس، ليتعلموا منها الحق من الباطل، والصواب من الخطـأ، والرشد من الغي، ولقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم أن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم كلها لله ولدعوته، فعلام يطوون جانبا من حياته أو يكتمونـه؟ وأن الوقائع المروية عنه في حياته وبيته وأزواجه هى إلتطبيق العملى لما يأمرهم به بلسانه، ولذلك نقلوا للناس - جزاهم الله خيراً - أدق تفـصيلات حياتـه (صلى الله عليه وسلم)، فلم يغادروا صغيرة ولا كبيرة في حياته اليومية العادية إلا سجلوها ونقلوها.

ففي إلى جانب زوجك وشاركيه الرأي: واعلمي أن الإسلام حث علـى التعاون بين الرجل والمرأة في كل شيء؛ فالرجل يعاون زوجه، ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو قدوة المسلمين طرا، في مهنة أهله حتى يخرج إلى الصلاة، كما تقول أم المؤمنين عائشة رضـي الله عنها[٢٠٠]. وكما كان الرجل في الإسلام يجاذب المرأة أمر العمل وتدبير الم ل، كذلك كانت المرأة تجاذبه شؤون العالم وجد الحياة بالقول والرأي والعمـل. فمن النساء ا اهدات من سارت مع الرجل جنبـا إلى جنـب في الغـزوات والمعارك، تروى العطاش، وتأسو الجراح، وتجبر الكسر، وترقأ الـدم، وتـثير الحمية، وربما غشيت غمار الحرب، واصطلت بنارها، وصالت وجالت بـين السيوف والقنا، وثبتت حين فر بعض الأبطال، وكان لها مواقف صادقات أثنى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم إ ا وقفت إلى جانـب الرجـل في

---

(٢٠٠) انظر فتح البارى١٦٢/٢ كتاب الأذان: باب من كان فى حاجة أهله.

السلم، تمده بالرأي السديد، وتثبت جنانه وقت الشدة، وتشد عضده في الموقف العصيب. ولقد وعى التاريخ أسماء عديد من الرجال العظماء في الإسلام، كانوا يستمعون إلى مشورة زوجاتهم، وعلى رأسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ كان يصدر أحيانا عن رأي خديجة وأم سلمة وعائشة وغيرهن من أزواجه، وكان عبد الله بن الزبير يصدر عن رأي أمه أسماء، ويصدر الوليد بن عبد الملك عن رأي زوجه أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان، والرشيد يصدر عن رأي زوجه زبيدة، وغيرهم في تاريخ الإسلام كثير.

ذلك أن المرأة المسلمة الواعية الراشدة تدرك ضخامة المسؤولية التي ألقاها الإسلام على عاتقها، إذ كلفها بحسن تبعل زوجها، وإحاطته بكل ما يرضي بشريته، ويغذي قلبه، ويمتع وجدانه، ويجدد نشاطه، ويجعله قادرا على أداء رسالته في الحياة. ومن ثم كانت لا تضن عليه برأي حين تراه بحاجة إلى هذا الرأي، ولا تتوانى عن الوقوف إلى جانبه، تشجعه، وتثبته، وتواسيه، وتشير عليه.

ولقد كانت المرأة المسلمة الأولى أم المؤمنين خديجة بنت خويلد المثال الأمثل للمرأة المؤثرة في حياة زوجها؛ إذ جاءها الرسول الكريم يوم نزل عليه الوحي فزعا مضطربا، ترجف بوادره[٢٠١]، وترتعد أوصاله، وهو يقول: زملوني زملوني، فهبت من فورها لمساندته والوقوف إلى جانبه بالرأي والعمل والتدبير والتشجيع.

ولنستمع إلى أم المؤمنين عائشة، تحكي لنا قصة بدء نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم، وصنيع خديجة الرائع، الأمثل من الرسول الكريم، كما رواها البخاري ومسلم، قالت: "كان أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه، وهو التعبد، الليالي أولات العدد قبل أن يرجع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها، حتى فجأه الحق، وهو في غار حراء، وجاءه الملك، فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني[٢٠٢] حتى بلغ مني

(٢٠١) البوادر: جمع بادرة، وهي اللحمة بين المنكب والعنق.
(٢٠٢) أي عصرني وضمني.

الجهد، ثم أرسلنى، فقال: أقرأ، قال: قلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: أقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: (اقْرأْ بِاسمِ ربكَ الذي خلَق * خلَقَ الْإنسانَ من علَقٍ * اقْرأْ وربك الْأَكْرم * الذي علم بِـالْقَلَمِ * علـم الْإنسانَ ما لَم يعلَم)

فرجع ا رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره[٢٠٣]، حتى دخل على خديجة، فقال: زملوني زملوني[٢٠٤]، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، ثم قال لخديجة: أي خديجة مالي؟ لقد خشيت على نفسي، وأخبرها الخـبر، قالـت خديجة: كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدا، والله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل[٢٠٥] وتكسب المعدوم[٢٠٦]، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. فانطلقت به خديجة، حتى أتت به ورقة بن نوفل ، وهو ابن عـم خديجة أخي أبيها، وكان امرءا تنصر في الجاهلية، وكـان يكتـب الكتـاب العبراني، ويكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك. قال ورقـة بـن نوفل: يا ابن أخى، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رآه، فقال له ورقة: هذا الناموس[٢٠٧] الذي أنزل على موسى عليه السلام، يا ليتنى فيها جذعا[٢٠٨]، ياليتنى أكون حيا حين يخرجك قومك. قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم: أو مخرجي هم. قال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بمـا جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا[٢٠٩]".

إن في هذا النص لدليلا عظيما وحجة بالغة على كمال الزوجة العظيمـة خديجة رضي الله عنها، وعلى جزالة رأيها، وقوة شخصيتها، وثبـات قلبـها، وعظم فقهها، وبعد نظرها؛ فقد رأت في الرسول الكريم من المكرمـات مـا جعلها توقن أن رجلا مثله لا يخزيه الله أبدا، ولا تحل بـه مـصارع الـسوء،

---

(٢٠٣) أى يضطرب جسمه.
(٢٠٤) أى غطونى بالثياب ولفونى ا.
(٢٠٥) أى تحمل ثقل الإنفاق على المحتاجين.
(٢٠٦) أى الرجل المحتاج.
(٢٠٧) الناموس فى اللغة: صاحب سر الخير. والمراد نه هنا. جبريل عليه السلام.
(٢٠٨) أى شابا قويا.
(٢٠٩) فتح البارى ٢٣/١ كتاب بدء الوحى: باب حديث عائشة أول ما بدئ به الوحى، وصحيح مسلم ١٩٧/٢ كتاب الإيمان باب بدء الوحى.

وأدركت بفطنتها أن وراء هذه الحالة الجديدة التي غشيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرا عظيما، أعد الله له رسوله، فانطلق صو ا العذب الحنون يزجى إليه البشرى، ويبث في قلبه الثقة والأمن والهدوء واليقين: "أبشر يا ابن عـم، واثبت، فوالذي نفس خديجة بيده إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة(٢١٠)". ثم انطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل الذي عنده علم من التوراة والإنجيـل، فأخبرها بحقيقة ما رأي الرسول الكريم.

لقد كانت أم المؤمنين الأولى خديجة رضي الله عنها للرسول الكريم وزيـر صدق على الإسلام. وحسبها شرفا ورفعة وخلودا أ ا كانت أول من آمـن بالله ورسوله، ووقفت إلى جانت زوجها الرسول صـلى الله عليـه وسـلم، تنصره، وتشد أزره، وتعينه على احتمال أقسى ضروب الأذى والاضطهاد التي لاقاها في فجر دعوته، وتحتمل معه ما لاقى من عنت وقرح ونصب ولغـوب. يقول ابن هشام في السيرة: "وآمنت خديجة بنت خويلد، وصدقت بما جاءه من الله، ووازرته على أمره، وكانت أول من آمن بالله ورسوله، وصدق بما جاءه به، فخفف الله بذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم. لا يسمع شيئا مما يكرهه من رد عليه وتكذيب له، فيحزنه ذلك، إلا فرج الله عنه ا إذا رجع إليهـا، تثبته، وتخفف عنه، وتصدقه، و ون عليه أمر الناس. رحمها الله تعالى(٢١١)".

إ ا صديقة النساء، وقامت بأعباء الصديقية بحق، فلا غرو أن تستحق من الله تعالى التكريم والرضوان والتقدير، كما في الحديث المتفق عليه الـذي رواه أبو هريرة، قال: "أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم، فقال يا رسـول الله، هذه خديجة قد أتتك، معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هـى أتتـك فاقرأ عليها السلام من ر ا ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب(٢١٢)".

وأنت أيتها المسلمة الراشدة لا ملي هذا الدور الهام في حياة زوجـك، أعملي عقلك، واقدحي زناد فكرك، وأشيري عليه حين يكون في أمس الحاجة إلى من يشير عليه، فكثير من المواقف التي خلدها التاريخ برزت فيها مـشورة المرأة الصائبة: من ذلك موقف المسلمين يوم صلح الحديبية، ومـا أبدتـه أم

---

(٢١٠) السيرة ٢٥٤/١

(٢١١) المصدر نفسه: ٢٥٧/١

(٢١٢) متفق عليه. انظر شرح السنة ١٥٥/١٤ كتاب فصائل الصحابة: باب مناقب جديجة.

المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها من حكمة عالية، ورأي سديد، فقد كانت أم سلمة في صحبة الرسول في العام السادس للهجرة، في رحلته إلى مكة معتمرا، وهي الرحلة التي صدت فيها قريش الرسول وصحبه عن دخول البيت الحرام، وتم فيها عهد الحديبية بين الرسول صلى الله عليه وسلم قريش، وهو عهد نصت شروط الصلح فيه على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيهن الناس، ويكف بعضهم عن بعض، وعلى أن من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشا من المسلمين لم يردوه عليه، وعلى أن يرجع المسلمون عامهم هذا فلا يدخلون مكة وشروط أخرى تبدو مجحفة، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يدرك بثاقب بصيرته المستنيرة بهداية الله أن هذا العهد الذي بدا في ظاهره صلحا مجحفا بحق المسلمين، هو النصر المؤزر للإسلام والمسلمين. أما الصحابة، فقد دخل عليهم أمر عظيم حين بلغهم نص العهد، ورأوا فيه إجحافا وبخسا لحقوقهم، وهم المنتصرون الغالبون، وقد عبر عن مشاعر الصحابة الغضبى عمر بن الخطاب، إذ أتى أبا بكر، فسأله: أليس برسول الله؟ قال: بلى. قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى. قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى. قال: فعلام نعطى الدنية في ديننا؟ فحذره أبو بكر قائلا: يا عمر، الزم غرزه[(٢١٣)]؛ فإني أشهد أنه رسول الله، قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله. ثم مضى عمر، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله مثل ما سأل أبا بكر، حتى إذا بلغ قوله:"فعلام نعطى الدنية في ديننا؟" أجابه الرسول صلى الله عليه وسلم: أنا عبد الله رسوله، لن أخالف أمره، ولن يضيعني[(٢١٤)]". هناك، أدرك عمر خطأ اندفاعه في المعارضة، فكان يقول: ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ، مخافة كلامي الذي تكلمت به، حتى رجوت أن يكون خيرا[(٢١٥)].

ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من إبرام عهد الصلح أمر أصحابه أن يقوموا، فينحروا، ثم يحلقوا، فما قام منهم رجل، فعل ذلك ثلاث مرات، وما منهم من مجيب. فدخل على زوجه أم سلمة، فذكر لها ما لقى من الناس. وهنا تجلت فطنة أم سلمة، وتبدى ذكاؤها، إذ قالت: يا رسول الله،

---

(٢١٣) أى الزم أمره.

(٢١٤) السيرة ٣٣١/٣، وانظر فتح البارى ٢٨١/٦ كتاب الجزية والموادعة: باب حديث سهل بن حنيف، وصحيح مسلم ١٤/١٢ كتاب الجهاد والسير: باب صلح الحديبية.

(٢١٥) السيرة ٣٣١/٣

أخرج لا تكلم أحدا منهم، تنحر بدنك وتحلق. وأخذ رسـول الله صـلى الله عليه وسلم بمشورتها، وفعل ما أشارت به. فلما رأي الصحابة ذلـك قـاموا مسرعين متدافعين، فنحروا، وجعل بعضهم يحلق رؤوس بعض، حـتى كـاد بعضهم يقتل بعضا غما وندما[٢١٦]. ثاب المسلمون بعد ذلـك إلى رشـدهم، وأدركوا عمق نظرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في عقد هذا الـصلح الذي كان فتحا عظيما؛ إذ دخل في دين الله بعد صلح الحديبية أكثـر ممـن دخلوا قبله. وفي صحيح مسلم أنه نزل قوله تعالى: "إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً"، وكان الفتح هو صلح الحديبية، فأرسل الرسول الكريم إلى عمر، فأقرأه، فقال: يا رسول الله، أوفتح هو؟ قال: نعم، فطابت نفسه ورجع[٢١٧].

شجعي زوجك على الإنفاق في سـبيل الله: علـى البـذل والـصدقة والإحسان في سبيل الله، لا على التبذير والإسراف وبعثرة المـال في وجـوه الترف والسفاهة والخيلاء، كما نرى عند كثيرات مـن النـساء الجـاهلات التافهات الشاردات عن هدى الله. ذلك أن المرأة المسلمة الواعية التقية تحـب لزوجها دوما البر والخير والفلاح، وتحضه على الـصالحات مـن الأعمـال، وتشجعه على الإكثار منها، إيمانا منها بأن دفع زوجها إلى الأعمال الصالحات يزيدها شرفا في الدنيا، وثوابا جزيلا في الآخرة.

ومن جميل ما يروى في تشجيع المرأة زوجها على النفقـة في سـبيل الله: موقف أم الدحداح جاءها زوجها يعلنها أنه تصدق بالبستان الذي تسكنه هي وعيالها طمعا في عذق[٢١٨] في الجنة، فكان جوابها: ربح البيع ربح البيـع. وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم:"كم من عذق رداح لأبي الدحـداح في الجنة، قالها مرارا[٢١٩]".

وأعيني زوجك على طاعة الله في كل ضروب الطاعـة وأشـكالها: ولا سيما قيام الليل؛ فإنك تسدين إليه نفعا عظيما؛ إذ تذكريه بما قـد يغفـل أو يكسل عنه أو يتهاون فيه، وتكونين سببا في دخوله وإياك في رحمة الله.

---

(٢١٦) زاد المعاد ٢٩٥/٣، والطبري ١٢٤/٢

(٢١٧) صحيح مسلم ١٤١/١٢ كتاب الجهاد والسير: باب صلح الحديبية.

(٢١٨) العذق من التمر: كالعنقود من العنب. انظر صحيح مسلم ٣٣/٧ كتاب الجنائز: باب اللحد ونصب اللبن على الميت.

(٢١٩) رواه أحمد والطبراني، ورجالهما رجال الصحيح، وانظر مجمع الزوائد ٣٢٤/٩ كتاب المناقب: باب ما جاء في أبي الدحداح.

وما أجمل الصورة الرضية التي رسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم للزوجين المتعاونين على الطاعة في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رحم الله رجلا قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء. ورحم الله امرأة قامت فصلت، وأيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء(٢٢٠)".

أختاه املئي نفس زوجك وادخلي قلبه: ولا يغيب عنك أيتها الواعية الحصيفة أن من أجل أعمالك في الحياة، بعد عبادة ربك، أن تنجحي في الدخول إلى قلب زوجك، وأن تملئي نفسه، بحيث يحس في قرارة نفسه أنه سعيد باقترانه بك، هنيء في عيشه معك، متيم بصحبتك. استخدمي ذكاءك في معرفة الوسائط والأسباب التي تفتح مغاليق قلب زوجك، لتدلفي إليه بيسر وسماحة وغبطة، ولتجلسي على عرشه منعمة هانئة سعيدة.

ولتعلمي أنك خير متاع في الحياة الدنيا في حس الرجل، كما جاء في الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة(٢٢١)".

وأنت خير متاع الدنيا، إن عرفت كيف تدخلين قلب زوجك وتملئين نفسه، ومن لم توفق في ذلك تكن في الغالب مصدر شقاء لزوجها وتعاسة ونكد. وهذا ما أكده رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "من سعادة ابن آدم ثلاثة، ومن شقوة ابن آدم ثلاثة. من سعادة ابن آدم: المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح. ومن شقوة ابن آدم: المرأة السوء، والمسكن السوء، والمركب السوء(٢٢٢)".

ومن هنا كان حسن تبعل المرأة زوجها، ودخول قلبه من الدين، لأن في ذلك عفة للرجل وحصانة، وتوطيدا لدعائم الأسرة، وسعادة لها ولزوجها ولأولادها. وإذا كانت المرأة بفطر ا تحب غزو قلب الرجل، وتجد في ذلك إرضاء لأنوثتها، وإرواء لـ عة الجاذبية والإغراء فيها، فإن المرأة المسلمة لا تقف عند هذه الدواعي والأسباب والـ عات، وإنما تجد في استمالة قلب زوجها

---

(٢٢٠) أخرجه أبو داود ٤٥/٢ فى كتاب الصلاة: باب قيام الليل، والحاكم ٣٠٩/١ كتاب صلاة التطوع، وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٢٢١) صحيح مسلم ٥٦/١٠ كتاب الرضاع: باب استحباب نكاح البكر.

(٢٢٢) رواه أحمد ١٦٨/١، ورجاله رجال الصحيح.

إرضاء لله عز وجل الذي جعل حسن تبعلها زوجها دينا، تحاسب عليه ومـن ثم فهي لا تألو جهدا في توددها لزوجها وتحببها إليه، بالمظهر الحسن، والكلمة الطيبة، والمعاشرة الراقية الحصيفة المحببة.

تزيني لزوجك: بكل ضروب الزينة والحلي، بحيث تبدين جميلة أنيقة فاتنة، تسرين عينه، وتدخلين السرور على قلبه، وهذا ما كانت عليه نساء الـسلف الصالحات، العاكفات على عبادة ر ن، وتلاوة كتابـه، وعلـى رأسـهن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنهما وغيرها. فقد كـن يرتـدين الثيـاب المبهجة، ويتخذن الحلي في الحضر والسفر، تجملا لأزواجهن.

دخلت بكرة بنت عقبة على أم المؤمنين السيدة عائشة رضـي الله عنـها فسألتها عن الحناء، فقالت: شجرة طيبـة ومـاء طهـور. وسـألتها عـن الحفاف[٢٢٣]، فقالت لها: إن كان لك زوج، فاستطعت أن تنتزعى مقلتيـك فتضعيهما أحسن مما هما فافعلى[٢٢٤]. ألا فلتـسمع الزوجـات المهمـلات المتساهلات في زينتهن لأزواجهن توجيه أم المؤمنين السيدة عائشة، وليعلمن أن زينتهن يجب أن تكون في المقام الأول لأزواجهـن، لا لرفيقـا ن ولـدا ن وصويحبا ن، وأن المتساهلات المقصرات في التزين لأزواجهن آثمات؛ لأ ـن يخللن بواجب كبير من واجبات الزوجية، وقد يكن بإهمالهن هـذا سـببا في انحراف أزواجهن عنهن، ومد أبصارهم إلى غيرهن.

إن الزوجة التي لا يقع بصر زوجها منها إلا على الشعر الأشعث المنفوش، والوجه الأصفر الشاحب، والثوب القميء المهلهل، لهي زوجة عاقـة غبيـة حمقاء، وليس بمغن عنها فتيلا أن تسارع إلى زينتها يوم تستقبل الـضيوف، أو تذهب لحفلة تجتمع فيها النساء، بينما تبقى في معظم أيامها مهملة مظهرهـا وزينتها لزوجها. وأحسب أن المرأة المسلمة المستنيرة دى دينها في نجوة مـن هذا التقصير وعصمة؛ لأ ا بارة بزوجها، ولا يجتمع البر بالزوج والتقصير بحقه في قلب زوجة مسلمة حصيفة واعية ودود.

لقد كان من هدى هذا الدين للمرأة أن تتزين لزوجها وتتجمل، بحيث لا يرى منها إلا ما يحب. ولذلك حرم عليها أن تظهر في ملابس الحداد القاتمـة

---

(٢٢٣) أى إزالة الشعر.

(٢٢٤) أحكام النساء لابن الجوزى: ٣٤٣

فوق ثلاثة أيام، إلا على زوجها، فقد أذن لها بالحداد عليه أربعة أشهر وعشرا، ونجد ذلك في الحديث الذي رواه البخاري عن زينب بنت أم سلمة، قالت: دخلت على زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي أخوها، فدعت بطيب فمست، ثم قالت: ما لي بالطيب من حاجة، غير أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول: "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد فوق ثلاث ليال إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا[(٢٢٥)]".

كوني مرحة مؤنسة شاكرة حين تلقين زوجك: فهذا لون من تجملك له إذ تجعلين حياته بهجة سعيدة مؤنسة، فتلقينه حين يؤوب إلى البيت، كالا من عمل يده، أو مجهدا من إعمال فكره، بوجه طلق، وابتسامة مشرقة، وكلمة طيبة، تطوين همومك ساعة تلقينه، لتنسيه بذلك بعض همومه، وتفتحي نفسه على السعادة وهناءة العيش، وتسمعيه كلمة الشكر والعرفان بالجميل، كلما بدرت منه نحوك بادرة خير، أو قدم لك شيئا حسنا، أو فعل ما يستحق عليه الشكر والثناء. ذلك أن المرأة المسلمة الواعية وفية منصفة، لا تعرف الجحود والكفران لأحد من الناس؛ لأن لها من هدى دينها ما يعصمها عن التردي في مهاوى الأخلاق الشرسة المنكرة للمعروف الجاحدة للفضل، فكيف مع زوجها الحبيب، ورفيق درب ا الطويل؟ لقد فقهت من هدى دينها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا يشكر الله من لا يشكر الناس[(٢٢٦)]"، فكل صانع خير ومعروف وبر من الناس يستحق الشكر والعرفان، فكيف تتوانين أو تترددين في إزجاء الشكر لزوجك، وأنت تسمعين قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها، وهى لا تستغنى عنه[(٢٢٧)]".

أختاه شاركي زوجك أفراحه وأتراحه لتدخلي قلبه وتملئي نفسه: فمشاركتك إياه في همومه ومسراته وبعض هواياته وأعماله اليومية، كالقراءة والرياضة والاستماع إلى بعض الأحاديث المفيدة، وغير ذلك، يشعره أنه ليس وحده في استمتاعه بطيبات الحياة، وإنما تبادله كؤوسها الشهية المترعة زوجة وفيه مرحة حصيفة ودود، وفي مسابقة الرسول الكريم صلوات الله عليه السيدة

---

(٢٢٥) فتح البارى ٤٨٤/٩ كتاب الطلاق: باب إحداد المتوفى عنها زوجها.
(٢٢٦) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ٣١٠/١ باب من لا يشكر الناس.
(٢٢٧) أخرجه الحاكم فى مستدركه ١٩٠/٢ كتاب النكاح، وقال: حديث صحيح الإسناد.

عائشة غير مرة: دليل على حض الإسلام الزوجين كليهما على المشاركة لما لها من أثر كبير في رى العاطفة الزوجية، وتوطيد أواصرها، وتوثيق عراها. وكما شاركته أفراحه ومسراته شاركيه همومه وأحزانه وأتراحه، وكوني إلى جانبـه بالكلمة الطيبة المؤنسة المواسية، والرأي السديد الناضج الناصح، والتعـاطف القلبى الصادق الملطف.

وغضي طرف عن غير زوجك من الرجال: ففي هذا عمل بقوله تعالى: "وقُل للْمؤمنات يغضضن من أبصارهن" والمرأة المسلمة التقية غضيضة الطرف لا تحد النظر إلى الرجال من غير المحارم، وهي من قاصرات الطـرف، وهـي الصفة المحببة إلى الرجال في المرأة؛ لأ ا تدل على نظافة الشعور وعفته، وسلامة النظر وأمانته، بل هي من أجمل صفات المرأة المسلمة الطاهرة العفيفة الحصان. ولذلك نوه ا القرآن الكريم في سياق الحديث عن نساء الجنة وصفا ن المحببة للرجال: "فيهن قَاصرات الطرف لَم يطْمـثْهن إِنـس قَـبلَهم ولَـا جـان" (الرحمن:٥٦).

واحذري أن تصفي لزوجك امرأة من صويحباتك أو معارفك؛ لأن ذلك منهي عنه في الإسلام بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "لا تباشـر المـرأة المرأة، فتنعتها لزوجها، كأنه ينظر إليها[٢٢٨]". ذلك أن الإسلام يريد للضمائر أن تقر، وللقلوب أن دأ، وللأفكار والخواطر والتخيلات المـثيرة أن تحـد، لينطلق الإنسان في حياته سويا مطمئنا هانئا، ميسرا لما خلق له من تكـاليف وأعمال، لا ينشغل فكره في مقارنات تافهة بين الواصفة والموصوفة، ولا يطيش صوابه لما يزينه له خياله من تلك المقارنات التي قد تفضي به إلى الغواية والفتنة والضلال.

حققي له الهدوء والراحة والسكن ولا تكتفي أيتها الواعيـة بتجملـك لزوجك ومشاركته فيما يحب من هوايات وأعمال، بل احرصـي علـى أن تحققي له الهدوء والراحة والسكينة في البيت، واحرصي على ألا يقع بصره إلا على ما يسره من بيت نظيف مرتب، يرى فيه النظام والذوق، وأولاد مهذبين مؤدبين نظيفين، ومائدة جميلة منسقة، ولا يغيب عـن بالـك أن الـزواج في الإسلام آية من آيات الله، إذ جعل الزوجة سكنا للزوج وراحـة وطمأنينـة

---

(٢٢٨) انظر فتح البارى ٣٣٨/٩ كتاب النكاح: باب لا تباشر المرآة فتنعتها لزوجها.

وأنسا وسلوى: "ومن آياته أنْ خلَق لَكُم من أنفُسِكُم أزواجاً لتسكُنوا إلَيهـا وجعلَ بينكُم مودةً ورحمةً"(الروم:٢١).

إ ا صلة النفس بالنفس في أعمق روابطها، يعقدها الله بين النفسين، لتنعما بالسكينة والطمأنينة والاستقرار والمتاع الحلال الطيب. وإن الزوجة لهي المثابة والأمن والراحة للرجل في بيت الزوجية المحبب، العامر بالمودة الخالصة والرحمة الظليلة الحنون. والمرأة المسلمة الراشدة خير من يفهم هذه المعانى العالية، وخير من يعمل على ترجمتها إلى واقع مؤنس مبهج سعيد.

عاملي زوجك بالتسامح والصفح: وتمثلـي قولـه تعـالى: "ولْيعفُـوا ولْيصفَحوا ألَا تحبونَ أن يغفر الله لَكُم" (النور:٢٢)، تـسامحي واصـفحي وتجاوزي عن الهفوات إن وقعت من زوجك، ولا تذكريه ـا بـين الحـين والحين، فما من صفة تنفتح لها مغاليق قلب الرجل مثل صفة التسامح والعفـو والغفران، وما من صفة توصد أبواب قلب الرجل مثل صفة حفـظ الهنـات، وتعداد السيئات، والتذكير بالهفوات.

كوني قوية الشخصية جادة حكيمة ناضجة التفكير: فهذه خلائق تتحلى ا المرأة المسلمة قبل زواجها وبعده؛ لأ ا نتاج فهمها لدينها، ووعيها لرسالتها في الحياة. إ ا قوية الشخصية في مرحلة اختيار الزوج، لا تذوب شخصيتها ولا تضمحل أمام رغبة والديها إن جنفا عن الحق، وأرادا إرغامها علـى زواج لا ترغب فيه. ولا تضعف شخصيتها أيضا أمام الرجل المتقدم لخطبتها، مهما بلغ من المال والجاه، إذا لم تتوافر فيه صفات الزوج المسلم الحـق. وهـى قويـة الشخصية بعد الزواج، على ما تميزت به من خلق رضي، وسـلوك دمـث، وطاعة محببة للزوج وتبرز قوة شخصيتها على وجه الخصوص حين يحتاج الأمر إلى تميز في الموقف يتعلق بعقيد ا ودينها، كنا رأينا في إصرار أم سـليم بنـت ملحان على الإسلام هي وابنها أنس، مع بقاء زوجها مالك بن النضر علـى الشرك ومعارضته لإسلامها[٢٢٩]، وكما رأينا أيضا في ثبات أم حبيبة بنت أبى سفيان على عقيد ا ودينها، يوم ارتد زوجها عبيد الله بن جحش الأسـدى، ودخل في دين الأحباش[٢٣٠]، وكما رأينا في إصرار بريرة على مفارقة زوجها

---

(٢٢٩) انظر ص ١٥٦.
(٢٣٠) انظر ص ٩٤.

الذي لا تحبه، مع شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم[231]، وكما رأينا في طلب امرأة ثابت بن قيس بن شماس طلاقها من زوجها الذي لا تحبه أيضا[232] واستجابة الرسول صلى الله عليه وسلم لطلبها. لقد كان الدافع الأساس وراء هذه المواقف القوية هو حرص كل واحدة من هؤلاء الفاضلات على سلامة الدين، ونقاء العقيدة، ومرضاة الله عز وجل في نهاية المطاف، ولولا قوة شخصيتها، وشعورها بعزة نفسها المؤمنة، لانصاعت لأمر الزوج الضال، وضاعت في متاهات ضلالاته، أو تجرعت غصص التعاسة والشقاء مع الزوج الذي لم ينفتح قلبها للعيش معه، وهذا شأن المرأة المسلمة المستنيرة بهدى دينها في كل زمان ومكان.

وليس المطلوب أختي المسلمة أن تخرجك قوة الشخصية عن طاعة الزوج وحسن معاشرته وبره وإكرامه وتوقيره، بل أن تكوني شخصية متوازنة حكيمة في أقوالك وأفعالك، بعيدة عن الطيش والتهور والخفة، حتى في ساعات الغضب التي لا تخلو منها حياة زوجين، تملكين زمام نفسك، فما تند منك عبارة مسيئة لزوجك، جارحة لمشاعره. وهذا شأن الشخصية القوية المتزنة المتماسكة. وقد روت السيدة عائشة أم المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله لها: "إنى لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت علي غضبى، قالت: ومن أين تعرف ذلك؟ قال: أما إذا كنت عني راضية، فإنك تقولين: لا، ورب محمد. وإذا كنت غضبى قلت: لا، ورب إبراهيم. قالت: أجل، والله يا رسول الله، ما أهجر إلا أسمك[233]". فيا للأدب العالى! ويا للود الخالص! ويا للذوق الرفيع! وقد برزت قوة شخصية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أقوى ما تكون يوم طعنت في شرفها فيما عرف بمحنة الإفك، ولست أجد أجمل وأوضح من عرض ابن قيم الجوزية لهذه الصفحة من حياة شخصية قوية واثقة بعدل الله وإنصافه. قال ابن القيم: "واقتضى تمام الامتحان والابتلاء أن حبس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي شهرا في شأنها، لا يوحى إليه في ذلك شيء، لتتم حكمته التي قدرها وقضاها، وتظهر على أكمل الوجوه، ويزداد المؤمنون الصادقون إيمانا وثباتا على العدل والصدق، وحسن الظن بالله ورسوله، وأهل بيته، والصديقين من عباده، ويزداد المنافقون إفكا ونفاقا،

---

(٢٣١) انظر ص ١٥٢.
(٢٣٢) انظر ص ١٥٢.
(٢٣٣) انظر صحيح مسلم ٢٠٣/١٥ كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل أم المؤمنين عائشة.

ويظهر لرسوله وللمؤمنين سرائرهم، ولتتم العبودية الرادة من الصديقة وأبويها، وتتم نعمة الله عليهم، ولتشتد الفاقة والرغبة منها ومن أبويها، والافتقار إلى الله، والذل له، وحسن الظن به".

"وأيضا فكان من حكمة حبس الوحى شهرا، أن القضية محصت وتمحضت، واستشرفت قلوب المؤمنين أعظم استشراف إلى ما يوحيه الله إلى رسوله فيها، وتطلعت إلى ذلك غاية التطلع، فوافي الوحى أحوج ما كان إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأهل بيته، والصديق وأهله، وأصحابه والمؤمنون، فورد عليهم ورود الغيث على الأرض أحوج ما كانت إليه، فوقع منهم أعظم موقع وألطفه، وسروا به أتم السرور، وحصل لهم به غاية الهناء، فلو أطلع الله رسوله على حقيقة الحال من أول وهلة، وأنزل الوحى على الفور بذلك، لفاتت هذه الحكم وأضعافها بل أضعاف أضعافها".

"وأيضا فإن الله سبحانه أحب أن يظهر م لة رسوله وأهل بيته عنده، وكرامته عليهم، وأن يخرج رسوله عن هذه القضية، ويتولى هو بنفسه الدفاع والمنافحة عنه، والرد على أعدائه، وذمهم وعيبهم بأمر لا يكون له فيه عمل، ولا ينسب إليه، بل يكون هو وحده المتولي ذلك، الثائر لرسوله وأهل بيته".

"وأيضا فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هو المقصود بالأذى، والذي رميت زوجته، فلم يكن له أن يشهد ببراء ا مع علمه، أو ظنه الظن المقارب للعلم ببراء ا، ولم يظن ا سوءا قط، وحاشاه وحاشاها، ولذلك لما استعذر من أهل الإفك، قال: "من يعذرنى[(٢٣٤)] في رجل بلغني أذاه في أهلي، والله ما علمت على أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي". فكان عنده من القرائن التي تشهد ببراءة الصديقة أكثر مما عند المؤمنين، ولكن لكمال صبره وثباته، ورفقه، وثقته بربه، بقي في مقام الصبر والثبات، وحسن الظن بالله، حتى جاءه الوحي بما أقر عينه، وسر قلبه، وعظم قدره، وظهر لأمته احتفال ربه به، واعتناؤه بشأنه.

"ومن تأمل قول الصديقة وقد نزلت براء ا، فقال لها أبواها: قومي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت: " والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله"، علم معرفتها، وقوة إيما ا، وتوليتها النعمة لر ا، وإفراده بالحمد في ذلك

---

(٢٣٤) أى من يقوم بعذرى إن كافأته على سوء صنيعه فلا يلومنى.

المقام، وإدلالها ببراءة ساحتها، فهي لم تفعل ما يوجب قيامها في مقام الراغب في العلم، الطالب له، ولثقتها بمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لها قالت ما قالت، إدلالا للحبيب على حبيبه، ولا سيما في مثل هذا المقام الذي هو أحسن مقامات الإدلال فوضعته موضعه، ولله ما كان أحبها إليه حين قالت: لا أحمد إلا الله، فإنه هو الذي أنزل براءتى، ولله ذلك الثبات والرزانة منها، وهو أحب شيء إليها، ولا صبر لها عنه، وقد تنكر لها قلب حبيبها شـهرا، ثم صـادفت الرضا منه والإقبال، فلم تبادر إلى القيام إليه، والسرور برضاه، مع شدة محبتها له، وهذا غاية الثبات والقوة[٢٣٥]".

ولا تحسبي أختي المسلمة أن هذا الموقف من السيدة عائشة رضي الله عنها يعنى الاستعلاء والتكبر والامتناع عما يرضي الزوج. فالمسلمة الواعية متواضعة لزوجها، بارة به، متوددة إليه، مطيعة إياه، ولكن شخصيتها لا تذوب أمامـه، ولو كان أحب حبيب، وأشرف الخلق طرا، ما دامت على الحق، مستمـسكة بالعروة الوثقى. وإنما كان موقف أم المؤمنين رضي الله عنها برهان على العزة التي أسبغها الإسلام عليك، والتكريم الذي أحاطك به، ما دمت ملتزمة شرع الله، مستمسكة دى دينك الحق، مطبقة تعاليمه السمحة، هذا وحده الطريق إلى قوة شخصيتك وعزتك وكرامك.

الخلاصة: كوني أختاه من أنجح الزوجات:

لعله قد تبين لك مما تقدم أن المرأة المسلمة النا ة بصفا ا الفكرية والنفسية والاجتماعية والجمالية، وبما وعت من هدى دينها، في القيام بوجبا ـا نحـو زوجها، زوجة من أنجح الزوجات، وأكثرهن بركة ويمنا وخيرا على الرجـل. إذا دخل البيت تلقته بابتسامتها المشرقة وتحيتها الطيبة، وأقبلت عليـه إقبـال الربيع، تنضر حياته بالكلمة الطيبة، والعبارة المؤنسة، واللفتة البارعة، والدعابة الحلوة، والزينة المبهجة، والهيئة الأنيقة المعجبة، والبيـت النظيـف المرتـب، والحديث الطلى السار، والمائدة الطيبة، وكانت في جل أحوالها فيما يرضـيه، ويدخل البهجة والسرور إلى نفسه.

إ ا مطيعة لزوجها، بارة به، متوددة إليه، حريصة على رضاه، لا تفشى له سرا، ولا تفسد له أمرا، تقف إلى جانبه في وقت الشدة، تمده بالرأي السديد،

(٢٣٥) زاد المعاد ٢٦١/٣-٢٦٤

وتمحضه النصيحة الخالصة، تفرح لفرحه، وتحزن لحزنه، تملأ نفسه في مظهرها ومخبرها، وتترع حياته بالسعادة والبهجة والسرور، تشجعه على الطاعة بألوا ا المتعددة، وتنشطه للقيام ا بمشاركتها إياه، تبر والديه وتحترم أهله وأقاربـه، تغض طرفها عن الرجال، وتسمو عن الـسفاسف واللغـو ورديئ الكـلام، وتحرص على توفير الهدوء والراحة والسكينة والاستقرار لزوجها وأولادهـا، وهى بعد، قوية الشخصية في غير خشونة ولا جلافة طبع، رقيقة المـشاعر في غير مسكنة ولا ضعف، تحمل من يخاطبها على احترامها وتقديرها، متـسامحة صفوح، تنسى الإساءة، وتطرح الضغينة.

ومن هنا كانت الزوجة المسلمة بحق من أنجح الزوجات، وكانت من نعم الله الكبرى على الرجل، ومتعته التي لا يدانيها في حياته متاع، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسـلم: "الـدنيا متـاع، وخـير متـاع الـدنيا المـرأة الصالحة(٢٣٦)".

خامسا: المرأة المسلمة مع أولادها

أختي المسلمة: إن الأولاد قرة عين الإنسان، ومصدر سعادته و جة حياته، م يطيب العيش، ويستجلب الرزق، وتعقد الآمال، وتطمئن النفوس. وإذا كان الأب يرى في أولاده العون والرفد والتكاثر والامتداد وقوة الجانب، فهم لك كأم أمل حياتك، وسلوى نفسك، وفرحة قلبك، و جة عيشك، وأمان مستقبلك. غير أن هذا كله منوط بحسن تربيتهم، وسلامة تكوينهم وإعدادهم للحياة، بحيث يكونون عناصر بناءة فعالة، يعود خيرهم على والديهم، وعلى مجتمعهم، وعلى الناس أجمعين. وبذلك يكونون كما قال الله تعالى فيهم: "الْمالُ والْبنونَ زِينةُ الْحياة الدنيا ...." (الكهف:٤٦)، أما إن أهملَت تربيتهم، وأسيء تكوين شخصيا م، كانوا وبالا على الوالدين، وشرا مستطيرا على ا تمع والناس.

فاعلمي أختاه أنك مسؤولة عن تربية أولادك وتكوين شخصيتهم، وأن مسؤوليتك عنهم أكبر من مسؤولية الأب لقر م منك، ولكثرة الوقت الذي يقضونه معك، ولمعرفتك الدقيقة بكل أحوالهم وتحركا م في فترة النشأة والمراهقة الخطيرة في حياة الطفل العقلية والعاطفية والسلوكية، وقد عبر القرآن

(٢٣٦) صحيح مليم ٥٦/١٠ كتاب الرضاع: باب استحباب نكاح البكر.

الكريم عن هذه المسؤولية بقوله: " يا أيها الذين آمنوا قُوا أنفُسكُم وأهليكُم ناراً وقُودها الناس والحجارةُ ..." (التحريم: ٦)، وعبر عنها الرسول الكريم بقوله: كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول في مال سيده ومسؤول عن رعيته، فكلكم راع ومسؤول عن رعيته".(٢٣٧)

إ ا المسؤولية الشاملة التي طوق ا الإسلام أعناق أبناء الحياة جميعا، فلم تغادر منهم أحدا، وجعل بمقتضاها الوالدين مسؤولين عن تربية أولادهما – وبخاصة الوالدة – تربية إسلامية دقيقة، وتنشيء م إلتنشيءة الصالحة، القائمة على مكارم الأخلاق، التي أخبر الرسول الكريم أنه ما بعث إلا لتتميمها وتأصيلها في حياة الناس: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق"(٢٣٨).

وليس أدل على عظم مسؤولية الوالدين تجاه أبنائهما، وتربيتهم التربية اللائقة بالمسلمين الأتقياء من تقرير العلماء: أن كل بيت يسمع قول الرسول (صلى الله عليه وسلم): "مروا أولادكم بالصلاة، وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها، وهم أبناء عشر..."(٢٣٩)، ثم لا يسارع الوالدان فيه إلى تطبيقه وتنفيذه على الوجه الأكمل، وذلك بأمر الأولاد بالصلاة متى بلغوا السابعة، وبالحزم مع من تركها متى بلغوا العاشرة، هو بيت آثم مقصر مفرط، والوالدان مسؤولان أمام الله عن تقصيرهما وتفريطهما. ذلك أن البيت الذي تعيش فيه الأسرة هو ا تمع الصغير الذي تصاغ فيه نفسيات الأفراد، وتتكون عقولهم وميولهم، وهم أفراخ زغب، مستعدون لتلقى الكلمة الهادية والتوجيه السديد.

وقد أدركت المرأة المسلمة الواعية مسؤوليتها في تربية أولادها على مر الأزمان، وكانت بارعة في تكوين الرجال، والتأثير فيهم، والنفاذ إلى قلو م، وغرس القيم النبيلة في نفوسهم، وليس أدل على ذلك من أن النا ات الممتازات من النساء ربين أولادا أنبل وأفضل من أبناء النا ين الممتازين من الرجال، حتى إنك لا تكاد تجد عظيما من عظماء أمتنا، إلا وهو مدين بذلك

---

(٢٣٧) متفق عليه. انظر شرح السنة ٦١/١٠ كتاب الإمارة والقضاء: باب الراعى مسؤول عن رعيته.
(٢٣٨) رواه البخارى فى الأدب المفرد ٣٧١/١: باب حسن الخلق.
(٢٣٩) رواه أحمد ١٨٧/٢، وأبو داود ١٩٣/١ كتاب الصلاة: باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، وإسناده حسن.

إلى أمه العظيمة، فالزبير بن العوام مدين بعظمته لأمه صفية بنت عبد المطلب التي غرست فيه طباعها الغر وسجاياها الحسان. وعبد الله والمنذر وعروة أبناء الزبير ثمرات غرس أمهم أسماء بنت أبى بكر، وكل واحد منهم له أثره الخالد ومقامه المحمود. وعلى بن أبي طالب (رضي الله عنه) لقن الحكمة والفضل ومكارم الأخلاق من صدر أمه الحافل بالحكمة وجليل الخلال، فاطمة بنت أسد. وعبد الله بن جعفر، سيد أجواد العرب وأنبل فتيا م، حرم من أبيه صغيرا، فتعاهدته أمه أسماء بنت عميس، وأسبغت عليه من الفضائل والمكارم التي كانت ا أسماء من نساء الإسلام الخالدات.

ومعاوية بن أبى سفيان، ورث عن أمه هند بنت عتبة من قوة الشخصية والمعية الذهن ما لم يرثه عن أبيه أبى سفيان، ولما رأت مخايل النبل والذكاء على ملامحه، وهو وليد، وقيل لها: إن عاش ساد قومه، قالت: ثكلته إن لم يسد إلا قومه. ولم يستطع معاوية أن يودع يزيد ابنه وخليفته ما كان يتمتع به هو من رأى وحلم وسياسة، لأن أم يزيد كانت امرأة أعرابية ساذجة، تزوجها معاوية لجمالها ولمكان قبيلتها وعشير ا.

ولقد خلد التاريخ رجلين عظيمين من بنى أمية، عرف أولهما بالحول والطول والعقل والحكمة والحزم، و ج ثانيهما سنن العدل والخير والصلاح والتقوى، وكلاهما ثمرة المرأة الحصيفة العظيمة. أما أولهما فعبد الملك بن مروان، وأمه عائشة بنت المغيرة بن أبى العاص بن أمية المعروفة بقوة الشخصية، ونفاذ العزيمة، وذكاء القلب، وأما ثانيهما فعمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه)، خامس الخلفاء الراشدين، وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب التي كانت أوفر أهل دهرها كمالا وأكرمهن خلالا، وأمها المرأة العابدة التقية التي اتخذها عمر زوجة لابنه عاصم؛ إذ رأى فيها الصدق مجسدا والاستقامة ناطقة، يوم لم ترض أن تمذق اللبن بالماء كما طلبت منها أمها، لأن الله يراها. وإذا ما ولينا وجوهنا شطر الأندلس ألفينا الرجل الطموح الألمعى العظيم، أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر الذي انطلق من مهد اليتم ليؤسس دولة في المغرب، خضع لها عواهل أوروبا وملوكها، واختلف إلى معاهد العلم فيها علماء الأمم وفلاسفتها، وكانت شطرا كبيرا من حضارة الأمة الإسلامية العالمية. وإذا ما فتشنا عن سر عظمة هذا الرجل ألفينا المرأة الأم العظيمة التي عرفت كيف تغرس فيه روح التوثب والعظمة والطموح. وتستوقفنا في العهد العباسى

إمرأتان عظيمتان، أودعتا في ابنيهما روح السمو وروح النبوغ والتفوق، أولاهما أم جعفر بن يحيى، وزير الخليفة هارون الرشيد، وثانيتهما أم الإمام الشافعى الذي لم ير أباه؛ إذ مات وهو رضيع وتولت أمه تربيته والعناية به. وفي تاريخنا من نوابه النساء كثيرات، أودعن في أبنائهن سر النبوغ، وأصلن فيهم خليقة العظمة، وكن وراءهم في كل ما نالوه من أمجاد، وما بلغوه من مكارم، وما حققوه من أعمال عظيمة.

تعرفي **على نفسيات أطفالك وقدري اختلاف أمزجتهم وميولهم واسلكي** في **تربيتهم أنجع الأساليب:** فمعرفتك م تساعدك على التسرب إلى داخل نفوسهم، والتوغل في عوالمها الصافية البريئة، لتغرسي فيها القيم العليا والشمائل الرفيعة والأخلاق العالية، متبعة أبرع الأساليب وأذكاها في صقل تلك النفوس. وشخصية الأم بطبيعتها قريبة من الأولاد، محببة إليهم، جذابة لهم، تنفتح لها نفوسهم وقلو م، فيفضون إليها بما يعتلج فيها من خواطر ومشاعر فتقبل على تسديدهم وصقل طباعهم ومشاعرهم، مراعية مستواهم العقلى والزمنى، ملاعبة إياهم تارة، وممازحة تارة أخرى، ومجاملة إياهم تارة ثالثة، ملقية في أسماعهم عبارات المحبة والعطف والحنان والإيثار، فإذا هم يزدادون لها حبا، وعلى سماع توجيها ا وتسديدا ا إقبالا، إذا هم يمتثلون أمرها وتوجيها ا امتثالا نابعا من القلب، وشتان بين طاعة صادقة نابعة من القلب، قائمة على الحب والاحترام والتقدير والثقة، وبين طاعة كاذبة قائمة على الكبت والعنف والقهر والانصياع الزجرى، فالأولى طاعة دائمة وجيدة مثمرة، والثانية طاعة مؤقتة هشة عقيم، سرعان ما تزول وتتلاشى بزوال الشدة والقهر والكبت والعنف والزجر.

أشعري أولادك بحبك **وحنانك:** فالأولاد يحتاجون إلى حضنك الدافئ، وحبك الغامر، وحنانك الصادق، لينشؤوا نشأة نفسية صحية، خالية من الأمراض والأزمات والعقد، يعمر نفوسهم التفاؤل، وتغمر قلو م الثقة، وتمتلئ أذها م بالأمل والطموح، ومن ثم تشعر الأم المسلمة الواعية أولادها في كل مناسبة بالحب والحنان والعطف والرحمة، إذ الرحمة خلق إسلامى أصيل، حض عليه الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأقواله وأفعاله، كما أخبرنا أنس (رضي الله عنه) إذ قال: "ما رأيت أحدا كان أرحم بالعيال من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، قال: كان إبراهيم مسترضعا له في عوالى المدينة، فكان ينطلق،

ونحن معه، فيدخل البيت، فيأخذه فيقبله، ثم يرجع".[240]

ويروى أنس (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان كلما مر بصبيان هش لهم وسلم عليهم.[241] كان من أقواله التربوية الخالدة: "ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا".[242] ويروى عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قبل الحسن بن على، فقال الأقرع بن حابس: إن لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "من لا يرحم لا يرحم".[243]

لقد كان الرسول المربى العظيم يحاول دوما، وهو يصوغ النفوس أن يفجر فيها ينابيع الرحمة، ويفتح كوامنها على الحب والحنان، أخص خصائص الإنسان. جاءه يوما أعرابى فقال: أتقَبلون صبيانكم؟ فما نقبلهم. فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): "أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة".[244]

وتروى السيدة عائشة أم المؤمنين: "أن فاطمة كانت إذا دخلت على النبي (صلى الله عليه وسلم) قام إليها، فرحب ا، وقبلها، وأجلسها في مجلسه. وكان إذا دخل عليها قامت إليه، فأخذت بيده، فرحبت به، وقبلته، وأجلسته في مجلسها. وأ ا دخلت عليه في مرضه الذي توفي فيه، فرحب ا، وقبلها".[245]

ويشيد الرسول (صلى الله عليه وسلم) بنساء قريش، لأ ن أحنى النساء على أولادهن، وأكثرهن اهتماما بتربيتهم وتنشيء م والقيام على أمورهم والتضحية في سبيلهم، مع رعايتهن لأزواجهن، وذلك فيما رواه البخاري عن أبى هريرة، قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "نساء قريش خير نساء ركبن الإبل، أحناه على طفل، وأرعاه على زوج في ذات يده".[246]

إن المرأة المسلمة المستنيرة دى دينها لا تملك إزاء هذا الهدي النبوي العالي

---

(٢٤٠) صحيح مسلم ٧٥/١٥ كتاب الفضائل: باب رحمته (صلى الله عليه وسلم) وتواضعه.
(٢٤١) متفق عليه. انظر شرح السنة ٢٦٤/١٢ كتاب الاستئذان: باب التسليم على الصبيان.
(٢٤٢) رواه أحمد ١٨٥/٢، والحاكم ٦٢/١ كتاب الإيمان، وإسناده صحيح.
(٢٤٣) متفق عليه. انظر شرح السنة ٣٤/١٣ كتاب البر والصلة: باب رحمة الولد وتقبيله.
(٢٤٤) فتح البارى ٤٢٦/١٠ كتاب الأدب: باب رحمة الولد وتقبيله.
(٢٤٥) انظر فتح البارى ١٣٥/٨ كتاب المغازى: باب مرضه (صلى الله عليه وسلم) ووفاته، أبا داود ٤٨٠/٤ كتاب الأدب: باب ما جاء فى القيام.
(٢٤٦) فتح البارى ٤٧٢/٦ كتاب أحاديث الأنبياء: باب قوله تعالى: ٤٥-٤٨ من آل عمران.

أن تكون متجهمة قاسية شديدة على أولادها، مهما كان في طبعها من شدة وجفاف، ذلك أن هذا الهدي لابد إلا أن يلامس شغاف قلب الأم، فيفجر فيه نبع الحنان والعطف. ولا ريب أن هذا الري العاطفي الذي تحسه الأم المسلمة نحو أولادها من أكبر دواعي سعاد ا في الحياة، وهذا ما فقدته المرأة الغربية التي امتصتها الحياة المادية، وأ كها عملها اليومى المستمر، ففقدت الشعور ذا الري العاطفي الأسري، وقد عبرت عن هذا كله السيدة سلمى الحفار إحدى عضوات الحركات النسائية في بلاد الشام بعد زيار ا إلى أمريكا، فقالت: "من المؤسف حقا أن تفقد المرأة أعز وأغلى ما منحتها إياه الطبيعة[٢٤٧]، وأعنى أنوثتها، ثم سعاد ا، لأن العمل المستمر المضنى قد أفقدها الجنات الصغيرات التي هى الملجأ الطبيعى للمرأة والرجل على حد سواء، والتي لا يمكن أن تفتح براعمها ويفوح شذاها بغير الأم وربة البيت. ففي الدور وبين أحضان الأسرة سعادة ا تمع والأفراد، ومصدر الإلهام، وينبوع الخير والإبداع".[٢٤٨]

تحري العدل والمساواة بين أولادك: فلا تفضلي أحدا منهم على آخر في الأمور كلها، لأن تفضيل ولد على آخر مكروه في شرعة الإسلام، ولما يترك من أثر سيئ في نفس الولدين المفضل والمفضل عليه، فالمفضل ينشأ أنانيا معتديا على حقوق غيره، والمفضل عليه ينشأ معقدا حاقدا قلقا، تأكل الغيرة والحقد والحسد قلبه. وعلى النقيض من ذلك ينشأ الولد الذي يشعر بالتسوية بينه وبين إخوته نشأة صحية نقية بريئة من عقد النقص، بعيدة عن الحقد والحسد والضغينة والغيرة، وقد أترعت نفسه بالتفاؤل والرضا والمحبة والإيثار والتسامح، وهذا ما يريده الإسلام من الوالدين ويحضهم عليه.

وقد روى الشيخان وغيرهما عن النعمان بن بشير (رضي الله عنه) أن أباه أتى به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: إنى نحلت ابنى هذا غلاما كان لى، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):"أفعلت هذا بولدك كلهم؟ قال: لا، قال: "اتقوا الله واعدلوا في أولادكم"، فرجع أبي فرد تلك الصدقة. وفي رواية: فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "يا بشر، ألك ولد سوى هذا؟" قال: نعم، قال: "أكلهم وهبت له مثل هذا؟" قال: لا، قال: "فلا تشهدنى إذا، فإننى لا أشهد على جور"، ثم قال: "أيسرك أن يكونوا لك في البر

---

(٢٤٧) المانح هو الله، وليست الطبيعة، وهذا التعبير أثر من آثار التغريب.
(٢٤٨) من مقال لسلمى الحفار فى جريدة الأيام الدمشقية فى ١٩٦٢/٩/٣.

سواء؟" قال: بلى، قال: "فلا إذا".(٢٤٩)

ومن هنا كانت المرأة المسلمة التقية الحصيفة عادلة في أولادها جميعا، لا تفضل أحدا منهم على آخر، سواء أكان ذلك في النفقة أم الهبة أم المعاملة، وبذلك تنفتح لها قلوبهم جميعا، وتلهج ألسنتهم بالدعاء لها، وتمتلئ نفوسهم ببرها وإجلالها.

لا تفرقي في **حنوك ورعايتك** بين **البنين والبنات:** كما تفعل بعض النسوة اللائى لم يبرأن من العقلية الجاهلية، بل انظري إلى البنين والبنات بعين واحدة من الرحمة والعدل والرعاية والحنو، واعلمي أن الأولاد هبة من الله، وأن هبة الله من البنين والبنات نعمة لا مدفع لها ولا مغير ولا راد: "يهب لمن يشاءُ إناثاً ويهب لمن يشاءُ الذكُور * أو يزوجهم ذُكْراناً وإناثاً ويجعلُ من يشاءُ عقيماً إنه عليم قدير " (الشورى: ٤٩-٥٠)، ولا يغيب عن فطنتك ذلك الثواب العظيم الذي أعده الله لمن تربى البنات وتحسن تربيتهن، كما جاء في عديد من الأحاديث الصحيحة، ومنها ما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها، قالت: "جاءتنى مسكينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها، فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبنى شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقال: إن الله قد أوجب لها بها الجنة، أو أعتقها بها من النار".(٢٥٠) وعن أبى هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "من كان له ثلاث بنات فصبر على لأوائهن وضرائهن وسرائهن، أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهن، فقال رجل: أو اثنتان يا رسول الله؟ قال: أو اثنتان، فقال رجل: أو واحدة يا رسول الله؟ قال: أو واحدة".(٢٥١)

وعن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "من ولدت له ابنة فلم يئدها ولم يهنها، ولم يؤثر ولده عليها – يعني الذكور – أدخله الله عزوجل بها الجنة".(٢٥٢) وتتسع رحمة الرسول الكريم

---

(٢٤٩) متفق عليه. انظر شرح السنة ٢٩٦/٨ كتاب العطايا والهدايا: باب الرجوع فى هبة الولد والتسوية بين الأولاد فى النحل.

(٢٥٠) صحيح مسلم ١٧٩/١٦ كتاب البر والصلة: باب الإحسان إلى البنات.

(٢٥١) رواه أحمد ٣٣٥/٢، والحاكم ١٧٦/٤ كتاب البر والصلة، وقال: صحيح الإسناد.

(٢٥٢) رواه الحاكم فى المستدرك ١٧٧/٤ كتاب البر والصلة، وقال: صحيح الإسناد.

بالإناث، فتشمل إلى جانب البنات الأخوات أيضا، وذلك في الحديث الذي أخرجه البخاري في الأدب المفرد عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "لا يكون لأحد ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، فيحسن إليهن إلا دخل الجنة".[٢٥٣] وفي رواية للطبرانى: "ما من أمتي من أحد يكون له ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، يعولهن حتى يبلغن إلا كان معي في الجنة هكذا، وجمع أصبعيه السبابة والوسطى".[٢٥٤]فهل تتأفف الأم العاقلة الحصيفة الرزينة من تربية البنات، أو تفضل الذكور عليهن، بعدما سمعت هذا التوجيه النبوي العالي، لقد كفل الإسلام للبنت حياة الصون والإعزاز والكفاية، مهما أقامت في بيت والديها، أو إخو ا، أو غيرهم ممن يجب عليهم كفالتها، وسواء انتقلت إلى بيت الزوجية أم لم تنتقل ووقاها حياة التبذل والإذلال والحاجة والضياع، مما تلقاه المرأة في ا تمعات البشرية الضالة الشاردة عن هدي الله، إذ ما تكاد تبلغ الثامنة عشرة من عمرها حتى تخرج من حضن أبويها الدافئ، لتلقى الحياة المادية القاسية، الحافلة بالمكاره والمخاطر، وهي في أشد الحاجة إلى الحماية والحنو والرعاية والصون. إنه الفرق البعيد الشاسع بين تشريع الله الذي جاء لسعادة الإنسان، وتشريع البشر القاصر الذي شقي به الإنسان. وليس غريبا أن نجد في الغرب، نتيجة لهذا التشريع المادى، جيوش المنحلين التائهين من الشبان، وجموع العاثرات من الأمهات غير المتزوجات من الفتيات البائسات الضائعات، وأعداد هؤلاء وأولئك في تصاعد مستمر على مر الأيام.

واحذري الدعاء على أولادك: امتثالا لأمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي ورد في حديث جابر الطويل الذي قال فيه: "لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم".[٢٥٥] ذلك أن الدعاء على الأولاد ليس بعادة حسنة ولا بخلق كريم، وما فعلته أم في ساعة غضب إلا وندمت على فعلتها حينما سكت عنها الغضب وعادت إلى رشدها. وما أحسبك أيتها الأم المستنيرة دي دينك تفقدين وعيك واتزانك فتدعين على أولادك، مهما رأيت منهم، إذ كيف ترضين لنفسك أن تتورطي فيما تتورط به النساء العصبيات الخفيفات الطائشات.

---

(٢٥٣) أخرجه البخارى في الأدب المفرد ١٦٢/١ باب من عال ثلاث أخوات.
(٢٥٤) رواه الطبرانى فى الأوسط بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح. انظر مجمع الزوائد ١٥٧/٨.
(٢٥٥) صحيح مسلم ١٣٩/١٨ كتاب الزهد: باب حديث جابر الطويل.

وانتبهي أختاه إلى كل ما يؤثر في تكوين أولادك وتوجيههم: ارقبي تحركا م ونشاطا م وهوايا م، واعرفي ما يقرؤون وما يكتبون، وما يتخذون من صداقات، وما يرتادون من أمكنة في أوقات الفراغ، من حيث لا يشعرون برقابتك عليهم، فإذا ما وجدت منهم انحرافا في رأي أو اتجاه أو مطالعة أو هواية، أو تعلق برفيق سوء، أو ارتياد لأماكن غير مرغوب فيها، أو اعتياد بعض العادات الضارة كالتدخين وغيره، أو العكوف على الألعاب المكروهة أو المحرمة، مما ينافي خلق المسلم، ويقتل الوقت، ويهدر الطاقة، ويعود الناشيء على الفراغ واللهو والتفاهة، إذا ما أحسست شيئا من ذلك في أولادك، سارعي إلى تقويم الانحراف، وردهم إلى الجادة برفق وأناة وحكمة وحزم، وسدديهم إلى الصواب بلباقة وحصافة وإقناع وجد، واعلمي أن كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري، وأن مسؤوليتك كبيرة في تنشيءة أولادك التنشيءة الصالحة فأنت أقدر على هذا كله من الوالد، بحكم قربك من الأولاد وطول مكثك بينهم، وانفتاح نفوسهم وميلهم إلى الإفضاء لك بما يعتمل فيها أكثر من والدهم. ولا يخفي ما للوالدين من أثر كبير في صياغة عقل المولود وتكوين شخصيته وتربية نفسه، فالكتاب الذي يعكف على مطالعته الأولاد ينبغى أن يكون مفتحا لأذها م، مكونا لنفوسهم على مكارم الأخلاق، مزودا شخصيا م بالمثل العليا، لا أن يكون مغتالا لعقولهم، مفسدا لفطرهم، مطفئا جذوات الخير في نفوسهم. والهوايات ينبغى أن تكون منمية جوانب الخير في نفوسهم لا جوانب الشر، مشعلة جمرات الحق في أفئد م لا جمرات الباطل، مربية فيهم الذوق السليم لا الذوق السقيم. والرفيق ينبغى أن يكون قائدا إلى الجنة لا إلى النار، مرشدا إلى الحق لا إلى الباطل، هاديا إلى الرشد والتسامى والنجاح والبر لا إلى الغي والهبوط والخيبة والعقوق، وكم من رفيق جر رفاقه إلى مزالق السوء ومنحدرات الشر ومهاوي الرذيلة، والآباء والأمهات عن أولادهم غافلون.

وهكذا فلتبق عينك الحريصة مفتحة على أبنائك، تلحظين في تربيتهم وتوجيههم الكتاب وا لة والرفيق والهواية والمدرسة والأساتذة والنادي ووسائل الإعلام، وكل ما له تأثير في تكوين شخصيات أبنائك وتربية عقولهم ونفوسهم وعقيد م، تتدخلين عند اللزوم سلبا أو إيجابا، وتستعينين بالأب إذا اقتضت الحاجة، وتختارين الأسلوب الحكيم الناجع الذي يضمن سلامة العملية

التربوية للأولاد، ويقيها العراقيل والأمراض وردود الأفعال. كم من أسرة يعود الفضل في نجاح تربية أولادها إلى الأم الذكية اللبقة النبيهة الحصيفة التي ادركت مسؤوليتها تجاه أولادها، فقامت ا خير قيام، فانشأت أولادا عادوا بالخير على والديهم وعلى ا تمع والناس، وكم من أسرة أخفقت في تربية ابنائها، لأن الأم لم تدرك مسؤوليتها تجاه أولادها، فأهملتهم، فكانوا شرا مستطيرا وعذابا واصبا على والديهم وعلى ا تمع والناس. وما كان الأولاد ليكونوا شرا محضا لو أن الوالدين، ولاسيما الأم، عرفا مسؤوليتهما إزاء أولادهما، وقاما بتبعات تلك المسؤولية خير قيام.

اغرسي في **نفوس أبنائك مكارم الأخلاق:** كحب الخير للناس، وصلة للأرحام، والحدب على الضعفاء، واحترام الكبير، والرحمة بالصغير، واالارتياح لفعل الخير، والصدق في القول والعمل، والوفاء بالوعد، والعدل في الحكم، وما إلى ذلك من الأخلاق الرفيعة والسجايا الحميدة.

وإن المرأة المسلمة الحصيفة الذكية تعرف كيف تتسرب إلى كوامن نفوس أبنائها، وتغرس فيها هذه السجايا الغر والخلائق الحسان، مستخدمة في ذلك ابرع الأساليب وأذكاها، من قدوة مثلى محببة، وتبسط ومخالطة وحسن معاملة، ورحمة ورفق وتعهد وتواضع وسماحة وحب وحنو واهتمام وتشجيع، وعطف ومساواة وعدل ونصح وتسديد وإرشاد، في لين من غير ضعف، وشدة من غير عنف، ومناقشة ومحاسبة في غير إملال، وتغاض عن بعض الهفوات في غير إخلال، وبذلك ينشأ الأولاد نشأة سوية راشدة، مفتحى العقول، ناضجى الأفكار، صالحين، أوفياء، بررة، قادرين على العطاء، مهيئين للبناء والإعمار في شتى حقول الحياة، ولا بدع أن تثمر تربية الأم المسلمة أينع الثمرات، فهي المدرسة الأولى في تربية الشعوب، وهي الأستاذ الأول للعباقرة صانعي الحضارات، كما يقول الشاعر حافظ إبراهيم: (٢٥٦)

الأم مدرسة إذا أعـــدد ا   أعدت شعبا طيب الأعراق
الأم أستاذ الأساتذة الألى   شغلت مآثرهم مدى الآفاق

(٢٥٦) ديوان حافظ إبراهيم: ٢٨٢، ط دار الكتب المصرية.

سادسا: المرأة المسلمة مع زوجات أبنائها وأصهارها

أ- مع زوجات الأبناء

انظري أيتها المسلمة الواعية الخلوقه إلى زوجة ابنك نظرتك إلى واحدة من بناتك، وتذكري يوم وفدت أنت على أم زوجك، فاصنعي لها ما تمنيت أن يصنع لك، لقد ساقتها الأقدار لتكون زوجة لابنك، وفردا من أسرتك.

فأحسني اختيار زوجة ابنك: وتحري فيمن تقبلين على مصاهر م أو مصاهر ن الدين والخلق والتربية القويمة والسمعة الحسنة، فالمسلمة الحصيفة إذ تخطب لابنها، وتفتش عن الفتاة اللائقة به، تضع في حسا ا دوما أ ا ستضم إلى أسر ا بنتا جديدة إلى بنا ا، لها ما لهن من إعزاز وتقدير وود، وعليها ما عليهن من واجبات ينهض ا في محيط الأسرة الكبيرة، تريد لزوجة ابنها المقبلة النجاح والسعادة والاستقرار في حيا ا الزوجية، ولذلك لا تستهويها في الفتيات المخطوبات المظاهر الخلابة فحسب، من جمال وخفة روح وجاذبية، بل تتطلب إلى جانب ذلك كله وقبله الدين القويم، والخلق الحسن، والشخصية المتزنة الرزان، مستهدية في ذلك كله دى الرسول الكريم القائل: "تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين، تربت يداك". (٢٥٧)

ثم **تفهمي حقيقة وجودها** في **بيت الزوجية وقدري دورها:** فلا يخطر على بالك أيتها الحماة المسلمة التقية المتشبعة بأدب الإسلام وقيمه أن زوجة ابنك قد خطفت منك الابن الذي ربيته سنين طويلة، وأنفقت في تربيته والسهر عليه بياض أيامك وسواد لياليك، حتى إذا ما بلغ أشده واستوى رجلا قادرا على العطاء والتضحية، أخذت الزوجة بيده إلى عش الزوجية السعيد، حيث ينسى أمه في جوه العطر الوريف، **واعلمي أنك أمام سنة** من سنن الله في هذه الحياة، وأن ابنك الذي غذيته بلبان الإسلام منذ نعومة أظافره لا يمكن أن تنسيه الزوجة الحسناء أمه، كما لا يمكن لزوجته التي تخير ا من الفتيات المؤمنات الطيبات أن ترضي لزوجها هذا النسيان الذي هو العقوق بعينه، وقد حرمه الإسلام، وإذا ما ساورك شعور بالغيرة من زوجة ابنك في لحظة من لحظات الضعف البشرى، فما عليك إلا أن تلوذي بدينك وتقواك وورعك،

---

(٢٥٧) متفق عليه. انظر شرح السنة ٨/٩ كتاب النكاح: باب اختيار ذات الدين.

وتحكمي عقلك وعدلك وحبك لسعادة ونجاح هذه الأسرة الناشيءة التي تنتمي إليك، وهذا شأن الأتقياء من المؤمنين والمؤمنات، إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا، فإذا هم مبصرون الحقيقة الناصعة الراشدة. "إِن الذين اتقَواْ إِذَا مسهم طَائف من الشيطَان تذَكروا فَإِذَا هم مبصرونَ" (الأعراف:٢٠١). من هنا يقوم التوازن في حياة الأسرة بين الحماة والابن وزوجته، وتسير الأمور في مجراها الطبيعي الهادئ الذي لا تتحكم فيه الأهواء والشهوات والضلالات، بل يتحكم فيه الدين والعقل والحكمة.

انصحي ولا تتدخلي في الخصوصيات: وضعي في حسابك منذ اللحظة الأولى التي تزف فيها زوجة ابنك إليه أن لها الحق في أن تعيش حيا ا الزوجية بكل أبعادها ومعانيها، مادامت في نطاق الحلال، وفي الحدود المشروعة المباحة، وليس لأحد أن يتدخل في الخصوصيات بين الزوجين، إلا ما دعت إليه الحاجة والضرورة، على سبيل النصيحة المطلوبة من كل مسلم، عملا بقول الرسول الكريم: "الدين النصيحة....". [٢٥٨] وضابط هذا السلوك الحكيم عند الحماة المسلمة التقية: صنيعها مع ابنتها، فكما أ ا تريد لابنتها أن تعيش حيا ا الزوجية بكل جوانبها هانئة سعيدة مستقلة راضية، لا ينغص عيشها تدخل مزعج في خصوصيا ا، كذلك تريد لزوجة ابنها ما تريد لابنتها من غير استثناء.

وبادري بالبر وحسن المعاملة: واجعلي زوجة ابنك تشعر بحبك وتقديرك، واستمعي إليها وأعطها الفرصة لتعبر عن آرائها، ثم أقري الصائب منها، وامتدحيه وشجعيها عليه، وتلطفي في رد غير الصائب من أقوال وأفعال وصححيه برفق، ورائدك في ذلك كله الإنصاف والعدل والإحسان، والحكم بما تحكمين به على ابنتك.ولا يفوتك بين الحين والحين أن تعبري عن السعادة التي تغمر نفسك إذ ترين ابنك سعيدا مع زوجته، كما لا يفوتك أن تحسبي حساب زوجة ابنك في المناسبات كما تفعلين مع بناتك، فتصحبيها معهن، وتشعريها أ ا واحدة منهن، بل هى فرد حبيب من أفراد الأسرة منذ دخلت عش الزوجية واقترنت بابنك الحبيب.

تمسكي بالحكمة والعدالة في حكمك على زوجة ابنك: فإذا رأيت تجنيا

(٢٥٨) صحيح مسلم ٣٧/٢ كتاب الإيمان: باب بيان أن الدين النصيحة.

من ابنك على زوجته، فلا تحابيه على ظلم، ولا تمالئيه على باطل، عملا بقوله تعالى: "وإِذَا قُلْتم فَاعدلُواْ ولَو كَانَ ذَا قُربى" (الأنعام:١٥٢)، وقوله تعالى: "وإِذَا حكَمتم بين الناسِ أَن تحكُمواْ بِالْعدلِ" (النساء:٥٨)، والمرأة المسلمة الواعية الراشدة المتأملة هذا الهدي العظيم لا تقع في إثم الجور، ولا ترضي في حكمها إلا بالعدل، ولو كان الحكم لزوجة ابنك على ابنك الحبيب.أما إن ابتليت أيتها الحماة الصالحة بزوحة ابن على غير خلق حسن، فظة أو سيئة المعاملة، فاستفيدي من خبرتك وحنكتك وادفعي بالتي هي أحسن، عملا بقوله تعالى: " ولَا تستوِي الْحسنةُ ولَا السيئَةُ ادفَع بِالتي هي أَحسن فَإِذَا الذي بينك وبينه عداوةٌ كَأَنه ولي حميم * وما يلَقاها إِلَّا الذين صبروا وما يلَقاها إِلا ذُو حظ عظيمٍ" (فصلت٣٤-٣٥).

ومن الدفع بالتي هي أحسن أن تزوي الحماة عن ابنها سلبيات زوجته وأخطاءها ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، وأن تنصحها على انفراد، مبينة لها حرصها على بقاء بيتها معمورا بالخير والود والعمل الصالح، وتستمر في نصحها حتى تتخلص من تلك السلبيات أو تتخفف منها، وبذلك تحس زوجة الابن أن حما ا صديقة حميمة محبة، وليست عدوا لدودا متربصا ا الدوائر، وهذا بالطبع على النقيض مما نرى في ا تمعات الجاهلية المتخلفة الشاردة عن هدي الله من بغضاء وكيد بين الحماة وزوجة ابنها، حتى صارت تلك العداوة ظاهرة تقليدية حتمية، صيغت فيها أمثال، وغنيت فيها أغانٍ، وكأن العداوة بينهما أمر لا فكاك منه، وما كان شيء من ذلك ليكون، لو أن كلا من الحماة وزوجة ابنها أقرت بحق الأخرى في الحياة كما رسمه الإسلام، ووقفت عند الحد الذي أمرها بالوقوف عنده، لهذا تلاشت تلك العداوة التقليدية بين الحماة وزوجة إبنها في الأوساط والبيئات الإسلامية الواعية، المستمسكة دي دينها، الملتزمة بأحكامه وقيمه وأعرافه.

ب- مع الأصهار أي أزواج البنات:

فكما نظرت إلى زوجة ابنك على أ ا ابنتك، وجب عليك أيتها الحماة المسلمة المستنيرة أن تنظري إلى زوج ابنتك نظرتك إلى ابنك، تريدين له كما تريدين لابنك أن يكون من أحسن الناس.

فأحسني أختاه اختيار زوج ابنتك: ولا ترضينه إلا من أصحاب الدين والخلق والسمعة العطرة، كما حض على ذلك الرسول الكريم بقوله: "إذا

أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض"(٢٥٩). ولا يستهوينك في خطيب ابنتك المظهر الأنيق أو المركز الرفيع أو المال الغزير فحسب، لأنك ستضمين بتزويجه ابنتك ولدا إلى أولادك، تستأمنينه على عرض ابنتك وحيا ا وسعاد ا، ولا يصون هذا كله ولا يرعاه إلا رجل ذو خلق ودين وشرف ومروءة.

وأكرمي زوج ابنتك وبريه وقدريه، وأشعريه في كل مناسبة أنك أم ثانية له، وأنه أصبح فردا من أفراد الأسرة منذ اقترانه بابنتك، تودين له ولابنتك السعادة والتوفيق في در ما الطويل، وأنه العزيز المؤتمن على العرض الغالي، والمؤمل المرجى لتحقيق ما تصبو إليه ابنتك من آمال عزيزة وأمنيات كبار، لا تضنين عليه بنصح، ولا تألين جهدا في توفير أسباب السعادة له ولزوجه وأولاده.

وأعيني ابنتك على حسن تبعلها زوجها: انصحيها وزوديها بكل نافع لها في شؤون بيتها وزوجها وأولادها، والـفتي نظرها لكل ما يسر زوجها ويسعده، وشجعيها على القيام بواجبا ا الزوجية والأسرية على أحسن وجه، وإن رأيت من ابنتك شيئا من تقصير أو تراخ أو لا مبالاة، سارعي إلى مساعد ا لتلافي ذلك التقصير، بحيث لا تتركين لصهرك على ابنتك مأخذا يهون من شأ ا، أو يصغرها في عينه، ولا تنسى أن تنوهي بين الحين والحين بمزايا وإيجابيات صهرك، ترددينها على مسامع ابنتك، لتزيديها قربا منه وحبا له، ورضا بما قسمه الله.

الزمي العدل ولا تتحيزي لابنتك: إن نشب خلاف أو سوء تفاهم بين ابنتك وزوجها، أو رأيت منها تقصيرا مخلا في حسن تبعلها زوجها، أو في قيامها بواجبا ا الم لية، أو في مراعاة رغبات الزوج المشروعة، فلا تتحيزي لابنتك، بل انطقي بكلمة الحق والعدل، عملا بقوله تعالى: "وإِذَا قُلْتم فَاعدلُواْ ولَو كَانَ ذَا قُربى" (الأنعام:١٥٢)، وقوله: "يا أيها الذين آمنوا اتقُوا الله وقُولُوا قَولاً سديداً" (الأحزاب:٧٠)، وإن رأيت من ابنتها ميلا إلى الابتزاز والإسراف والإنفاق بغير حساب، ولم تـجد نصيحتك لها، قولي كلمة الحق، وبيني الخطأ، وإذا ما رأيت في شخصية ابنتك قوة طاغية، وجورا على كرامة الرجل

---

(٢٥٩) حديث حسن رواه الترمذي ٢٧٤/٢ أبواب النكاح: ٣، وابن ماجه ٦٣٣/١ كتاب النكاح: باب الأكفاء.

وقوامته، سارعي إلى إفهام ابنتك بصريح العبارة: أن قيادة الأسرة للرجل لقوله تعالى: "الرِجَالُ قَوامونَ علَى النساء بِما فَضلَ اللّه بعضهم علَى بعْضٍ وبِما أَنفَقُواْ من أَموالهم" (النساء:٣٤)، وأن القوامة للرجل على المرأة لسببين جوهريين، لا ينبغى للمرأة أن تنساهما أبدا، وهما: الأفضلية والإنفاق: "وللرجالِ علَيهِن درجةٌ" (البقرة:٢٢٨)، والحماة المسلمة الذكية لا تفرق في موقفها الحكيم العادل بين ابنها وصهرها، فكما أ ا تريد لابنها أن يحقق قوامته على زوجته، وأن يسير دفة حياته الزوجية برجولته وحزم ومنطق وحكمة، تريد ذلك لصهرها أيضا، ولو أصاب ابنتها منه شيء من شدة: "وإِذَا قُلْتم فَاعدلُواْ ولَو كَانَ ذَا قُربى" (الأنعام:١٥٢).

أحسني التصرف في **مواجهة المشكلات واتسمي بالحكمة واللباقة:** فقد يكون الصهر ذا عقلية خاصة أو مزاج خاص لا يلائم مزاج ابنتك، فيحصل بينهما التنافر والخلاف والشقاق. فواجبك أيتها الحماة المسلمة في مثل هذه الحالة أن تحسني التأتي في مخاطبة صهرك، واستخدمي الحكمة في معاملته، وكوني لبقة حصيفة في الوصول إلى نفسيته وعقليته، ولا تيأسي من بلوغ هدفك بشيء من الصبر والمثابرة وحسن التصرف، واحذري كل الحذر من تضخيم سلبيات صهرك لابنتك، بل حاولي التهوين من شأ ا ما استطعت إلى ذلك سبيلا، واسعي جاهدة في معالجة تلك السلبيات ما دامت لا تجرح شخصية الزوج في خلق ولا دين، ولا تستحق أن تكون سببا في هدم صرح الحياة الزوجية، وهكذا تكون الحماة المستنيرة دى دينها خيرا وبركة على ابنتها وزوجها، ودعامة راسخة من دعائم الحياة الزوجية، وليست عدوة تقليدية للأزواج، كما يشاع في بعض الأوساط الجاهلية المتخلفة، ويتندر المتندرون بتلك العداوة الدائمة الأبدية المستحكمة، وما هى في الحقيقة إلا نتيجة لسوء تطبيق المسلمين لأحكام دينهم، وخلل في التزامهم بأخلاقه وقيمه.

إنك بحكمتك وتقواك وعدلك ولباقتك وحسن معاملتك لزوج ابنتك ولزوجة ابنك، تضفين أجواء السعادة علي حيا م، وتحققين لأسرهم الصفاء والراحة والطمأنينة، فما أجمل صنيعك أيتها الحماة المسلمة المؤمنة الذكية الفطنة، وما أحوج أسر البنين والنبات إليك!!

سابعا: المرأة المسلمة مع أقربائها وذوى رحمها

أيتها الأخت المسلمة المستنيرة بهدى دينك الحنيف، اعلمي أن لرحمك عليك حقا، وأنك مطالبة بصلتهم وبرهم والإحسان إليهم وأرحامك: هم أقاربك الذين يرتبطون معك بنسب، سواء أكانوا ممن يرثونك أم ممن لا يرثونك، وقد احتفي الإسلام بالرحم حفاوة فريدة، ما عرفتها الإنسانية في غيره من الشرائع والنظم والفلسفات، فأوصى بها، ورغب في صلتها، وشدد النكير على من تنكر لها وقطعها، ففي الحديث الصحيح المتفق عليه الذي رواه أبو هريرة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "إن الله تعالى خلق الخلق، حتى إذا فرغ منهم، قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائد بك من القطيعة. قال: نعم، اما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذلك لك". ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "اقرأوا إن شيءتم: "فَهلْ عسيتم إِن توليتم أَن تفْسِدوا في الْأَرضِ وتقَطعوا أَرحامكُم * أُولَئك الذين لَعنهم الله فَأَصمهم وأَعمى أَبصارهم".[٢٦٠]

كما توالت آيات القرآن الكريم، تؤكد منزلة الرحم في الإسلام، وتحض على الإحسان إليها، وتحذر من الإساءة إليها، ومنها قوله تعالى: "واتقُواْ اللّه الذي تساءلُونَ بِه والأَرحام" (النساء:١). فقد أمر بتقوى الله، وثنى بالأرحام، إعظاما لها، كما أمر الله تعالى في كثير من الآيات بصلتها وبرها والإحسان إليها بعد الإيمان بالله والإحسان بالوالدين: "وقَضى ربك أَلا تعبدواْ إِلا إِياه وبِالْوالدينِ إِحساناً" (الإسراء: ٢٣). ثم يقول بعد قليل: "وآت ذَا الْقُربى حقه والْمسكين وابن السبِيلِ ولاَ تبذر تبذيراً"(الإسراء:٢٦)، ولقد كان من حفاوة الإسلام بالرحم أنه جعل صلتها من المبادئ الإسلامية الأولى والأصول الكبرى التي طلع بها هذا الدين على البشرية منذ اليوم الأول الذي صدع فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأمر ربه، نجد ذلك في حديث أبي سفيان الطويل مع هرقل، حين سأل أبا سفيان: فماذا يأمركم نبيكم؟ فأجابه: يقول: "اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة".[٢٦١] وفي حديث عمرو بن عبسة الطويل المشتمل على جملة من قواعد الإسلام وآدابه، قال فيه: دخلت على النبي (صلى

---

(٢٦٠) متفق عليه. انظر شرح السنة ٢٠/١٣ كتاب البر والصلة: باب ثواب صلة الرحم وإثم من قطعها.
(٢٦١) متفق عليه. انظر رياض الصالحين: ٥١ باب الصدق.

الله عليه وسلم) بمكة، يعنى في أول النبوة، فقلت له: ما أنت؟ قال: "نبى". فقلت: وما نبى؟ قال: "أرسلنى الله"، فقلت: بأى شيء أرسلك؟ قال: "أرسلنى بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء".[(٢٦٢)]

وواضح أن الرسول الكريم في شرحه الموجز لأهم مبادئ الإسلام قدم صلة الأرحام لما لها من م لة كبيرة ومكانة عالية في منهج هذا الدين الذي أنزله الله رحمة للعالمين.وعن أبى أيوب الأنصارى أن رجلا قال: يا رسول الله، أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): "تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصل الرحم"[(٢٦٣)].

فما أعظم صلة الرحم! إ ا لتأتى مع عبادة الله وتوحيده وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة في سياق واحد. وعن أنس (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه".[(٢٦٤)] إ ا إذا بركة على واصل الرحم في رزقه، وبركة عليه في عمره، تزيد في ماله وتنميه، وتنسأ في أجله وتبارك فيه، ولا يغيب عنك أختاه أن صلة الرحم مطلوبة من المرأة كما هي مطلوبة من الرجل على السواء، شأن عامة التكاليف الشرعية، ومن ثم فإن المرأة المسلمة التقية تقبل على صلة الرحم بصدق وجد وحرارة، لا تصرفها عنها الشواغل والأعباء والمسؤوليات، مهما كانت كثيرة. فصلة المرأة رحمها تكون بركة عليها في رزقها وعمرها، ورحمة لها من الله تتغشاها في دنياها وأخراها، ومجلبة لمحبة الناس والثناء عليها، وبالمقابل تكون قطيعتها رحمها شؤما عليها وبلاء ومقتا لهامن الله والناس، وبعدا لها عن الجنة في دار القرار. وحسبك أختاه أن تسمعي قول الرسول (صلى الله عليه وسلم): "لا يدخل الجنة قاطع رحم".[(٢٦٥)]

وقوله: [(٢٦٦)] "إن الرحمة لا تـ ل على قوم فيهم قاطع رحم"، ولهذا كان الصحابى الجليل أبو هريرة (رضي الله عنه) لا يرضي أن يدعو الله في مجلس فيه قاطع رحم، ويقول سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: "إن أعمال بني

---

(٢٦٢) صحيح مسلم ١١٥/٦ كتاب صلاة المسافرين: باب الأوقات التى ى عن الصلاة فيها.

(٢٦٣) متفق عليه. انظر رياض الصالحين: ١٩٥ باب بر الوالدين وصلة الأرحام.

(٢٦٤) متفق عليه. انظر شرح السنة ١٩/١٣ كتاب البر والصلة: باب ثواب صلة الرحم.

(٢٦٥) متفق عليه. انظر شرحا لسنة ٢٦/١٣، كتاب البر والصلة: باب ثواب صلة الرحم وإثم من قطعها.

(٢٦٦) ١٤٤/١ باب لا تـ ل الرحمة على قوم فيهم قاطع رحم.

آدم تعرض على الله تبارك وتعالى عشية كل يوم خميس ليلة الجمعة، فلا يقبل عمل قاطع رحم".(٢٦٧)

إن المرأة المسلمة التي أرهفت تعاليم الإسلام أحاسيسها، لتهزها هذه النصوص من أعماقها، وتبرز لها فظاعة قطيعة الرحم، إذ تحجب عن قاطعة الرحم الرحمة، تدعو فلا يستجاب لها دعاء، وتعمل فلا يرفع لها عمل، وتفيء إلى رحمة ر ا فتبتعد عنها، ومن هنا لا يمكن أن تكون المرأة المسلمة التي خالطت بشاشة الإسلام قلبها قاطعة رحم. وخصوصا إذا علمت أن قطيعة الرحم من الذنوب التي يعجل الله ا العقوبة في الدنيا قبل الآخرة، كما أشار إلى ذلك الحديث الشريف: "ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا – مع ما يدخر له في الآخرة – من البغى وقطيعة الرحم".(٢٦٨) ذلك أن قطيعة الرحم والبغي صنوان، ولذلك جمع بينهما رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في حديثه، مؤكدا الصلة الوشيجة بين قطيعة الرحم والظلم، ولعمرى إن قطيعة الرحم لظلم عظيم، وأي ظلم أشد من تقطيع وشائج القربى، وفصم عرى المحبة، وقطع حبل الود؟

فلا تغفلي أيتها الأخت المسلمة الواعية عن صلة رحمك: بل امنحيهم ودك الخالص، وصلتك الدائمة، وبرك الموصول ولا تشغلك عنهم أعباء الأمومة والبيت والزوج، رتبي أوقاتك لزيار م وتتبعي هدي الإسلام فابدئي بصلة الأم، ثم الأب، ثم الأقرب فالأقرب، كما يرشد إلى ذلك الهدي النبوي الشريف، فقد جاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه وسلم)، فقال: يا رسول الله، من أحق بحسن الصحبة؟ قال: "أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أبوك، ثم أدناك أدناك(٢٦٩)".(٢٧٠)

واعلمي أن لك أختاه في بر ذوي قرباك وصلتهم أجران، أجر القرابة، وأجر الصدقة، فإذا كنت من أهل اليسار والغنى، وأمدد م بما يحتاجون إليه من مال، غنمت عند الله الأجرين، وخفقت قلوب أرحامك بحبك والدعاء لك، وهذا ما حث عليه الإسلام، وقال فيه الرسول (صلى الله عليه وسلم):

(٢٦٧) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ١٤٢/١ باب بر الأقرب فالأقرب.
(٢٦٨) رواه أحمد ٣٨/٥، وابن ماجه ٣٧/٢ كتاب الزهد، باب البغى، بإسناد صحيح.
(٢٦٩) أى الأقرب إليك فالأقرب.
(٢٧٠) متفق عليه. أنظر رياض الصالحين: ١٨٩ باب بر الوالدين وصلة الأرحام.

"الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذى الرحم ثنتان: صدقة وصلة".[٢٧١] وفي صحيح البخاري أن ميمونة بنت إم الحارث أم المؤمنين رضي الله عنها أخبرت النبي (صلى الله عليه وسلم) إ ا أعتقت وليدة ولم تستأذنه. فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت: اشعرت يا رسول الله أنى أعتقت وليدتى؟ قال: "أو فعلت؟" قالت:نعم، قال: "أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك".[٢٧٢]

ولقد كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يؤكد أفضلية بر الأقربين في كل فرصة تسنح، فلما نزلت الآية: "لَن تنالُواْ الْبِر حتى تنفقُواْ مما تحبونَ" (آل عمران:٩٢)، قام أبو طلحة إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول: "لَن تنالُواْ الْبِر حتى تنفقُواْ مما تحبونَ"، وإن أحب مالي إلي بيرحاء[٢٧٣]، وإ ا صدقة لله تعالى أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "بخ[٢٧٤]، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح! وقد سمعت ما قلت، وإنى أرى أن تجعلها في الأقربين"، فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه"[٢٧٥].

وبلغ من عظم حق الرحم أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أوصى بالرحم المتحدرة عبر القرون، إذ أوصى بشعب مصر في الحديث الذي رواه مسلم: "إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحما، أو قال: ذمة وصهرا"[٢٧٦]. وقال العلماء: الرحم التي لهم: كون هاجر أم إسماعيل منهم، والصهر: كون مارية أم إبراهيم ابن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) منهم. فيا لوفاء النبوة الكبير! وبرها الواسع الودود! يمتد حتى يشمل الذرارى المتحدرة من هاتين الرحمين الكريمتين على مر السنين والأحقاب.

---

(٢٧١) رواه الترمذى ٨٤/٢ أبواب الزكاة: ٢٦، وقال: حديث حسن.
(٢٧٢) متفق عليه. انظر شرح السنة ١٩٥/٦ كتاب الزكاة: باب فضل الصدقة على الأولاد والأقارب.
(٢٧٣) بيرحاء: حديقة نخل.
(٢٧٤) بخ: كلمة تقال للإعجاب بالأمر وتفخيمه.
(٢٧٥) متفق عليه. انظر شرح السنة ١٨٩/٦ كتاب الزكاة: باب فضل الصدقة على الأقارب.
(٢٧٦) صحيح مسلم ٩٧/١٦ كتاب فضائل الصحابة: باب وصية النبى (صلى الله عليه وسلم) بأهل مصر.

وصلي أرحامك ولو كانوا غير مسلمين: ففي الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) جهارا غير سر يقول: "إن آل أبى فلان ليسوا بأوليائى، إنما وليى الله وصالح المؤمنين، ولكن لهم رحم أبلها ببلالها[(٢٧٧)]"[(٢٧٨)]. ولما نزل قوله تعالى: "وأنذر عشيرتك الأقربين" (الشعراء:٢١٤)، دعا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قريشا، فاجتمعوا، فعم وخص، فقال: "يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة، أنقذى نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئا، غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها"[(٢٧٩)].

ولقد سرى هذا الهدي النبوي العالي إلى مسامع المسلمين والمسلمات في الصدر الأول، وفعل فعله في نفوسهم، فكانوا يبرون أرحامهم وذوى قرباهم من غير المسلمين، ومن شواهد ذلك ما رواه ابن عبد البر في الاستيعاب وابن حجر في الإصابة أن جارية لصفية أم المؤمنين أتت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فقالت: يا أمير المؤمنين، إن صفية تحب السبت وتصل اليهود. فبعث عمر إلى صفية يسألها عن ذلك، فأجابت: "أما السبت فإنى لم أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة، وأما اليهود فإن لي فيهم رحما فأنا أصلها". ثم انثنت إلى جاريتها فسألتها عما حملها على مثل ذلك الافتراء، فأجابت الجارية: الشيطان! وكان رد صفية: اذهبى فأنت حرة.[(٢٨٠)]

ولم يجد عمر (رضي الله عنه) حرجا من أن يهدى حلة بعث ا إليه الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى أخ له من أمه مشرك.[(٢٨١)] ومن هنا ترى المرأة المسلمة أن ندى العاطفة الإنسانية لا ينقطع من قلب إنسان نطق بالشهادتين، بل يمتد بره وصلته إلى ذوي القربى، ولو كانوا على غير دين الإسلام. ولقد جاء تعبير الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم): "غير أن لكم

---

(٢٧٧) أى أصلها بالمعروف اللائق ا. والبلال: الماء، شبه صلة الأرحام بالنداوة والرى.
(٢٧٨) متفق عليه. انظر شرح السنة ١٣*٢٩ كتاب البر والصلة: باب ثواب صلة الرحم.
(٢٧٩) صحيح مسلم ٧٩/٣ كتاب الإيمان: باب من مات على الكفر لا تلحقه الشفاعة.
(٢٨٠) الاستيعاب ١٨٧٢/٤، وابن حجر فى الإصابة ١٢٧/٨.
(٢٨١) فتح البارى ٤١٤/١٠ كتاب الأدب: باب صلة الأخ المشرك.

رحما سأبلها ببلالها" في قمة البلاغة العربية، إذ شبه الرحم بالأرض، تندى بالصلة والبر، فتثمر الحب والتعاطف، وتجف بالقطيعة والهجران، فتنبت الجفوة والبغضاء.

تفهمي صلة الرحم بمعناها الواسع: حيث تتسع مجالا ا، وتتنوع أساليبها وأشكالها، فتارة تكون بالمال الذي يدفع الفاقة، ويسد الخلة، وينفس الكرب، وتارة تكون بالزيارة الودود التي توطد أواصر القربى، وتفجر ينابيع المحبة والمودة، وتارة تكون بالكلمة الطيبة والبسمة الحانية واللقاء الحسن، وتارة تكون بالنصيحة والعطف والإيثار، وتكون في غير ذلك من أعمال البر والخير والتعاطف التي تذكي العاطفة الإنسانية، وتنمى مشاعر الألفة والتراحم والتكافل والحب والوداد بين ذوى الرحم والقربى. ولهذا جاء التوجيه النبوى العالي حاضا على استمرار هذه الصلة، ولو كانت في أبسط أشكالها وأقلها كلفة ومؤونة: "بلوا أرحامكم ولو بالسلام"(٢٨٢).

صلي رحمك وإن لم يصلوك: فلا تعامليهم بالمثل، تصليهم إن وصولك، وتقطعيهم إن قطعوك، وتذكري أنك إنما تبتغين بصلتهم وجه الله عزوجل ومثوبته، ولا تريدين على صلتك مكافأة بالمثل، ولا مبادلة بالصلة، عملا بقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): "ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها"(٢٨٣) فهذا هو الخلق الإنسانى الرفيع الذي يحرص الإسلام دوما على تأصيله في نفوس المسلمين والمسلمات. وإنه لمرتقى عال صعب إلا على الذين هدى الله وانقادت نفوسهم إلى مرضاته عز وجل. ويروى أن رجلا جاء إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) فقال: يا رسول الله، إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون على، فقال: "لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم المل(٢٨٤)، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك"(٢٨٥).

فيا للرحم! ما أثقل صلتها في ميزان العبد المؤمن! وما أعظم ثواب الواصلة رحمها، الصابرة على جفاء ذوى قرباها وقطيعتهم! حتى إن الله ليمدها بظهير

---

(٢٨٢) رواه البزار عن ابن عباس كما فى كشف الأستار للهيثمى ٣٧٣/٢، وطرقه يقوى بعضها بعضا كما فى المقاصد الحسنة للسخاوى: ١٤٦.
(٢٨٣) فتح البارى ٤٢٣/١٠ كتاب الأدب: باب ليس الواصل بالمكافئ.
(٢٨٤) أى الرماد الحار.
(٢٨٥) صحيح مسلم ١١٥/١٦ كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم التحاسد والتباغض.

من عنده يعينها عليهم، ويملأ قلبها بالصبر على أذاهم، ويثبتها على الاستمرار في خلقها الإنسانى النبيل. وما أشد الإثم الذي يلحق قاطعي الرحم والقاطعات! إذ مثله الرسول (صلى الله عليه وسلم) بما يلحق آكل الرماد الحار، جزاء قطيعة الرحم في حق من وصلها من المسلمين والمسلمات! من هنا كانت المرأة المسلمة الصادقة واصلة رحمها على كل حال، لا تقطعهم وإن قطعوها، مبتغية بذلك مرضاة ر ا، مترفعة عن الجهالات والحماقات والإساءات، تبدر بين الحين والحين من بعض ذوى القربى، معرضة عن الصغائر التي توغر الصدور، موقنة بأ ا أكبر من أن بط إلى هذا الدرك، وهي تصغي إلى قول الرسول (صلى الله عليه وسلم). "الرحم معلقة بالعرش، تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله".(٢٨٦)

ثامنا: المرأة المسلمة مع جيرا ا

الإسلام أوصاك في **بالجيران فاهتمي بأمرهم وأحسني جوارهم ولا تقطعي ودهم:** فقد أحلهم الإسلام مكانة ما عرفتها الإنسانية في سلم العلاقات البشرية إلا في هذا الدين الإنسانى السمح المعطاء. لقد جاء أمر الله تعالى في محكم كتابه صريحا حارا بالإحسان إلى الجار: "واعبدواْ اللّه ولاَ تشركُواْ بِهِ شيئاً وبِالْوالدينِ إحساناً وبِذي الْقُربى والْيتامى والْمساكينِ والْجارِ ذي الْقُربى والْجارِ الْجنبِ والصاحبِ بِالجَنبِ وابنِ السبِيلِ وما ملَكَت أَيمانكُم" (النساء:٣٦)، والجار ذو القربى هو الذي يجمعك به مع الجوار آصرة النسب أو الدين، والجار الجنب هو الذي لا تجمعك به صلة من نسب أو دين، والصاحب بالجنب هو الرفيق في أمر الله.

ومن هنا كان كل من جاور الإنسان المسلم له عليه حق الجوار، ولو لم يكن بينهما وشيجة من نسب، أو رابطة من دين، وفي هذا تكريم للجار، وإعلاء لعلاقة الجوار في شرعة الإسلام السمحة الغراء. ولقد جاء عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قوله: "ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه"(٢٨٧)، أما الصحابى الجليل أبو أمامة (رضي الله عنه) فيقول: "سمعت

---

(٢٨٦) متفق عليه. انظر رياض الصالحين: ١٩١ باب بر الوالدين وصلة الأرحام.
(٢٨٧) متفق عليه. انظر شرح السنة ٧١/١٣ كتاب البر والصلة: باب حق الجار.

رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وهو على ناقته الجدعاء في حجة الوداع، يقول: أوصيكم بالجار حتى أكثر، فقلت: إنه يورثه"[٢٨٨].

وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يستجيش مشاعر الصحابة أحيانا في الحض على العمل الصالح، فيصدر موعظته بقوله: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليفعل كذا وليفعل كذا"، ويكرر هذه العبارة المثيرة آمرا بمعروف، أو حاضا على مكرمة من المكارم. ومن الأحاديث التي سلك فيها هذا الأسلوب المؤثر قوله: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فيحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت"[٢٨٩]. وفي رواية للبخارى: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره"[٢٩٠] فقد أوصى بالإحسان إلى الجار في صدر الحديث الشريف، وجعل هذا الإحسان علامة من علامات الإيمان بالله واليوم والآخر، وثمرة يانعة من ثمراته الحسان.

أحبي لجيرانك ما تحبين **لنفسك:** افرحي لفرحهم، وتألمي لألمهم، استجابة منك يا ذات الحس المرهف لقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخية ما يحب لنفسه"[٢٩١] وفي رواية لمسلم عن أنس عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "والذي نفسى بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره أو قال لأخية ما يحب لنفسه"[٢٩٢] ولا يغيب عن فطنتك أن تتعهدي جيرانك المعسرين بين الفينة والفنية، بالعطاء والهدية والهبة، أو كلما انبعثت روائح الطبخ والشواء من م لك، فقدري شهو م إلى الطعام الشهي، وهم مملقون غير قادرين على حيازة مثله، فأرسلي إليهم منه، مؤكدة التكافل الاجتماعى الذي حض عليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في حديث لأبى ذر: "يا أبا ذر، إذا طبخت مرقا فأكثر ماءه، وتعاهد جيرانك"[٢٩٣]، إذ كيف تطيقين أن تري جيرانك في فاقة وعسر وحرمان، فلا تمدين لهم يدا بمعروف، أو تقدمين لهم شيئا من رفد وإكرام وإطعام، وخصوصا إذا كنت في شيء من

(٢٨٨) رواه الطرانى بإسناد جيد. انظر مجمع الزوائد ١٦٥/٨.
(٢٨٩) متفق عليه انظر رياض الصالحين: ١٨٥ باب فى حق الجار والوصية به.
(٢٩٠) فتح البارى ٤٤٥/١٠ كتاب الأدب: باب من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فلا يؤذ جاره.
(٢٩١) متفق عليه. انظر شرح السنة ٦٠/١٣ كتاب البر والصلة: باب حق الجار.
(٢٩٢) صحيح مسلم ١٧/٢ كتاب الإيمان: باب من خصال الإيمان أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك.
(٢٩٣) صحيح مسلم ١٧٧/٦ كتاب الأدب: باب الوصية بالجار والإحسان إليه.

السعة واليسار والغنى، تستمتعين بما أنعم الله عليك، وتسمعين في الوقت نفسه قول الرسول الكريم: "ما آمن بي من بات شبعان، وجاره جائع إلى جنبه، وهو يعلم"(٢٩٤) وقوله: "ليس المؤمن الذي يشبع، وجاره جائع".(٢٩٥)

الإحسان إلى الجيران يكون على قدر طاقة الإنسان: فلا تستصغري معروفا تسديه إلى جارتك، بل قدمي إليها ما تستطيعين مهما قل، ولا يمنعك الخجل أو حب التفاخر من تقديم القليل الذي في حوزتك، بدعوى أنه غير لائق فتحرمين بذلك نفسك وجارتك من الخير المتاح، وتضيعين فرصة فعل الخير، وهذا ما نبه إليه الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) النساء على وجه الخصوص، فقال "يا نساء المسلمات، لا تحقرن جارة لجار ا، ولو فرسن شاه"(٢٩٦)، وفرسن الشاة: ظلفها، وهو كناية عن القلة، أي لا تحقرن جارة أسدت إلى جار ا شيئا من معروف، ولو كان قليلا، فهو خير من العدم، والله تعالى يقول "فَمن يعملْ مثْقَالَ ذَرة خيراً يره" (الزلزلة:٧). وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة"(٢٩٧) وقد ى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المرأة خاصة عن احتقار الهدية لجار ا أو من جار ا مهما صغرت، لأن للمرأة حساسية في مثل هذه المواقف والمناسبات، قد تؤثر في نفسيتها ومشاعرها نحو جار ا، لافتا نظر المرأة المسلمة إلى أن المهم في الهدية المعنى الإنسانى النبيل الذي يكمن وراء الهدية، لا في ثمن الهدية المادية، ولا ينبغى للمرأة المسلمة الواعية أن تغفل عن هذا المعنى الإنسانى، فتستصغر الهدية المقدمة منها إلى جار ا، أو من جار ا إليها، لأن المعنويات في نظر الإسلام مقدمة على الماديات.

أحسني إلى جيرانك ولو كانوا من غير المسلمين: تمشيا مع هدى الإسلام العظيم وسماحته وتوصيته وبره بالناس جميعا، على اختلاف أديا م ونحلهم، ما لم يبدر منهم أذى على المسلمين أو اعتداء: "لَا ينهاكُم الله عنِ الذين لَم يقَاتلُوكُم في الدينِ ولَم يخرِجوكُم من ديارِكُم أَن تبروهم وتقْسِطُوا إِلَيهِم إِن الله يحب الْمقْسِطين" (الممتحنة:٨). ومن هذا المنطلق الإنسانى الرحيب كان الصحابى الجليل عبد الله بن عمرو إذا ذُبحت له شاة سأل غلامه: "أهديت

---

(٢٩٤) رواه الطبرانى والبزار بإسناد حسن. انظر مجمع الزوائد ١٦٧/٨.
(٢٩٥) رواه الطبرانى وأبو يعلى، ورواته ثقات. انظر مجمع الزوائد ١٦٧/٨.
(٢٩٦) متفق عليه. انظر شرح السنة ١٤١/٦ كتاب الزكاة: باب التصديق بالشئ اليسير.
(٢٩٧) متفق عليه. انظر شرح السنة ١٤٠/٦ كتاب الزكاة: باب التصدق بالشئ اليسير.

لجارنا اليهودى؟ أهديت لجارنا اليهودى؟ فإنى سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه". (٢٩٨)

ألا ما أوسع رحمة الإسلام بالناس! وما أرفقه بالرعايا الذين يعيشون في كنفه وتحت ظلاله الوارفة الآمنة! إن التاريخ ليشهد أن أهل الكتاب عاشوا في جوار المسلمين في كثير من بقاع الإسلام آمنين مطمئنين على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم ومعتقدا ـم، ينعمون بحسن الجوار، وكرم المعاملة، وحرية العقيدة، وكنائسهم قائمة منذ أقدم العصور في قرى مسلمة معلقة فوق رؤوس الجبال، وحولها الآف المسلمين يحيطون جيرا ـم من أهل كتاب بالرعاية والحماية والبر والعدل وحسن الجوار.

قدمي في **إحسانك لجيرانك الأقرب فالأقرب:** فعن عائشة (رضي الله عنها) عنها قالت: قلت: يا رسول الله، إن لى جارين، فإلى أيهما أهدى؟ قال: "إلى أقر ـما بابا"(٢٩٩)، فهذا هدي الإسلام الذي يراعي قوة العلاقة بين الجارين المتلاصقين، وما يكون بينهما عادة من حساسيات يجدر مراعا ـا، استبقاء للألفة والمودة والوئام، على أن هذا لا يعنى أن تصرفي نظرك عن الاهتمام بالجيران الأبعدين والإحسان إليهم، فكل من كان في دائرة بيتك من الجارات الصالحات داخل في ذمة الجوار، ولهن عليك حق الجوار.

كفي أذاك عن جيرانك ولا تقصري في **إسداء المعروف إليهم:** فافتحي لهن أبواب البر والخير والمعروف على مصاريعها، وحاذري من التقصير في حقهن كلما دعا الداعي إلى رعايتهن وإكرامهن والإحسان إليهن، خشية أن يصدق عليك ما بينه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في شأن الجار الشانئ الكنود قليل المعروف في قوله: "كم من جار متعلق بجاره يوم القيامة، يقول: يا رب، هذا أغلق بابه دونى، فمنع معروفه"(٣٠٠) فيا لسوء العاقبة! ويا لخسارة الجار الممسك الضنين بمعروفه على جاره، ويا لخيبته يوم يقوم الناس لرب العالمين!. إن المسلمين والمسلمات في نظر الإسلام بناء سامق متراص، لبناته أبناء هذه الأمة، وكل لبنة ينبغى أن تكون متينه متماسكة، شديدة الارتباط

---

(٢٩٨) متفق عليه. انظر شرح السنة ٧١/١٣ كتاب البر والصلة باب حق الجار.
(٢٩٩) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ١٩٨/١ باب ـدي إلى أقر ـم بابا.
(٣٠٠) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ٢٠٠/١ باب من أغلق الباب على الجار.

باللبنات الأخرى، ليتوافر للبناء تماسكه وقوته وصموده، وإلا فإنه يتعرض للوهن والتداعى والا يار.

ومن ثم أحاط الإسلام لبناته برباط وثيق من الزاد الروحى، يحفظ تماسكها وتساندها ومقاومتها، ليبقي بناء المسلمين قويا، لا تزعزعه عوارض الأحداث، ولا يهز من كيانه عاتى الأعاصير. وما أروع التمثيل النبوى لتماسك المسلمين والمسلمات وتكافلهم وتساندهم في قول الرسول الكريم: "المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضا"(٣٠١). وقوله: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"(٣٠٢) إن دينا يحرص على تماسك أفراد الأمة هذا التماسك العجيب لبدهي أن يوثق علاقة الجار بجاره، ويقيمها على أساس ثابت ركين من المودة والبر والتكافل وحسن المعاملة.

اصبري على هنات جاراتك وأذاهن ما استطعت إلى ذلك سبيلا: فلا تقابلي سيئتهن بمثلها، ولا تستشيطي غضبا إن بدرت منهن هنة من الهنات، ولا تحصي عليهن زلا ن وتقصيرا ن وأخطائهن، بل خذي نفسك بالعفو والتسامح، محتسبة صبرك وعفوك ومسامحتك عند الله، واثقة أن هذا لن يضيع عند الله، بل إنه ليكسبها محبته ورضوانه، يشهد لذلك الحديث الذي رواه أبو ذر حين لقيه مطرف بين عبد الله، فقال له: "يا أبا ذر، كان يبلغنى عنك حديثك، وكنت أشتهى لقاءك. قال: لله تبارك وتعالى أبوك! قد لقيتنى. قلت: حديثا بلغنى أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حدثك، فمن هؤلاء الثلاثة الذين يحبهم الله عز وجل؟ قال: "رجل غزا في سبيل الله صابرا محتسبا، فقاتل حتى قتل، وأنتم تجدونه عندكم في كتاب الله عز وجل، ثم تلا:"إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأ م بنيان مرصوص". قلت: ومن؟ قال: "رجل كان له جار سوء يؤذيه، فصبر على أذاه حتى يكفيه الله إياه بحياة أو موت"(٣٠٣)، ألا فلتسمع الجارات من بعض النسوة اللواتى يفقدن صوا ن إذا تشاجر ولد من أولادهن مع ابن للجيران، فإذا هن يغمضن أعينهن ويقذفن جارا ن بنابي الكلام ولواذع القول وموجع الشتيمة، ضاربات بوشائج الجوار

---

(٣٠١) متفق عليه. انظر شرح السنة ٤٧/١٣ كتاب البر والصلة: باب تعاون المؤمنين وتراحمهم.
(٣٠٢) متفق عليه. انظر شرح السنة ٤٦/١٣ كتاب البر والصلة: باب تعاون المؤمنين وتراحمهم.
(٣٠٣) رواه أحمد والطبرانى بإسناد صحيح. انظر مجمع الزوائد ١٧١/٨.

عرض الحائط، مقطعات أواصر المودة والعشرة والتقارب في لحظة غضب، لتسمع هؤلاء أ ن خالفن هدي الإسلام في معاملة الجيران، ورضين لأنفسهن أن يكن من جارات السوء. ولتقر أعين الجارات المهذبات المتحليات بالصبر والحلم والأناة والرزانة وحسن التصرف، اللواتى لم يقابلن إساءات جارا ن بمثلها، بأ ن من الجارات الصالحات اللواتى رضي الله عن سلوكهن الراشد الحكيم.

جوارك الطيب دليل صدق إسلامك: إذا كان "خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره"[(٣٠٤)]، فإن الجارة الأكثر إحسانا لجار ا خير الجيران عند الله، والهدي النبوي يؤكد أن الجيرة الصالحة ركن من أركان سعادة الإنسان المسلم في الحياة؛ لما تضمن للجار من قرة عين وهناءة وارتياح وأمن وطمأنينة: "من سعادة المرء المسلم في الدنيا الجار الصالح، واله ل الواسع، والمركب الهنيء"[(٣٠٥)] ولقد كان السلف الصالح يقدرون قيمة الجوار الصالح، ويعدونه من النعم التي لا تقدر بمال، ومن الغنائم التي لا يعدلها عرض من أعراض الحياة الدنيا، يشهد لذلك ما حكاه التاريخ من أن جار سعيد بن العاص ساوم على مئة ألف درهم في داره، ثم قال للمشترى: هذا ثمن الدار، وبكم تشترى جوار سعيد؟ فلما علم سعيد بذلك بعث إليه بالثمن واستبقاه في داره. هذه هي الصفحة الوضيئة المشرقة للجارة الصالحة. فما هى صفحة جارة السوء؟

جارة السوء سوداء الصفحة عارية من نعمة الإيمان: فقد أقسم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قائلا: "والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: من يا رسول الله؟ قال: "الذي لا يأمن جاره بوائقه[(٣٠٦)]"[(٣٠٧)]، وفي رواية لمسلم: "لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه"[(٣٠٨)]. فما أكبرها جريمة! وما أعظمه إثما! يرتكس في الإنسان إذ يسيء إلى جاره، فينسلخ من نعمة الإيمان، ويحرم من دخول الجنان!! إن المرأة المسلمة الصادقة النقية السريرة لتتأمل هذه النصوص وما تلقيه في الذهن من أحكام صارمة، وما تخلعه في النفس من ظلال قاتمة،

---

(٣٠٤) رواه الترمذى بإسناد صحيح ٢٢٤/٣ أبواب البر والصلة: باب ما جاء فى حق الجوار.
(٣٠٥) رواه الحاكم بإسناد صحيح ١٦٦/٤ فى كتاب البر والصلة.
(٣٠٦) البوائق: الغوائل والشرور.
(٣٠٧) متفق عليه. انظر رياض الصالحين: ١٨٥ باب فى حق الجار والوصية به.
(٣٠٨) صحيح مسلم ١٧/٢ كتاب الإيمان: باب بيان تحريم إيذاء الجار.

تحيط بجارة السوء، فلا يخطر لها على بال أن تسيء إلى جيرا ا، مهما تكن الظروف والأحوال؛ ذلك أن الإساءة إلى جارا ا والدخول معهن في كيد ومكر وشحناء وخصام، ليس من الذنوب الصغيرة والهفوات الطفيفة، بل هو من الذنوب الكبيرة التي تطيح بالإيمان، و دد مصيرها في الآخرة، وهل بعد فقدان الإيمان وخسارة الآخرة من مصيبة ينهلع لها قلب المرأة المسلمة، وترتعش نفسها، ويهتز كيا ا؟

جارة السوء أمرأة حبط عملها: وإذا كانت جارة السوء قد فقدت الإيمان كما في الحديث السالف الذكر، فإ ا أمرأة حبط عملها كله، فما تنفعها بعد اليوم طاعة تقوم ا، ولا يرفع لها عمل صالح، ما دامت مصرة على إيذاء جيرا ا؛ ذلك أن الأعمال الصالحات ترتكز في أصلها على الإيمان بالله، والإيمان ليس كلمة طائرة يلغو ا اللسان وإنما هو تنفيذ دقيق لما يريده الله من عباده. فإذا ما فقدت جارة إلسوء إيما ا باستمرارها وإصرارها على إيذاء جيرا ا، فلا تطمع بعد ذلك أن يتقبل الله منها عملا صالحا مهما بلغ، بل يمحقه ولا يبقى له أثرا، ولو أفنت فيه بياض أيامها وسواد لياليها. قيل للنبى (صلى الله عليه وسلم): يا رسول الله، إن فلانة تقوم الليل، وتصوم النهار، وتفعل، وتصدق، وتؤذي جيرا ا بلسا ا، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "لا خير فيها، هي من أهل النار" قالوا: وفلانة تصلي المكتوبة، وتصدق بأثوار(٣٠٩) ولا تؤذي أحدا فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "هي من أهل الجنة"(٣١٠)، ووصف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جار السوء بأنه من العواقر التي حددها بقوله: "ثلاثة هن العواقر: إمام إن أحسنت لم يشكر، وإن أسأت لم يغفر، وجار سوء إن رأى خير دفنه، وإن رأى شرا أذاعه، وامرأة إن حضرت آذتك، وإن غبت عنها خانتك"(٣١١).

وهكذا ترسم النصوص الصورة البشعة لجارة السوء التي تشمئز منها نفس المرأة المسلمة الصافية، فإذا هى حذرة واعية من الوقوع في إثم الإساءة للجوار، مستحضرة تحذير الرسول الكريم من أذى الجيران بخصومة أو كيد، لا يبرح

---

(٣٠٩) الأثوار: جمع ثور، وهي قطعة من اللبن الجامد المستحجر.
(٣١٠) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ٢٠١/١ باب لا يؤذى جاره.
(٣١١) رواه الطبرانى فى الكبير ٢٦٧/١٨، ورجالة ثقات.

سمعها، ولا يغيب عنها كلما استطار شرر الغضب والشقاق والمنازعة بين الجيران قوله (صلى الله عليه وسلم): "أول خصمين يوم القيامة جاران"[(٣١٢)]

تاسعا: المرأة المسلمة مع أخوا ا وصديقا ا

أختي المسلمة أحبي صديقاتك واتخذيهن أخوات في الله: فالتآخي في الله، أسمى ر باط يربط بين إنسان وإنسان، رجل كان أو امرأة. إنه رباط الإيمان بالله الذي عقده الله بين المؤمنين كافة بقوله: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ" (الحجرات:١٠). وأخوة الإيمان أمتن روابط القلوب، وأوثق عرى النفوس، وأعلى صلات العقول والأرواح. تقوم على الحب في الله، وهو الحب الأسمى والأطهر والأنقى في حياة البشر. إنه الحب ا رد عن كل منفعة، البريء من أي غرض، النقى من كل شائبة؛ لأنه يستمد صفاءه وشفافيته ونقاءه من مشكاة الوحى وهدى النبوة، وهو الحب الطاهر الذي يجد فيه المسلمون والمسلمات حلاوة الإيمان.

"ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار"[(٣١٣)]

واعلمي أن م لة المتحابات في الله عظيمة: ومقامهن كريم، للشرف الرفيع الذي يسبغه الله عليهن يوم يقوم الناس لرب العالمين، فينادى: "أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي"[(٣١٤)] فما أعظمه من شرف وما أعزها من م لة وما أرفعه من تكريم يلقاه المتحابون والمتحابات في الله يوم الهول والشدة والكرب العظيم. ذلك أن الحب ا رد النظيف النقي الخالص الذي يخفق به قلب الإنسان نحو أخيه الإنسان، لا يبغي به إلا وجه الله، مرتقى عسير صعب، لا يبلغه إلا من صفت نفوسهم، وطهرت أرواحهم، وهانت عليهم الدنيا وما فيها من متاع، فارتفعوا عن جوانب الحياة المادية وشهوا ا ومتعها ومنافعها، وآثروا ما عند الله من نعيم مقيم، ورضوان منه

---

(٣١٢) رواه أحمد والطبراني بإسناد حسن. انظر مجمع الزوائد ١٧٠/٨.
(٣١٣) متفق عليه. إنظر شرح السنة ٤٩/١ كتاب الإيمان: باب حلاوة الإيمان.
(٣١٤) صحيح مسلم ١٢٣/١٦ كتاب البر والصلة والآداب: باب فضل الحب فى الله.

أكبر فلا غرو أن يرفع الله هذا النمط الفذ من البشر إلى أعلى المراتب، ويعد لهم من المـ لة والنعيم ما يليق بسموهم وارتفاعهم وتجردهم لله عز وجل، نجد ذلك في الحديث الذي رواه معاذ قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "قال الله عز وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور، يغبطهم النبيون والشهداء" [(٣١٥)]، بل لا غرو أن ما هو أجل وأعظم وأسمى من تلك المـ لة وذلك النعيم، أن يحبوهم الله حبه الغالي العزيز الذي تتقطع دونه أعناق البشر، وتنتهى عنده معسولات أمانيهم في الدنيا والآخرة، وذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (صلى الله عليه وسلم): "أن رجلا زار أخا له في قرية أخرى، فأرصد الله تعالى على مدرجته [(٣١٦)] ملكا، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخا لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تر ا[(٣١٧)] عليه؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله تعالى، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه"[(٣١٨)] فما أبركة من حب على الإنسان! يرفعه إلى الدرجة التي يستحق فيها محبة الله ورضوانه!

أخبري أخواتك بأنك تحبينهم في الله: فلقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا يدع مناسبة تمر إلا ويحض المسلمين على التحابب والتقارب والتصافي، ويأمرهم أن يعلنوا هذا التحابب، لتنفتح مغاليق القلوب، وتشيع المودة والألفة والصفاء في النفوس: فعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً كان عند النبي صلى الله عليه وسلم فمر به رجل، فقال: يا رسول الله، إني لأحب هذا، فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم): "أأعلمته؟" قال: لا، قال: "أعلمه"، فلحقه فقال: إنى لأحبك في لله، فقال: أحبك الله الذي أحببتنى له"[(٣١٩)].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل هذا بنفسه أيضا، معلما المسلمين كيف يبنون مجتمع المحبة والتآخى والصفاء، فقد أخذ يوما بيد معاذ، وقال: يا معاذ، والله إنى لأحبك، ثم أوصيك يا معاذ: لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"[(٣٢٠)] وقد انطلق

(٣١٥) رواه الترمذى ٢٤/٤ باب ما جاء فى الحب فى الله، وقال: حديث حسن صحيح.
(٣١٦) أى على طريقه.
(٣١٧) أى تقوم ا.
(٣١٨) صحيح مسلم ١٢٤/١٦ كتاب البر والصلة والآداب: باب فضل الحب فى الله.
(٣١٩) رواه أبو داوود بإسناد صحيح ٤٥٢/٤ كتاب الأدب: باب أخبار الرجل بمحبته إليه.
(٣٢٠) رواه أحمد ٢٤٥/٥ بإسناد صحيح.

معاذ ينشر هذا الحب الطاهر بين المسلمين في ديار الإسلام، فيحدثهم بما سمع من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عما أعده الله للمتحابين فيه من ثواب جزل، ومحبة منه أكبر؛ فقد روى الإمام مالك في موطئه بإسناد صحيح عن أبى إدريس الخولانى، قال: "دخلت مسجد دمشق، فإذا فتى براق الثنايا[٣٢١]، وإذا الناس معه، فإذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه، وصدروا عن رأيه، فسألت عنه، فقيل: هذا معاذ بن جبل رضي الله عنه، فلما كان من الغد هجرت[٣٢٢]، فوجدته قد سبقنى بالتهجير، ووجدته يصلى، فانتظرته حتى قضى صلاته، ثم جئته من قبل وجهه، فسلمت عليه، ثم قلت: والله إنى لأحبك، فقال: آلله؟ فقلت: آلله، فقال: آلله؟ فقلت: آلله، فأخذنى بحبوة ردائى، فجذبني إليه، فقال: أبشر، فإنى: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "قال الله تعالى: وجبت محبتى للمتحابين في، والمتجالسين في، والمتزاورين في، والمتبادلين في"[٣٢٣]

واعلمي أن للحب في الله **أثرا عميقا** في **حياة المجتمع:** فما جاء الإسلام إلا ليبني المجتمع الأمثل القائم على المحبة والتآخى والتناصح، فكان لابد من زرع المحبة في قلوب الأفراد الذين يتألف منهم المجتمع، ولذلك جعل هذه المحبة بين المؤمنين وبين المؤمنات شرطاً من شروط الإيمان الذي به يدخلون الجنة، وذلك فيما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "والذي نفسى بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم"[٣٢٤]، إنها النظرة النبوية الصائبة الثاقبة، المدركة أنه لا يستل سخائم الحقد من النفوس، ولا يغسل أدران التنافس والحسد من الصدور إلا أخوة صادقة نبيلة عالية، تسود حياة المسلمين والمسلمات وتملؤها بالمحبة، والتواد والتناصح والتآلف والتصافي، وتنقيها من الكراهية والتنابذ والغش والغل والحقد والحسد، والسبيل إلى ذلك كله إفشاء السلام، ليكون مفتاح القلوب، بهذه المحبة النقية الناصعة بني رسول الله صلى الله عليه وسلم نفوس جيل الرعيل الأول من المسلمين والمسلمات،

---

(٣٢١) إى أبيض الثغر حسن المبسم.
(٣٢٢) أى بكرت.
(٣٢٣) رواه مالك فى الموطأ ٩٥٣/٢ كتاب الشعر: باب ما جاء فى المتحابين فى الله.
(٣٢٤) صحيح مسلم ٣٥/٢ كتاب الإيمان: باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون.

فكانوا بحق القاعدة الصلبة التي قام عليها صرح الإسلام الشامخ، والنجوم المتلألئة في سماء البشرية التي أضاءت الطريق للأمم والشعوب.

و ذه المحبة الصافية الصادقة استطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم إن يبني ا تمع الإنسانى الأمثل القائم على أخوة الإيمان، فكان أعجوبة في صلابته وصموده وتحمله تبعات الجهاد وتقديم التضحيات، لنشر الإسلام، كما كان أعجوبة في تماسكه وتسانده وتكافله الذي صوره رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أروع تصوير بقوله: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا" (٣٢٥) وقد شاركت المرأة المسلمة في أيامها الأولى وعبر تاريخها الطويل في بناء ذلك الصرح الشامخ للإسلام على أساس من أخوة الإيمان، ولا تزال تشارك في ذلك البناء المبارك، بنشر أنداء المحبة في الله، وإشاعة شذاها العطر في ا تمعات الإسلامية، فتقبل على أخوا ا وصديقا ا بقلبها ومشاعرها، فتوطد أواصر الأخوة في الله، وتوثق عرى المحبة فيه.

لا تقاطعي أخواتك ولا جريهن: فقد حرم الإسلام التقاطع والتدابر والهجر، وأكد أن الهنوات العارضات لا تفرق بين المتحابات الصادقات في الله؛ ذلك أن عروة المحبة في الله أشد وأقوى وأوثق من أن تنفصم من أول ذنب تقترفه إحداهما، يشهد لذلك قول الرسول (صلى الله عليه وسلم): "ما تواد إثنان في الله جل وعز، أو في الإسلام، فيفرق بيهما أول ذنب يحدثه أحدهما"(٣٢٦). وقد تعصف بنفس المرأة نزوة غضب في لحظات الضعف البشرى، فتسيء الأخت إلى أختها، وقد يؤدي بينهما الغضب والانفعال إلى المقاطعة، وهنا ينبغى ألا يغيب عن بالك أيتها الأخت المسلمة أن هدي الإسلام لم يغفل طبيعة النفس البشرية، وكو ا عرضة للانفعال ول وات العاطفة وتقلبا ا، ولذلك وضع حدا للمدة التي يمكن للنفس الإنسانية أن دأ ثور ا فيها، وفي ذلك يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): "لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام، يلتقيان، فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام"(٣٢٧) فالمسلمة التي صاغ مشاعرها الإسلام وهذب نفسها هديه الحكيم لا تقيم على قطيعة لأخت من أخوا ا، مهما كانت الأسباب، بل

---

(٣٢٥) متفق عليه: انظر شرح السنة ٤٧/١٣ كتاب البر والصلة: باب تعاون المؤمنين وتراحمهم.
(٣٢٦) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ٤٩٣/١ باب هجرة المسلم.
(٣٢٧) متفق عليه: انظر شرح سنة ١٠٠/١٣ كتاب البر والصلة: باب النهى عن هجران الإخوان.

تسارع إلى مصافا ا والتسليم عليها، وإ ا لتعلم أن خيرهما التي تبدأ بالسلام، وفي الحديث أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: لا يحل لرجل أن يهجر مؤمنا فوق ثلاثة أيام، فإذا مرت ثلاثة أيام فليلقه فليسلم عليه، فإن رد عليه السلام فقد اشتركا في الأجر، وإن لم يرد عليه فقد برئ المسلم من الهجرة[(٣٢٨)]""""[(٣٢٩)]، وكلما زادت مدة القطيعة زاد الإثم واستفحلت الخطيئة واشتد الوعيد للمتنازعين المتصارمتين، فقد قال النبي (صلى الله عليه وسلم): "من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه"[(٣٣٠)].

فما أبشع جريمة المقاطعة و الهجر في شرعة الإسلام! وما أثقل وزرها على مرتكبها! ومن ثم يريد الإسلام من المسلمين و المسلمات أن ينتفي من حيا م التباغض والتحاسد والتدابر، ولا يرضي أن يعكر صفو حيا م شيء من تلك الأخلاق الوضيعة ا انبة لأخوة الإيمان، ولذلك ينسكب هديه في الأسماع راسماً أروع منهج للأخلاق عرفته البشرية منذ كان على ظهر هذه الأرض إنسان: "لا تقاطعوا، ولا تدابروا، و لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا إخواناً كما أمركم الله"[(٣٣١)] وبقوله: "إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا[(٣٣٢)]، ولا تجسسوا، و لا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا"[(٣٣٣)] وبقوله: "لا تحاسدوا، ولا تناجشوا[(٣٣٤)]، ولا تبغاضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله أخوانا المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره. التقوى ههنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات- بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه"[(٣٣٥)]

والمسلمة التي هذب الإسلام مشاعرها حين تتأمل هذه النصوص من الهدي النبوي، المحتوية على مكارم الأخلاق كلها، لا يمكن أن تطوي صدرها على شحناء، ولا يمكن أن تقيم على قطيعة، فما تقيم على شحناء وتصر على

---

(٣٢٨) إى من إثم الهجرة.
(٣٢٩) إخرجه البخارى فى الأبد المفرد ٥٠٥/١ باب إن الإسلام يجزئ من الصرم.
(٣٣٠) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ٤٩٧/١ باب من هجر أخاه سنة.
(٣٣١) صحيح مسلم ١٢٠/١٦ كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم الظن والتجسس والتنافس.
(٣٣٢) أى لا تبحثوا عن عيوب الناس ولا تتبعوها..
(٣٣٣) متفق عليه: أنظر شرح السنة ١٠٩/١٣ كتاب البر والصلة: باب ما لا يجوز من الظن.
(٣٣٤) التناجش: أن يزيد المرء فى السلعة ولا رغبة له فى شرائها، بل ليغر غيره فى شرائها.
(٣٣٥) صحيح مسلم ١٢٠/١٦ كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره.

القطيعة إلا أمرأة في قلبها مرض، ومن هنا جاء الوعيد شديداً لقساة القلوب، متحجري العقول، من الرجال والنساء، في قول الرسول (صلى الله عليه وسلم): "تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا، وأنظروا هذين حتى يصطلحا"(٣٣٦)، وكان الصحابى الجليل أبو الدرداء يقول: "ألا أخبركم بما هو خير لكم من الصدقة والصيام؟ صلاح ذات البين. ألا وإن البغضة هي الحالقة(٣٣٧)"(٣٣٨).

فقد رأى هذا الصحابى الجليل الذي كان موضع ثقة الرسول الكريم في حسن تفكيره وسداده نظرته، أن التباغض يحبط العمل، ويمحق الأجر، ويبدد الحسنات؛ ومن هنا كان صلاح ذات البين، وإقبالك أيتها المسلمة على أختك خير لك من الصدقة والصيام؛ إذ إن إصرارك على القطيعة والهجر والتباغض يودي بما تجنيه في عباداتك من حسنات.

تسامحي مع أخواتك وقدمي العفو عنهن: واكظمي غيظك إن مسك غيظ من إحدى أخواتك، واعفي عن أختك المسيئة، في عفوية وبساطة ويسر، دون أن تجدي في نفسك غضاضة من جراء هذا العفو، ودون أن تحسي بأثارة من مذلة أو هوان، بل هو إحسان يحبه الله من عباده، ويقر م منه زلفي: "والْكَاظمين الْغيظَ والْعافين عنِ الناسِ واللّه يحب الْمحسِنِين"(آل عمران:١٣٤). ذلك أن مراجل الغضب إذا فارت في النفس الإنسانية، وكبتها صاحبتها، ولم يتبعها بعفو، استحالت إلى إحنة وحقد وضغينة، وهذا أصعب وأخطر على الإنسان من الغضب. أما إذا أتبعها الإنسان بالعفو والصفح والغفران، فإنه يخمد جذوة الغضب، ويغسل النفس من أدران الغل والحقد والموجدة، وهذه هى مرتبة الإحسان التي يحب الله من يسمو إليها من عباده المؤمنين والمؤمنات: "واللّه يحب الْمحسِنِين". والمرأة المسلمة التي صاغها الإسلام على هدية من هذا النمط من المحسنين، لا تحتفظ بالغيظ يتأجج في صدرها؛ بل تسارع إلى العفو والصفح والغفران، وبذلك تحس برد الطمأنينة ينسكب على قبلها، والراحة والسلام والغبطة تغمر ضميرها ووجدا ا، ويعينها على بلوغ هذا المرتقى الأخلاقى الصعب إدراكها أن صفحها عن أختها المسيئة

(٣٣٦) صحيح مسلم ١٢٢/١٦ كتاب البر والصلة والآداب: باب النهى عن الشحناء.
(٣٣٧) إى الماحية للثواب.
(٣٣٨) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ٥٠٥/١ باب الشحناء.

لن يلحق ا ذلة ولا عاراً، لقوله (صلى الله عليه وسلم): "ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعة الله" [(٣٣٩)]، ويعينها أيضا إدراك قيمة العفو وصفاء القلب ونقاء النفس من هذه الأدران الخبيثة في ميزان الله ومغفرته ورضوانه، كما بينها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقوله: "ثلاث من لم يكن فيه غُفر له ما سواه لمن شاء: من مات لا يشرك بالله شيئاً، ولم يكن ساحراً يتبع السحرة، ولم يحقد على أخيه"[(٣٤٠)].

أقبلي على أخواتك بوجه طليق: كما أرشدك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقوله: "لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق"[(٣٤١)]. ذلك أن طلاقة الوجه صفة حسنة، حض عليها الإسلام، وجعلها حلية ثمينة للإنسان في الدنيا تكسبه محبة الناس، وعدها من الأعمال الصالحات التي تكسب صاحبها المثوبة والأجر، لأن الوجه الطليق السمح يدل في الغالب على صفاء السريرة، وهذا الصفاء في المظهر والمخبر مما حرص الإسلام على تحلي المسلمين والمسلمات به، واتخاذه خلقاً دائماً لهم. ولهذا كان من هدي الرسول الكريم: "تبسمك في وجه أخيك لك صدقة"[(٣٤٢)]. وكان رسول الله صلوات الله عليه طليق الوجه، كما حدث بذلك الصحابى الجليل جرير بن عبد الله البجلى: "ما حجبني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) منذ أسلمت، و لا رآنى إلا تبسم"[(٣٤٣)].

لقد أراد الإسلام للمسلمين والمسلمات أن تبقى أواصر الود بينهم معقودة، ووشائج الأخوة متينة صلبة؛ ولذلك حبب إليهم إفشاء السلام، وطلاقة الوجه، ولين الكلام، وحسن اللقاء، لتبقى النفوس منفتحة صافية مقبلة على التعاون والبر والعمل الصالح، قادرة على النهوض بتكاليف الإسلام وما تتطلب من جهود وتضحيات.

كوني لأخواتك الناصحة الأمينة المخلصة لهن: فكما ورد في الحديث الصحيح "الدين النصيحة" قلنا: لمن؟ قال: "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة

(٣٣٩) صحيح مسلم ١٤١/١٦ كتاب البر والصلة والآداب: باب استحباب العفو والتواضع.
(٣٤٠) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ٥٠٥/١ باب الشحناء.
(٣٤١) صحيح مسلم ١٧٧/١٦ كتاب البر والصلة والآداب: باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء.
(٣٤٢) وراه الترمذى ٢٢٨/٣ أبواب البر: ٣٦، وقال: حسن غريب.
(٣٤٣) فتح البارى ٥٠٤/١٠ كتاب الأدب: باب التبسم والضحك، وصحيح مسلم ٣٥/١٦ كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل جرير بن عبد الله.

المسلمين وعامتهم"[٣٤٤].فانصحي لأخواتك أيتها الأخت المخلصة، لا تغشيهن، ولا تخدعيهن، ولا تزوي عنهن خيراً، وليس ذلك مجاملة لهن، ولا تظاهراً بالدماثة الاجتماعية، وإنما اعتقاداً منك بأن النصيحة من أمهات قواعد الإسلام التي كان المؤمنون الأولون يبايعون رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عليها، يؤكد ذلك قول جرير بن عبد الله رضي الله عنه: "بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم"[٣٤٥]. ولقد رأينا آنفا في مستهل هذه الفقرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم عرف الدين بكلمة واحدة هي "النصيحة" وهذا تأكيد منه أن النصيحة عمود الدين، ومرتكزه الأصيل، وأساسه الراسخ، وهى من شروط صحة الإيمان وكماله، كما يفهم من قول الرسول الكريم: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه[٣٤٦]".

وبدهى أن الإنسان لا يمكن أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه إلا إذا كان محبا نصوحاً. وحب الإنسان لأخيه ما يحب لنفسه ليس بالأمر السهل، بل هو مرتقى صعب عسير المنال، لا يناله من الرجال والنساء إلا من هذب الإسلام مشاعرهم، واستل سخائم الأنانية من صدورهم، ونقى قلو م وسرائرهم من الحقد والحسد والكراهية، وزرع فيها حب الآخرين.

وأنت أيتها المسلمة الصادقة مرآة صادقة لأخواتك، تنصحينهن، ولا تتمنين لهن إلا الخير، كما يقول أبو هريرة رضي الله عنه: "المؤمن مرآة أخيه، إذا رأى فيه عيبا أصلحه" [٣٤٧] وهذا الكلام العالي من أبي هريرة إنما هو قبس من أقباس النبي الكريم وهديه القائل: "المؤمن مرآة أخيه، والمؤمن أخو المؤمن، يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه" [٣٤٨]، لذا فينبغي أن تكون صلاتك بأخواتك وصديقاتك ومواقفك منهن في هذا المستوى العالى الرفيع، وإلا لما كنت جديرة بالعيش في هذه الأجواء الطاهرة النظيفة المفعمة بشذا الحب، وعبير الوفاء وندى الأخوة، ولهبطت إلى درك الكراهية والخيانة والحقد والأنانية والغيرة

---

(٣٤٤) صحيح مسلم ٣٧/٢ كتاب الإيمان: باب بيان أن الدين النصيحة.
(٣٤٥) متفق عليه: انظر شرح السنة ٦٣/١ كتاب الإيمان: باب البيعة على الإسلام.
(٣٤٦) متفق عليه: انظر شرح ٦٠/١٣ كتاب البر والصلة: باب يحب لأخيه ما يحب لنفسه.
(٣٤٧) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ٣٣٣/١ باب المسلم مرآة أخيه.
(٣٤٨) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ٣٣٣/١ باب المسلم مرآة أخيه.

المقيتة؛ فكل إناء بالذي فيه ينصح، والمسك لا ينفخ إلا الشذا، والتربة الطيبة لا تخرج إلا النبات الطيب.

كوني بارة بأخواتك وفية لهن: فقد روي عن أبن عمر رضي الله عن أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "إن أبر البر أن يصل الرجل ود أبيه"[(٣٤٩)]، فالإسلام لم يكتف بحض أبنائه وبناته على بر الأصدقاء والصديقات، بل حض على بر أصدقاء الوالدين، تأكيداً منه على فضيلة الوفاء والبر في النفس الإنسانية، وتأصيلا لها في الحياة الإسلامية. ولقد وضع الرسول الكريم للمرأة المسلمة نبراساً تستهدى به في الوفاء والبر، إذ كان يرعى صديقات خديجة رضي لله عنها بعد مو ا، فلا ينساهن أبداً من بره وإحسانه، وكان هذا الإهتمام من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بصديقات خديجة مما يغيظ أم المؤمنين السيدة عائشة، فتغار منها. وهذا ما نجده في حديث السيدة عائشة الذي تقول فيه: "ما غرت على أحد من نساء النبي (صلى الله عليه وسلم) ما غرت على خديجة رضي الله عنها، وما رأيتها قط، ولكن كان يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأن لم يكن في الدنيا أمرأة إلا خديجة! فيقول: "إ ا كانت وكانت، وكان لى منها ولد"[(٣٥٠)]. ففي هدي الرسول (صلى الله عليه وسلم) تأصيل للوفاء والبر، يمتد فيشمل الأصدقاء والصديقات الأبعدين للآباء والزوجات الأموات، فكيف بالصديقات القريبات من الأحياء؟

ترفقي أيتها الأخت المسلمة بأخواتك وصديقاتك: ولا تستعلي عليهن ولا تتجهمي لهن، ولا تغلظي لهن القول، بل كوني معهن دوماً رفيقة لطيفة آلفة مألوفة حسنة المعشر لينة القول. وحسبك أن تقرئي قوله تعالى في وصف رسوله الكريم (صلى الله عليه وسلم): "وَلَو كُنت فَظّاً غَليظَ الْقَلْبِ لاَنفَضواْ من حولِكَ" (آل عمران: ١٥٩)، وفي صفة المؤمنين والمؤمنات: "أذلة علَى الْمؤمِنِين أعزة علَى الْكَافرِين" (المائدة:٥٤)،إ ا الحالة المثلى من التواضع ولين الجانب وحسن التعامل التي تصل إلى القمة في الرفق، حتى إ ا لتشبه الذلة. وإذا ما التفت إلى التوجيه النبوي ألفيته آية في تحبيب الرفق إلى الإنسان، حتى إنه

(٣٤٩) صحيح مسلم ١١٠/١٦ كتاب البر والصلة والآداب: باب فضل صلة الأصدقاء الأب والأم.
(٣٥٠) فتح البارى ١٣٣/٧ كتاب مناقب الأنصار: باب تزويج النبى (صلى الله عليه وسلم) خديجة وفضلها، وصحيح مسلم ٢٠١/١٥ كتاب الفضائل: باب فضائل خديجة.

ليجعله زينة كل شيء في الحياة، وذلك في قول الرسول الكريم: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ي ع من شيء إلا شانه"[(٣٥١)]، وها هو ذا أنس رضي الله عنه خادمه وملازمه يصف أخلاقه وشمائله الرفيعة بقوله: "لقد خدمت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عشر سنين، فما قال لي قط: أف، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلت كذا؟!"[(٣٥٢)]. ويقول أنس أيضا: "لم يكن النبي (صلى الله عليه وسلم) سباباً ولا فحاشاً ولا لعاناً، كان يقول عند المعتبة: ما له ترب جبينه[(٣٥٣)(٣٥٤)]؟

أمسكي لسانك عن الغيبة بعامة وعن غيبة أخواتك وصديقاتك بخاصة:

لأن الغيبة حرام بنص القرآن الكريم: "ولَا يغتب بعضكُم بعضاً أيحب أحدكُم أن يأكُلَ لَحم أخيه ميتاً فَكَرِهتموه واتقُوا الله إن الله تواب رحيم" (الحجرات:١٢). والمسلمة التقية تحفظ لسا ا دوماً عن الخوض في الأحاديث الموقعة في الغيبة، وتدرك أن اللسان هو الذي يكب صاحبه أو صاحبته في النار، وذلك في الحديث الذي حذر فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) معاذ بن جبل، إذ أخذ بلسانه وقال: "كف عليك هذا"، فقال معاذ: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): "ثكلتك أمك، وهل يكب الناس في النار على وجوههم، أو قال: على مناخرهم، إلا حصائد ألسنتهم؟"[(٣٥٥)].

إن الغيبة خلق ذميم، لا تتصف به المرأة المسلمة المستنيرة دى دينها، وتأبى عليها شخصيتها التي ارتوت من فضائل هذا الدين أن تكون بوجهين ولسانين، تتلون وتتكيف وتنافق وتجامل، فتغتاب أخوا ا وصديقا ا في ا الس، فإذا لقيتهن هشت لهن وبشت وتظاهرت لهن بالمودة والصداقة؛ لأ ا تعلم أن هذا التلون حرام في شرعة الإسلام التي قامت على الاستقامة والصدق والوضوح، وطبعت المؤمنين والمؤمنات بذلك، وكرهت إليهم التذبذب والتلون

---

(٣٥١) صحيح مسلم ١٤٦/١٦ كتاب البر والصلة والآداب: باب فضل الرفق.
(٣٥٢) متفق عليه: انظر رياض الصالحين: ٣٣٦ باب حسن الخلق.
(٣٥٣) قيل فى تفسير هذه العبارة: أراد النبى صلى الله عليه وسلم ا دعاء له بكثرة السجود، ففى ذلك هداية له وإصلاح.
(٣٥٤) فتح البارى ٤٥٢/١٠ كتاب الأدب: باب لم يكن النبى (صلى الله عليه وسلم) فاحشاً ولا متفحشاً.
(٣٥٥) حديث حسن صحيح رواه ابن ماجه ١٣١٥/٢ كتاب الفتن.

والنفاق، بل نفرت من تلك الخلائق تنفيراً شديداً، حين جعلت من يتخلق ا من ذوي الوجهين، وهم من قال فيهم الرسول (صلى الله عليه وسلم): "تجد من شرار الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين، الذي يأتى هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه"[٣٥٦]، والمرأة المسلمة الصادقة لها وجه واحد، وإنه لوجه أغر أزهر أبلج مشرق واضح، لا يتلون ولا يتغير، تلقى به الناس جميعاً، أما ذات الوجهين فمنافقة، والإسلام والنفاق لا يجتمعان.

تجنبي **مع أخواتك المخاصمة والمزاح المؤذى والإخلاف بالوعد:** الاتزان والحكمة والفطنة هي شعارك في معاشرة أخواتك وصديقاتك، مستهدية دى الرسول الكريم القائل: لا تمار أخاك [٣٥٧]، ولا تمازحه [٣٥٨]، ولا تعده موعداً فتخلفه"[٣٥٩] ذلك أن كثرة الجدل والمخاصمة توغر الصدور، وتورث النفور والبغضاء، وكثرة المزاح الجارح المؤذي تعكر صفو العلاقة بن الأختين، وإخلاف المواعيد يوهن وشيجة الأخوة والصداقة ويقلل من الاحترام المتبادل بينهما. والمرأة المسلمة النبيهة بعيدة عن الوقوع في مثل هذه المخالفات الاجتماعية المزرية بشخصية الإنسان.

أكرمي أخواتك وكوني جوادة سخية مبسوطة اليد: فقومي بدعو ن واستقبالهن وإكرامهن وإطعامهن. ذلك أن اللقاءات الودية على الطعام توثق عرى الأخوة، وتوطد أواصر المودة بين الأخوات، وتشيع في حيا ن ندى العاطفة الإنسانية النبيلة الذي افتقدته المرأة الغربية التي ربتها الحضارة المادية الحديثة، فنمت في نفسها روح النفعية والأنانية والفردية، فإذا هى تعانى خواء روحياً وجفافاً عاطفياً، نتج عنهما شعور بالحرمان من الصداقة والصديقات المخلصات. وهذا شأن الإنسان الغربى بعامة، والمرأة الغربية بخاصة.

وبشر الكرماء الأجواد الأسخياء من الرجال والنساء بأ ن من الداخلين الجنة بسلام: "أفش السلام، وأطعم الطعام، وصل الأرحام، وقم بالليل والناس نيام، تدخل الجنة بسلام"[٣٦٠]، وخص هؤلاء الأجواد بغرف متميزة خاصة في

---

(٣٥٦) فتح البارى ٤٧/١٠/ كتاب الأدب: باب ما قيل فى ذى الوجهين، وصحيح مسلم ١٥٧/١٦ كتاب البر والصلة والآداب: باب ذم ذى الوجهين.
(٣٥٧) إى لا تجادلة مخاصماً.
(٣٥٨) إى لا تفر صفى المزاح.
(٣٥٩) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ٤٥٨/١ باب لا تعد أخاك شيئا فتخلفه.
(٣٦٠) حديث صحيح رواه أحمد ٢٩٥/٢، والحاكم ١٢٩/٤ كتاب الأطعمة.

الجنة: "إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام"(٣٦١).

وخير ما تهدين لأخواتك الدعاء بظهر الغيب: دعوة غائبة لغائبة، مفعمة بحرارة الأخوة الصادقة، صادرة عن قلب محب صدوق، فمثل هذه الدعوة أسرع الدعوات إجابة، لما حملته من صدق ابتهال، وحرارة شعور، وسمو غرض، يؤكد ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "أسرع الدعاء إجابة غائب لغائب"(٣٦٢) وقد استقر هذا المعنى في نفوس الصحابة الكرام، فكانوا يطلبون الدعاء من أخوانهم كلما وقفوا موقفا يستجاب فيه الدعاء، فقد أخرج البخاري في الأدب المفرد عن صفوان بن عبد الله بن صفوان، وكانت تحته الدرداء، قال: قدمت عليهم الشام، فوجدت أم الدرداء في البيت، ولم أجد أبا الدراداء، قالت: أتريد الحج؟ قلت: نعم، قالت: فادع لنا بخير؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: "إن دعوة المرء المسلم مستجابة لأخيه بظهر الغيب، عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير قال: آمين، ولك بمثل"(٣٦٣).

قال: فلقيت أبا الدرداء في السوق، فقال مثل ذلك، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤصل الروح الاجتماعية في نفوس المسلمين والمسلمات، ويجتث نزعة الفردية والأنانية في كل مناسبة تسنح له، لتترسخ في حياة المجتمع المسلم مشاعر الود والترابط والتكافل والحب والتواصل والإيثار، ومن توجيهاته الرائعة ما قاله لرجل هتف داعيا: اللهم اغفر لي ولمحمد وحنا، قال له: "لقد حجبتها عن ناس كثيرين"(٣٦٤)، ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) في مثل هذه اللفتات التربوية لا يسدد هذا الرجل الداعي فحسب، وإنما يؤصل لأمة الإسلام قاطبة الروح الجماعية فيها، ويعلم كل مسلم ومسلمة في كل زمان ومكان أنه لا ينبغى لكل من نطق بالشهادتين أن يستأثر بالخير وحده، لأن المؤمن ينبغى دوما أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

---

(٣٦١) حديث حسن رواه أحمد ٣٤٣/٥، وابن حبان ٢٦٢/٢ كتاب البر والإحسان: باب إفشاء السلام وإطعام الطعام.
(٣٦٢) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ٨٣/٢ باب دعاء الأخ بظهر الغيب.
(٣٦٣) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد: ٨٤/٢ باب الدعاء بظهر الغيب.
(٣٦٤) البخارى فى الأدب المفرد ٨٥/٢ باب الدعاء بظهر الغيب.

وبعد، فهذه هى المرأة المسلمة التي رباها الإسلام، تحب أخوا ا وتؤاخيهن في الله، وهي في محبتها ومؤاخا ا لهن صادقة مخلصة ناصحة حريصة على كل ما ينفعهن، تحب لهن ما تحب لنفسها، حريصة على بقاء حبل الأخوة والود موصولا بينها وبينهن، لا تقاطعهن ولا جرهن، وهي متسامحة تعفو عن أخطائهن وزلا ن، لا تحمل في نفسها عليهن شيئا من غل أو حسد أو ضغينة، تلقاهن دوما بوجه متهلل متألق طليق، وهى برة وفية لهن، رفيقة ن، ولا تجرح مشاعرهن بالخصام والجدل والمشاحنة، سخية عليهن، تكرمهن، وتدعو لهن بظهر الغيب. ولا عجب أن تتصف المرأة المسلمة التي هذب الإسلام مشاعرها وصاغ شخصيتها ذه الصفات.

عاشرا: المرأة المسلمة مع مجتمعها

أختي المسلمة: إذا كان عدد النساء في ا تمعات يجاوز عدد الرجال حتى يصل في بعضها إلى الضعف أو يزيد، فدلالة ذلك أن المرأة موجودة في ا تمع ومؤثرة فيه تأثيرا يتناسب مع ثقلها العددي ومهامها الجليلة، والدين لم يفـرق بينك وبين الرجل في التكاليف، ولا في حمل رسالة الإسلام وأعباء الدعوة إليه، لذا وجب أن تكوني شخصية اجتماعية فعالة مؤثرة، بقدر ما تسعفك ظروف حياتك وأسرتك وإمكانياتك، فتخالطين النساء علـى قـدر اسـتطاعتك، وتعاملينهن بخلق الإسلام الرفيع الذي يميزك، وتبرزين في كل مجتمـع نـسائى مجسدة قيم دينك الحق، وشمائله الحسان، بتطبيقك العملـى لهـذه القـيم في سلوكك الاجتماعى ومعاملتك للناس.

فتعاملي أختاه مع محيطك الاجتماعي بخلق حسن: مؤتسية بخلق الرسول الكريم الذي وصفه ربه بقوله تعالى:"وإنك لعلى خلُقٍ عظـيمٍ" (القلـم:٤)، والذي قال: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق، وكان يقول لصحابته "إن مـن خياركم أحاسنكم أخلاقا"[(٣٦٥)]، و"إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون

(٣٦٥) فتح البارى ٤٥٦/١٠ كتاب الأدب: باب حسن الخلق، وصحيح مسلم ٧٨/١٥ كتاب الفضائل: باب
كثرة حيائه (صلى الله عليه وسلم)

والمتشدقون والمتفيهقون". قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: "المتكبرون"[٣٦٦].

يقول أنس (رضي الله عنه): "كان النبي رحيما، وكان لا يأتيه أحد إلا وعده، وأنجز له إن كان عنده. وأقيمت الصلاة، وجاء أعرابى فأخذ بثوبه فقال: إنما بقى من حاجتي يسيرة، وأخاف أنساها، فقام معه حتى فرغ من حاجته، ثم أقبل فصلى"[٣٦٧] لم يجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حرجا في أن يستمع إلى الأعرابى، ويقضى حاجته، وقد أقيمت الصلاة، ولم يضق صدره بذاك الأعرابى الذي أخذ بثوبه، وأصر على قضاء حاجته قبل الصلاة؛ لأنه، صلوات الله عليه، كان يبنى مجتمع الأخلاق، ويعلم المسلمين بفعله كيف يجب أن يعامل المسلم أخاه الإنسان، ويقرر لهم المبدأ الخلقى الذي ينبغى أن يسود مجتمع المسلمين.

وإذا كان حسن الخلق عند غير المسلمين يرجع إلى حسن التربية وسلامة التنشيءة ورقي التعليم، فاعلمي أختاه أن حسن الخلق عند المسلمين يعود قبل هذا كله إلى هدي الدين الذي جعل من حسن الخلق سجية أصيلة في الإنسان المسلم، ترفع من منزلته في الدنيا، وترجح كفة ميزانه في الآخرة؛ وكما أخبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) "ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن؛ فإن الله تعالى ليبغض الفاحش البذيء"[٣٦٨]، بل إن الإسلام جعل حسن الخلق من كمال الإيمان، إذ قال (صلى الله عليه وسلم): "أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا"[٣٦٩].

وجعل أحسن الناس خلقا من أحب عباد الله إليه، يشهد بذلك حديث أسامة بن شريك، قال: "كنا جلوسا عند النبي (صلى الله عليه وسلم) كأنما على رؤوسنا الطير، ما يتكلم منا متكلم إذ جاءه ناس فقالوا: من أحب عباد الله إلى الله تعالى؟ قال: أحسنهم أخلاقا"[٣٧٠]. كما قرر رسول الله (صلى الله

(٣٦٦) رواه الترمذى ٢٤٩/٣ فى أبواب البر: ٧٠، وقال: حديث حسن.
(٣٦٧) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ٣٧٥/١ باب سخاوة النفس.
(٣٦٨) رواه الترمذى ٢٤٤/٣ فى أبواب البر: باب حسن الخلق، وقال: حديث حسن صحيح.
(٣٦٩) رواه الترمذى ٣١٥/٢ فى أبواب الرضاع: ١١، وقال: حديث حسن صحيح.
(٣٧٠) رواه الطبرانى فى الكبير ١٨١/١، ١٨٣، ورجاله رجال الصحيح.

عليه وسلم) في قوله: "لا يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن حسن الخلق ليبلغ بصاحبه درجة الصوم والصلاة"(٣٧١).

ومن ثم كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يؤكد أهمية الخلق للصحابة الكرام، ويحضهم على التجمل به، ويحببه إلى نفوسهم بأساليب شتى من قوله وفعله، إدراكا منه لأثره الكبير في تهذيب الطباع، وتزكيه النفوس، وتجميل الخلائق، ومن ذلك قوله لأبى ذر: "يا أبا ذر، ألا أدلك على خصلتين، هما أخف على الظهر، وأثقل في الميزان من غيرهما؟". قال: بلى يا رسول الله، قال: "عليك بحسن الخلق، وطول الصمت. فوالذي نفسى بيده ما تجمل الخلائق بمثلهما"(٣٧٢) وقوله: "حسن الخلق نماء، وسوء الخلق شؤم، والبر زيادة في العمر، والصدقة تمنع ميته السوء"(٣٧٣). وكان من دعائه (صلى الله عليه وسلم): "اللهم أحسنت خلقي، فأحسن خلقي"(٣٧٤).

وحسن الخلق كلمة جامعة، يندرج تحتها كل خلق كريم يزكي الإنسان ويسمو به، بيد أن المستقصى لنصوص التوجيه الاجتماعى في الإسلام، يجد نفسه أمام حشد كبير جدا من النصوص التي تحض على كل خلق من هذه الأخلاق الاجتماعية الرفيعة، مما يدل على اهتمام الإسلام الشديد بتكوين شخصية الإنسان المسلم الاجتماعية تكوينا دقيقا متكاملا، وهذا الاستيعاب والشمول لم يتوافر في منهج من مناهج التربية الاجتماعية توافره في منهج هذا الدين. لذا كان لابد لي وأنا أسعى لتجلية شخصية المرأة المسلمة من الوقوف عند هذه النصوص بما تضمنته من هدى وتوجيه وتشريع، لأبين لك أختاه ما يجب أن تتميز به شخصيتك من طباع وأخلاق وصفات.

كوني صادقة: مع الناس جميعا لأن مبادئ الإسلام تحض على الصدق، وتصوره رأس الفضائل وتنهي عن الكذب، وتعده منبع الرذائل والمفاسد، ولأنك كمسلمة تؤمنين بما ورد عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: "إن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة. وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى

---

(٣٧١) رواة إلترمذى ٢٤٥/٣ فى أبواب البر والصلة: ٦١، ورجاله ثقات.
(٣٧٢) رواه إبو يعلى والطبرانى فى الأوسط، ورجال أبى يعلى ثقاب. انظر مجمع الزوائد ٢٢/٨.
(٣٧٣) رواه إحمد ٥٠٢/٣، ورجاله ثقاب.
(٣٧٤) رواه أحمد ٤٠٣/١، ورجاله رجال الصحيح.

النار. وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا"[٣٧٥] فاحرصي علـى أن تكوني تلك الصديقة التي تتحرى الصدق، وتلتزم به في أقوالها وأفعالها، وإ ـا لمرتبة سامقة عالية تبلغها المرأة المسلمة التقية بصدق سرير ا.

لا تشهدي الزور: لأن ذلك حرام في شرعة الإسلام: " واجتنِبـوا قَـولَ الزورِ " (الحج: ٣٠). وشهادة الزور تخل بالشرف وتزرى بصاحبها، وتـبرزه وضيعا تافها في أعين الناس، ولذلك نفي القرآن الكريم هذه الصفة عن عبـاد الرحمن، فيما نفي عنهم من كبائر، إذ قال: " والذين لَا يشهدونَ الـزور وإِذَا مروا بِاللغوِ مروا كراماً" (الفرقان:٧٢)، وليس أدل على فداحة هذه المعـصية من أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئا فجلس، فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يكررهـا حـتى قلنـا: ليتـه سكت"[٣٧٦]

ابذلي النصيحة: لكل امرأة تصلين إليها، من النساء اللواتي شـردن عـن هدي الله. وكم من امرأة أسرفت على نفسها، فهي بحاجة إلى من ينـصحها، ويلفت نظرها إلى الجادة المستقيمة التي أمر الله بسلوكها. واعلمي أن إسـداء النصيحة ليس تطوعا أوتكرما منك، وإنما هو واجب كما أخبر الرسول الكريم بقوله: الدين النصيحة. قلنا: لمن؟ قال: "الله ولكتابـه، ولرسـوله، ولأئمـة المسلمين وعامتهم"[٣٧٧].

وكان جرير بن عبد الله (رضي الله عنه) يقول:"بايعت رسول الله (صـلى الله عليه وسلم) على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم"[٣٧٨] فمـا فشت النصيحة في قوم إلا هدوا إلى الطريق المستقيم، وما اختفت النصيحة في قوم إلا ضلوا ضلالا كبيرا. وإذا ما علمت أختاه أن المسئولية في الإسلام عامة شاملة الرجال والنساء، أدركت أن عليك جانبا من المسئولية في تقديم النصح في محيطك لكل من ينتفع به.

(٣٧٥) متفق عليه. انظر رياض الصالحين: ٥٠ باب الصدق.
(٣٧٦) متفق عليه. انظر رياض الصالحين: ٦٨٩ باب غلظ تحريم شهادة الزور.
(٣٧٧) صحيح مسلم ٣٧/٢ كتاب الإيمان: باب بيان أن الدين النصيحة.
(٣٧٨) متفق عليه: انظر شرح السنة ٩٢/١٣ كتاب البر والصلة: باب النصيحة.

دلي **على الخير:** لأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "من دل على خير فله مثل أجر فاعله"[٣٧٩]، تدلين على الخير متى علمت بـه، ليخـرج إلى النور، ويشيع الخير في ا تمع وينتفع به الناس، وسيان لديك أتم فعل الخير على يديك أم على يدى غيرك؛ لأنك كمسلمة تقية بعيدة عـن احتجـاز الخـير لنفسك، لتتباهي بفعله أمام الناس، فكم حجبت هذه الآفات النفسية القاتلـة الخير عن ا تمعات؛ لأن أصحا ا يودون أن يقوموا هم دون سـواهم بفعـل الخير، ولكن ظروفهم قد لا تمكنهم من القيام به فيبقى الخير موءودا، والمصالح معطلة، وقد ينتهي العمر، والخير حبيس تلك الرؤوس المظلمة، فحسبك أختاه أن أجرك عند الله ثابت في الحالين، وثواب الله لديك أكبر وأعظم من السمعة والشهرة وحب الظهور.

لا تغشي ولا تخدعي **ولا تغدري:** لأنك صادقة، وفطرتك المتشبعة دى الإسلام الحنيف تنفر من الغش والخداع والغدر، وترى في هـذه الأخـلاق الوضيعة أمارة على انسلاخ صاحبها من الانتساب للإسلام، ففي رواية لمسلم أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مر على صبرة[٣٨٠] طعام، فأدخل يـده فيها، فنالت أصابعه بللا، فقال: "ما هذا يا صاحب الطعام؟" قـال: أصـابته السماء[٣٨١] يا رسول الله. قال: "أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس! من غش فليس منى"[٣٨٢]

ولقد عد الإسلام الغش والخديعة والغدر من الجرائم البشعة الـتي تـزرى بصاحبها في الدنيا، وتسود وجهة في الآخرة، إذ أعلن رسول الله (صـلى الله عليه وسلم) أن: "لكل غادر لواء يوم القيامة، يقال: هذه غدرة فلان"[٣٨٣] فيا لخجلة الغدارين والغدارات الذين حسبوا أن غدرا م طو ا الأيام، فإذا هـي تنشر يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، وألويتها مرفوعة بأيـديهم، تحـرمهم شفاعة الرسول الكريم: "قال الله تعالى ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجـل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا فاسـتوفي

---

(٣٧٩) صحيح مسلم ٣٨/١٣ كتاب الإمارة: باب فضل إعانة الغازى فى سبيل الله.
(٣٨٠) إى كومة.
(٣٨١) أى المطر.
(٣٨٢) صحيح مسلم ١٠٩/٢ كتاب الإيمان: باب من غشنا فليس منا.
(٣٨٣) متفق عليه. انظر شرح السنة ٧١/١٠-٧٣ كتاب الإمارة والقضاء: باب وعيد الغدر، ورياض الصالحين: ٧٠٥ باب تحريم الغدر.

منه ولم يعطه أجره"[٣٨٤] فابتعدي أيتها المسلمة الصادقة التي ارتوت من هدي دينها الحق عن خلائق الغش والخديعة والغدر بكل صورها، وإ ا لكـثيرة في عالم المرأة المعاصرة، واربئي بنفسك أن تكوني مع اللواتى عدهن رسـول الله (صلى الله عليه وسلم) من المنافقات: "أربع من كن فيه كان منافقا خالـصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، إذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر"[٣٨٥].

كوني من الموفين بالوعد: لأن الوفاء بالوعد خصلة حميدة، تدل على رقي من تتحلى ا، وتعينها على النجاح في حيا ـا، وتكـسبها محبـة النـاس واحترامهم. وتغرس الفضائل الخلقية والنفسية في أبنائها وبنا ا، وقد وردت في الحض على الوفاء بالوعد آيات كثيرة من كتاب الله:"يا أيها الذين آمنواْ أَوفُواْ بِالْعقُود" (المائدة:١)، "وأَوفُواْ بِالْعهد إِن الْعهد كَانَ مسئولاً" (الإسـراء:٣٤)، ففي الآيات أمر رباني قاطع لعباده المـؤمنين والمؤمنـات بالوفـاء بالعهـد ومسلتزماته، وقد أضيف العهد في بعض الآيات إلى الله عز وجل، دلالة علـى قدسيته وجلاله ووجوب الوفاء به:"وأَوفُواْ بِعهد اللّه إِذَا عاهدتم" (النحل:٩١)

ذلك أن الإسلام يمقت المتبجحين بـالوعود والمتبجحـات، والقـوالين والقوالات، من غير وفاء ولا إنجاز: "يا أيها الذين آمنوا لم تقُولُـونَ مـا لَـا تفْعلُونَ * كَبر مقْتاً عند الله أن تقُولُوا ما لَا تفْعلُونَ" (الصف:٢-٣) المقـت الكبير الذي يكره الله لعباده المؤمنين أن يرتكسوا فيه، إذ يقولون ما لا يفعلون. ويقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كـذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان"[٣٨٦] وفي رواية لمسلم: "وإن صام وصـلى وزعم أنه مسلم"[٣٨٧].

وحسن إسلامك أختي المسلمة ليس في القيام بالعبادات فحـسب، وإنمـا بامتزاج نفسك بتعاليم الإسلام وأخلاقة الرفيعة أيضا، بحيث لا يصدر عنك إلا ما يرضي الله عز وجل؛ فلا إخلاف بالوعد، ولا غش في التعامل، ولا خيانـة للعهود والمواثيق، واعلمي أن من تعد أولادها، ثم تخلف وعودها، فإنما تغـرس

---

(٣٨٤) فتح البارى ٤١٧/٤ كتاب البيوع: باب إثم من باع حرا.
(٣٨٥) متفق عليه. انظر شرح السنة ٧٤/١ كتاب الإيمان: باب علامات النفاق.
(٣٨٦) متفق عليه. انظر شرح السنة ٧٢/١ كتاب الإيمان: باب علامات النفاق.
(٣٨٧) صحيح مسلم ٤٨/٢ كتاب الإيمان: باب بيان خصال المنافق.

بأفعالها هذه في نفوسهم بذور الكذب والإخلاف بالوعد، و تدخل باستهتارها بالوفاء بالعهد في زمرة المنافقات، وتحجز مكا ا في الدرك الأسفل من النار.

اجتنبي النفاق: والمداهنة وا املة المحرمة والمديح الكـ اذب لأن النفـ اق حرام، ولأنك صريحة واضحة في أقوالك وأحكامك، ولك في رسول الله أسوة حسنة إذ أقبل عليه بنو عامر يمدحونه بقولهم: أنت سيدنا، فقال: "السيد الله"، وقالوا: وأفضلنا فضلا، وأعظمنا طولا، فقال:"قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم[388] الشيطان. إنى لا أريد أن ترفعونى فوق م لتى التي أنزلنيها الله تعالى، أنا محمد بن عبد الله، وعبده ورسوله"[389].

لقد قطع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الطريق علـ ى المـ ادحين أن يسترسلوا في كيل المديح للناس، لأنه كان يعلم أن باب المديح إذا فتح علـ ى مصرعيه أدى إلى مزالق خطيرة من النفاق، لا تستسيغها روح الإسلام النقيـ ة البرئية، ولا يقبلها الحق الذي قام عليه هذا الدين، وكان ينهى الصحابة عـ ن مدح الإنسان في وجهه، لكيلا تأخذ الممـ دوح نـ شوة التيـ ه والاسـ تعلاء والإعجاب بالنفس، أخرج الشيخان عن أبى بكرة (رضي الله عنه) قال: أثـ نى رجل على رجل عند النبي (صلى الله عليه وسلم)، فقال: "ويحك! قطعت عنق صاحبك، قطعت عنق صاحبك، مراراً". ثم قال: "إذا كان أحـ دكم مادحـ ا صاحبه لا محالة فليقل: أحسب فلانا، والله حسيبه، ولا أزكى على الله أحدا، أحسبه، إن كان يعلم ذاك كذا وكذا"[390].

وأخرج البخاري في الأدب المفرد عن رجاء عن محجن الأسلمى (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومحجنا كانا في المـ سجد، فـ رأى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رجلا يصلى ويسجد ويركع، فقال الرسول (صلى الله عليه وسلم): "من هذا؟" فأخذ محجن يطريه، ويقول: يا نـ بى الله، هذا فلان من أحسن أهل المدينة فقال: "أمسك، لا تسمعه، فتهلكه!"[391].

---

(٣٨٨) لا يستجرينكم: من الجرى، وهو الوكيل، يقول: تكلموا بما يحضركم، ولا تنطعوا، ولا تتكلفوا، كأنكم وكلاء الشيطان ورسله، كأنما تنطقون بلسانه.

(٣٨٩) حياة الصاحبة ٩٩/٣.

(٣٩٠) فتح البارى ٤٧٦/١٠ كتاب الأدب: باب ما يكره من التمادح، وصحيح مسلم ١٢٦/١٨ كتاب الزهد: باب ا ى عن الإفراط فى المدح.

(٣٩١) انظر الأدب المفرد ٤٣٣/١ باب يحثى فى وجوه المداحين.

وقد أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) صحابته أن يحثـوا التـراب في وجه المداحين، لكيلا يكثر سوادهم في ا تمع الإسلامى، وبكثـر م يفـشو النفاق، ويكثر التزلف، واعلمي أختاه أن هناك مجاملة محرمة، وي بصاحبتها من حيث لا تشعر إلى قرار سحيق من النفاق المهلك الممقوت، وذلك حـين تسكتين عن تبيان الحق، أو تكيلين المديح لمن لا يستحقه من الناس، فالمدح إذا كان لابد منه فينبغى أن يكون صادقا منطبقا على واقع الممدوح، وينبغـى أن يكون معتدلا متحفظا لا غلو فيه، وذلك وحده ينقى ا تمع من أوباء النفـاق والكذب والمخاتلة والتزلف والرياء وا اراة.

تجملي بالحياء: ذلك الخلق النبيل الباعث دوما على ترك القبيح، والابتعاد عن التقصير في حق أصحاب الحقوق. وقد وصف أبو سعد الخدرى رسول الله فقال: "كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أشد حيـاء مـن العـذراء في خدرها، فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه في وجهه"[٣٩٢].

وعن عمران بن حصين (رضي الله عنه)، قال: قال رسول الله (صـلى الله عليه وسلم): "الحياء لا يأتى إلا بخير"[٣٩٣]. وعن أبى هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "الإيمان بضع وسبعون شعبة، أو بضع وستون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريـق، والحياء شعبة من الإيمان"[٣٩٤].

إن المرأة المسلمة الصادقة التقية حيية مهذبة دمثة مرهفة الشعور، لا يصدر عنها قول أو فعل يؤذى الناس. أو يخدش كراما م لا حياء وخجـلا منـهم فحسب، وإنما حياء من الله تعالى، وتحرجا أن تلبس إيما ا بظلم، إذ الحياء شعبة من شعب الإيمان.

تعففي عن المسألة: ولا تفكري إطلاقا في أن تقفـي موقـف المـسألة والاستجداء مهما ألم بك من ضيق، أو دهمتك فاقة؛ لأن الإسلام يربأ بالمسلمة الصادقة أن تضع نفسها في هذا الموقف، ويهيب ا أن تـستعف وتـستغنى

---

(٣٩٢) متفق عليه. انظر رياض الصالحين: ٣٦٤ كتاب الأدب: باب فى الحياء وفضله.
(٣٩٣) متفق عليه. انظر رياض الصالحين: ٣٦٣ كتاب الأدب: باب فى الحياء وفضله.
(٣٩٤) متفق عليه. انظر رياض الصالحين: ٣٦٣ كتاب الأدب: باب ٣٦٣.

وتصبر. "ومن يستعفف يعفه الله. ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر"(٣٩٥)

إن المرأة المستنيرة بهدى دينها لتعلم أن الإسلام الذي جعل في أموال الأغنياء حقا للفقراء، يتقاضونه بغير منه ولا أذى ولا غضاضة، أراد للفقراء في الوقت نفسه أن يستغنوا عن هذا الحق، ومن هنا كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يعلن من على المنبر، وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسألة، أن "اليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا هي المنفقة، والسفلى هي السائلة"(٣٩٦).

فاجتهدي ألا تكون يدك السفلى؛ ذلك أجدر بك وأليق وأكرم.

لا تتدخلي فيما لا يعنيك: ولا تمدي عينيك باحثة عن خصوصيات من حولك من النساء، ولا تدسي أنفك في شؤونهن، وصوني نفسك عن الثرثرة الفارغة، ولا تحشري نفسك في أمر لا يهمك من قريب أو بعيد، وقد يعود عليك بالإثم والمؤاخذة. "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"(٣٩٧).

وعن أبى هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "إن الله تعالى يرضي لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا. يرضى لكم: أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا. ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال"(٣٩٨) وليكن شغلك الدائم ورسالتك في الحياة هي نشر قيم الإسلام بين الناس، فمثلك لا يجدون وقتا للخوض في تلك الآثام.

اجتنبي الخوض في **الأعراض وتتبع العورات:** فالله تعالي يقول: "إِن الذين يحبونَ أَن تشيع الْفَاحشةُ في الذين آمنوا لَهم عذَاب أَليم في الدنيا والْآخرة" (النور:١٩) ذلك أن الذي يخوض في أعراض الناس، وينشر أخبار الفاحشة في

---

(٣٩٥) متفق عليه. انظر رياض الصالحين: ٣٥ باب الصبر.
(٣٩٦) صحيح مسلم ١٢٤/٧ كتاب الزكاة: باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى.
(٣٩٧) أخرجه الترمذى ٣٨٢/٣ أبواب الزهد: ٨، وابن ماجه ١٣١٦/٢ كتاب الفتن: باب كف اللسان عن الفتنة.
(٣٩٨) صحيح مسلم ١٠/١٢ كتاب الأقضية: باب النهى عن كثرة المسائل من غير حاجة.

ا تمع كفاعل الفاحشة سواء، كما يقول على بن أبى طالب (رضي الله عنه): "القائل الفاحشة والذي يشيع ا في الإثم سواء"(٣٩٩).

واعلمي أن معالجة الضعف البشرى لدى بعض المقصرات، لا يكون بتتبع عورا ن وعيو ن والتشهير ن، وإنما يكون بحسن عـرض الموعظـة علـى أسماعهن، وتزيين طاعة الله عز وجل لهن، وتكريه المعصية إلى نفوسهن، دونمـا تصريح ولا تجريح ولا مواجهة أو مجا ة؛ فبالكلمة الطيبة والموعظـة الحـسنة تنفتح مغاليق القلوب، وتنقاد النفوس، وتخشع الجوارح، ولهذا ى الله تعـالى عن التجسس وتتبع عورات المسلمين والمسلمات بقولـه: "ولَـا تجسـسوا" (الحجرات:١٢).

ذلك أن التشهير بالمقصرين والمقصرات، لا يرتد بالأذى عليهم فحـسب، وإنما يؤذي ا تمع الكبير الذي يعيشون فيه. وقد اشتد رسول الله (صـلى الله عليه وسلم) في النهي عن الولوغ في الأعراض حتى قال: "لا تؤذوا عبـاد الله، ولا تعيروهم، ولا تطلبوا عورا م، فإنه من طلب عورة أخية المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته"(٤٠٠). وقد "خطب رسول الله (صـلى الله عليـه وسلم) خطبة حتى أسمع العواتق في خدورهن، فقال: يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تؤذوا المؤمنين، ولا تتبعوا عورا م؛ فإنه مـن تتبـع عورة أخية المسلم هتك الله ستره، ومن يتبع عورته يفضحه، ولو في جـوف بيته"(٤٠١). فما أفدحه من خطأ، وما أكبره من إثم! جعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يعرى هؤلاء المتطاولين والمتطاولات على أعراض الناس من نعمة الإيمان!

اجتنبي الرياء: والتفاخر والمباهاة، لأن لب لباب هذا الدين هو الإخلاص لله تعالى في القول والعمل، ومتى شاب عمل المرأة المسلمة شائبة من ريـاء، أو حب ظهور وطلب لسمعة، أو ثناء وشهرة، بطل عملها. ومحق ثوا ا، وباءت صاحبته بالخسران المبين، مصداق ذلك التحذير القرآنى الـصريح للمتـبعين نفقتهم بالمن والأذى: "يا أَيها الذين آمنواْ لاَ تبطلُواْ صدقَاتكُم بِـالْمن والأَذَى كَالذي ينفق ماله رِئَاء الناسِ ولاَ يؤمن بِاللّه والْيومِ الآخـرِ فَمثَلُـه كَمثَـلِ

(٣٩٩) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ٤١٩/١ باب من سمع بفاحشة فأفشاها.
(٤٠٠) رواه أحمد ٢٧٩/٥، وإسناده حسن.
(٤٠١) رواه الطبرانى ورجاله ثقات. انظر مجمع الزوائد ٩٤/٨.

صفْوان[٤٠٢] علَيه تراب فَأَصابه وابِلٌ[٤٠٣] فَتركَه صلْداً[٤٠٤] لا يقْدرونَ علَـى شيءٍ مما كَسبواْ واللّه لاَ يهدي الْقَوم الْكَافرِين" (البقرة:٢٦٤)

لقد أودى المن بثواب هذه الصدقات، وعد المنانون في زمـرة الكـافرين محرومين من هدى الله. ذلك أن شأن هؤلاء المرائين التظاهر أمام الناس بالعمل الصالح، وليس همهم مرضاة عز وجل "يراؤونَ الناس ولاَ يـذْكُرونَ اللّـه إلا قَليلاً" (النساء:١٤٢) ومن هنا كان عملهم مردودا عليهم؛ لأنهم أشركوا مع الله غيره، وكما جاء في حديث أبى هريرة، قال: سمعت رسول الله (صـلى الله عليه وسلم) يقول: "قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمـل عملا أشرك فيه معى غيرى، تركته وشركته"[٤٠٥]

وعن أبى هريرة أيضا سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به، فعرفه نعمه فعرفهـا قال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كـذبت ولكنـك قاتلت ليقال فلان جريء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل وسع الله عليه، وأعطاه مـن أصـناف المال، فأتى به، فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنـك فعلـت ليقال: جواد! فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار"[٤٠٦]

إن المرأة المسلمة المستنيرة بهدى دينها لتحذر في أعمالها الخيرة هذا المزلـق الخطير الذي تهوى فيه كثيرات من العاملات في الحقول الخيرة من حيـث لا يدرين، إذ يتطلعن أحيانا إلى التنويه بجهودهن وذكر أسمائهن والإشادة بهن في المناسبات. ومن هنا يكون المزلق والسقوط المريع.فاحرصي يا أختاه على التجرد

(٤٠٢) أى حجر أملس ناعم.
(٤٠٣) أى مطر غزير.
(٤٠٤) أى أملس.
(٤٠٥) صحيح مسلم ١١٥/١٨ كتاب الزهد: باب تحريم الرياء.
(٤٠٦) صحيح مسلم ٥٠/١٣ كتاب الإمارة: باب من قاتل للرياء والسمعة.

لله في جميع أعمالك، مبتغية وجهه الكريم، مستهدية بقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): "من سمع سمع الله به[٤٠٧]، من يرائى يرائى الله به"[٤٠٨].

كوني عادلة في حكمك: حين يطلب منك أن تقولي رأيا أو تصدري حكما فالمسلمة الراشدة تحكم بالعدل، لا تجور ولا تتحيزز، ولا تميل مع الهوى، مهما كانت الظروف والأحوال؛ لأنها تعلم من هدى دينها أن العدل ومجانبة الظلم من لب الدين وصميمه، أمرت به آيات كتاب الله: "إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ" (النساء:٥٨)، العدل المحض المجرد الدقيق الذي لا يميل ميزانه مع الحب والبغض، ولا يؤثر في نصاعته قرابة أو نسب: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ[٤٠٩] قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ" (المائدة:٨)، "وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى" (الأنعام:١٥٢).

ولقد ضرب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المثل الأعلى في العدل حينما جاء أسامة بن يزيد يستشفع في المرأة المخزومية التي سرقت، وعزم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على قطع يدها: فقال له: "أتشفع في حد من حدود الله؟ وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"[٤١٠].

إنه العدل العام المطلق الذي يطبق على الكبير والصغير، والأمير والسوقة، والمسلم وغير المسلم، ولا يفلت من قبضته أحد. وهذا مفرق الطريق بين العدل في المجتمع الإسلامى وغيره من المجتمعات.

لا تظلمي: لأن الله حرم الظلم تحريما قاطعا، لا مجال للاجتهاد أو التأويل فيه، وذلك في الحديث القدسى: "يا عبادى، إنى حرمت الظلم على نفسى، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا"[٤١١]. وامتثالا للهدى النبوى الكريم: "اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة"[٤١٢] وإذا كان الله الخالق الملك العزيز

---

(٤٠٧) أى من أظهر عمله للناس رياء فضحه الله يوم القيامة.
(٤٠٨) أى من أظهر للناس عمله ليعظم عندهم أظهر الله سريرته على رؤوس الخلائق.
(٤٠٩) أى بغضهم.
(٤١٠) متفق عليه. انظر شرح السنة ٣٢٨/١٠ كتاب الحدود: باب قطع يد الشريف والمرأة والشفاعة فى الحد.
(٤١١) صحيح مسلم ١٣٢/١٦ كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم الظلم.
(٤١٢) صحيح مسلم ١٣٤/١٦ كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم الظلم.

الجبار المتكبر قد حرم الظلم على نفسه، وجعله محرما بين العباد، أفيسوغ للعبد الضعيف الفاني بعد ذلك أن يقع منه ظلم على أخيه الإنسان؟ لقد نفى الرسول الكريم وقوع الظلم أو الخذلان من المسلمين والمسلمات على إخوان العقيـدة والدين:"المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه[٤١٣]، ومن كان في حاجـة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة مـن كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستر الله يوم القيامة"[٤١٤]

ورأينا من النصوص ما ينهي عن الظلم المطلق أيضا، وهذا يعـني تطبيـق العدل على كل إنسان، واجتناب الظلم لكل إنسان، ولو كـان مـن غـير المسلمين؛ فالله تعالى يأمر بالعدل والإحسان، وينهي عن الظلم والإساءة لكل الناس: "لَا ينهاكُم الله عن الذين لَم يقَاتلُوكُم في الدين ولَم يخرِجوكُم مـن ديارِكُم أَن تبروهم وتقْسِطُوا إِلَيهم إِن الله يحب الْمقْسِطين" (الممتحنة:٨)

أنصفي من لا تحبين**:** فقد تفرض الحياة عليك عشرة من لا تحـبين مـن النساء، كأن يجمعك بيت واحد بامرأة لم ينفتح قلبك لها. وهذا أمـر واقـع فالأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، فكيف تكونين في مثل هذه الحالة؟ ينتظر منك أيتها المسلمة التي اسـتنارت بهـدى الإسلام، وتلقت روحها إشعاعاته السمحة الغراء، أن تكوني منصفة لبقة دمثة، لا يند عنك تصرف أو موقف أو رد فعل يشي بما يعتمل في نفسك من شعور بارد نحو المرأة التي لا تحبين، بل تلطفي معها، وأليني لها القول.

وهذا هو الخلق الذي كان عليه الرسول (صلى الله عليه وسلم) وصحابته الأكرمون؛ فعن عروة بن الزبير أن عائشة أخبرته أن رجلا استأذن على الـنبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: "ائذنوا له، فبئس ابن العشيرة، أو بـئس أخـو العشيرة"، فلما دخل ألان له الكلام، فقلت: يا رسول الله، قلت ما قلـت، ثم ألنت له في القول، فقال: "أي عائشة، إن شر الناس منـزلة عند الله من تركة- أو ودعه- الناس اتقاء فحشه"[٤١٥].

والمسلمة التي صاغها الإسلام لا تنساق وراء عاطفتها في حب أو كره، بل تكون معتدلة موضوعية عادلة واقعية منصفة في مواقفها وأحكامها على من لا

---

(٤١٣) أي لا يخذله.
(٤١٤) فتح الباري ٩٧/٥ كتاب المظالم: باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه.
(٤١٥) فتح الباري ٥٢٨/١٠ كتاب الأدب: باب المداراة مع الناس.

تحب من النساء، تحكم في ذلك كله عقلها ودينها ومروء ا وخلقها، فلا تشهد إلا بالحق، ولا تحكم إلا بالقسط، ولا تدلى إلا بالإنصاف، متأسية في مواقفها وأحكامها بأمهات المؤمنين اللواتى كن في قمة الإنصاف والعدل والتقـوى في حكم بعضهن على بعض.

ففي صحيح مسلم تقول السيدة عائشة عن السيدة زينب بنت جحـش: "هي التي كانت تساميني[٤١٦] في الم لة عند الرسـول الله (صـلى الله عليـه وسلم)، ولم أر امرأة قط خيرا في الدين من زينب، وأتقى لله، وأصدق حديثا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقه، وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تصدق به وتقرب به إلى الله تعالى ، ما عدا سورة من حدة [٤١٧] كانت فيهـا، تـسرع منها الفيئة[٤١٨]"[٤١٩].

وفي صحيح البخاري تقول عائشة في سياق حديثها عن الإفك الذي برأها الله فيه من كل سوء منوهة بشهادة زينب فيها: "وكان رسول الله (صـلى الله عليه وسلم) يسأل زينب بنت جحش عن أمري، فقال: يا زينب، ما علمت ؟ ما رأيت؟ فقالت: يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت عليهـا إلا خيراً" ثم قالت السيدة عائشة: "وهي التي كانت تـساميني، فعـصمها الله بالورع" [٤٢٠].كان هذا الخلق والإنصاف والعدل من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن مع الضرائر، وبينهن ما بينهن من غيرة وتنافس وحـساسية.و لنـا أن نتصور كم كانت أخلاقهن سامية مع غير ضرائرهن من النساء.

لا تشمتي بأحد: إذ الشماتة خلق وضيع مؤذ جارح لا يكون في المـرأة التقية العارفة هدي دينها. وقد ي عنه النبي (صلى الله عليه وسلم) وحذر من الارتكاس فيه بقوله: "لا تظهر الشماتة لأخيك، فيرحمه الله ويبتليك"[٤٢١].

والمسلمة التي هذ ا الإسلام لا مكان للشماتة في نفسها، بل إ ا لتعطـف على اللواتي ابتلين، وترثي لحالهن، وتسارع إلى التخفيف عنهن، وتألم لألمهن، فالشماتة لا تظهر في النفوس المهتدية دى الإسلام، المستنيرة بنوره الوضـاء،

---

(٤١٦) أى تعادلنى وتضاهينى فى الحظوة والم لة الرفيعة.
(٤١٧) أى شدة خلق وسرعة غضب.
(٤١٨) أى الرجوع عن الحدة وعدم الإصرار عليها.
(٤١٩) صحيح مسلم ٢٠٦/١٥ كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل أم المؤمنين عائشة.
(٤٢٠) فتح البارى ٤٥٥/٨ كتاب التفسير: باب لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً.
(٤٢١) رواه الترمذى ٦٦٢/٤ فى كتاب صفة القيامة: ٥٤، وقال: حديث حسن صحيح.

وإنما تظهر في النفوس المظلمة الصلدة القاسية المتحجرة الحقود، ا بولة علـى الكيد والتشفي والحقد وحب الوقيعة. والأذى والانتقام. والمرأة المسلمة التقية من هذا كله بريئة كل البراءة، بعيدة كل البعد.

تجنبي **ظن السوء:** كما أمر الله في محكم كتابه: "يا أيها الذين آمنوا اجتنِبوا كَثيراً من الظن إن بعض الظن إثْم"(الحجرات:١٢). لأن رجم الناس بالظن قد يوقع في الإثم، فيصم الناس بالعيب، ويلصق م ماً، هم منها براء، ولهذا اشتد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في التحذير من الظن ورجم الناس بالغيـب بعيداً عن الحقيقة واليقين، فقال: "إيـاكم والظـن، فـإن الظـن أكـذب الحديث"[٤٢٢].

والمسلمة الصادقة التقية تتحرى الصدق في أقوالها، فلا يجرى على لـسا ا حديث فيه إثارة من كذب، فكيف تقع في أكذب الحديث؟ والهدي النبـوى العالي يوجه المسلمين والمسلمات إلى الأخذ بالظاهر من أعمال الناس، والبعـد عن رميهم بالظنون والشكوك والأقاويل والأوهام، فعن عبد الله بن عتبة بـن مسعود، قال: "سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: "إن ناساً كـانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وإن الوحي قـد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيراً أمنـاه وقربناه وليس لنا من سريرته شيء، الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال إن سريرته حسنة"[٤٢٣].

ومن هنا كانت المرأة المسلمة متحرزة متحفظة في كل كلمة تتفوه ا تمس أختها المسلمة من قريب أو بعيد، مثبتة من كل حكم تطلقه في حق النـاس، ذاكرة دوماً قوله تعالى: "ولاَ تقْف ما لَيس لَك بِه علْم إن الـسمع والْبـصر والْفُؤاد كُل أُولـئك كَانَ عنه مسؤولاً" (الإسراء:٣٦).

مستشعرة دوما ذلك الملك الرقيب الموكل بإحصاء كل كلمة تنـد عـن لسا ا: "ما يلْفظُ من قَولٍ إِلا لَديه رقيب عتيد" (ق:١٨). تقـدر مـسؤولية الكلمة التي تتفوه ا؛ وفي ذلك يقول رسول الله (صلى الله عليه وسـلم): "إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب

---

(٤٢٢) متفق عليه: انظر شرح السنة ١٠٩/١٣ كتاب البر ة والصلة: باب ما لا يجوز من الظن.
(٤٢٣) حياة الصحابة/ ١٥١/٢.

الله ا رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله، مـا كان يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله له ا سخطه إلى يوم القيامة"[٤٢٤].

فلا تلقي أختاه بالا لأكثر ما يدور في ا الس ولا ترضي لنفسك أن تروي شيئا منه إذا لم يقم لديك دليل قاطع واعلمي أن نقل ما تسمعين مـن هـذه الأقاويل قبل التثبيت من صحته من الكذب الذي نص عليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقوله: "كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع"[٤٢٥].

أمسكي لسانك عن الغيبة والنميمة: لأ ا جريمة بشعة مستكرهة واقرئي قوله تعالى: "ولَا يغتب بعضكُم بعضاً أَيحب أَحدكُم أَن يأْكُلَ لَحم أَخيه ميتاً فَكَرِهتموه واتقُوا الله إن الله تواب رحيم" (الحجرات:١٢)، فإن زل لـسانك بشيء من غيبة لأحد سارعي إلى التوبة التي ذيل الله ا الآيـة، والجئـي إلى الاستغفار من ذنبك، فالغيبة ذنب لا يليق بالمسلمة التي نطقت بالـشهادتين، ومن اعتادت الغيبة في مجالسها ليست في عداد المسلمات الـصالحات. وعـن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبى (صلى الله عليه وسلم): حسبك مـن صفية كذا وكذا- قال بعض الرواة: تعني أ ا قصيرة – فقال: "لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته[٤٢٦]"[٤٢٧].

وعنه (صلى الله عليه وسلم) قال: "اجتنبوا السبع الموبقات، قيل: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات"[٤٢٨] وكثيرا ما تكون الأعراض مادة للغيبة، فقفي أختاه من الغيبـة موقفا جاداً، ولا تتورطي بالوقوع في شكل من أشكالها، ولا تسمحي لأحـد أن يغتاب في مجلسك، بل ذبي عن أخواتك ألسنة البغى والعـدوان، وادفعـي عنهن قاله السوء، عملا بقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): "من ذب عـن

---

(٤٢٤) حديث صحيح رواه مالك فى الموطأ ١٩٨٥/٢ كتاب الكلام: باب ما يؤمر به من التحفظ مفى الكلام.

(٤٢٥) صحيح مسلم: ٧٣/١ المقدمة: باب النهى عن الحديث بكل ما سمع.

(٤٢٦) أى لخلطته وكدرته.

(٤٢٧) رواه أبو داوود ٣٧١/٤ كتاب الأدب: باب فى الغيبة، والترمذى ٦٦٠/٤ كتاب صفة القيامة: ٥١، وقال: حديث حسن صحيح.

(٤٢٨) متفق عليه: انظر شرح السنة ٨٦/١ كتاب الإيمان: باب الكبائر.

لحم أخيه بالغيبة كان حقا على الله أن يعتقه من النار"[٤٢٩]. واحفظي لسانك عن النميمة أيضا، لما لها من خطورة في فشو الشر والسوء والفساد في المجتمع، وتقطيع عرى المحبة والتواد بين أفراده، كما بين ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقوله: "خيار عباد الله الذين إذا رؤوا ذُكِر الله، وشرار عباد الله المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة، الباغون للبراء العنت"[٤٣٠]. وفي الحديث الصحيح: "لا يدخل الجنة نمام"[٤٣١].

واعلمي أن عذاب الله ينصب على كل نمام منذ أن يوسد في قبره، فعن ابن عباس رضي الله عنه: قال: "مر رسول الله على قبرين، فقال: أما إنهما يعذبان، وما يعذبان في كبير. أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستبرئ من بوله. قال: فدعا بعسيب رطب[٤٣٢]، فشقه اثنين، ثم غرس على هذا واحداً، وعلى هذا واحداً، ثم قال: لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا"[٤٣٣].

اجتنبي السباب والكلام البذيء: لأنها صفات لا تليق بالمرأة المسلمة التي هذبت تعاليم الشريعة السمحة لسانها ومشاعرها، ولأن توجيهات الإسلام نفرت من ذلك تنفيراً شديداً، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر"[٤٣٤]. وقال: "إن الله لا يحب كل فاحش متفحش"[٤٣٥]. وقال: "إن الله تعالى يبغض الفاحش البذيء"[٤٣٦].

ومن ثم كانت المرأة المسلمة بعيدة عن كل مهاترة أو مشاحنة رخيصة تتقاذف فيها الشتائم والكلام الرخيص، ويزيدها قوة تأسيها برسول (صلى الله عليه وسلم) وأفعاله وسيرته العطرة؛ يقول أنس بن مالك رضي الله عنه الذي

---

(٤٢٩) رواه أحمد ٤٦١/٦ بإسناد حسن.
(٤٣٠) رواه أحمد ٢٢٧/٤ بإسناد صحيح.
(٤٣١) متفق عليه: انظر شرح السنة ١٤٧/١٣ كتاب البر والصلة: باب وعيد النمام.
(٤٣٢) أى غصن أخضر.
(٤٣٣) متفق عليه: انظر شرح السنة ٣٧٠/١ كتاب الطهارة: باب الاستتار عند قضاء الحاجة.
(٤٣٤) متفق عليه: انظر شرح السنة ٧٦/١ كتاب الإيمان: باب علامات النفاق.
(٤٣٥) رواه أحمد والطبرانى ورجاله ثقات: انظر مجمع الزوائد ٦٤/٨.
(٤٣٦) رواه الطبرانى ورجاله ثقات. انظر مجمع الزوائد ٦٤/٨.

كان ملازما للرسول الكريم سنين طويلة: "لم يكن النبي (صلى الله عليه وسلم) سباباً ولا فحاشا ولا لعاناً، كان يقول عند المعتبة: ماله؟ ترب جبينه"(٤٣٧).

بل إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نزه لسانه عن لعن المشركين الذين أعرضوا عنه، أخبر بذلك الصحابى الجليل أبو هريرة، إذ قال: قيل: يا رسول الله. ادع على المشركين، قال: "إنى لم أبعث لعانا، وإنما بعثت رحمة"(٤٣٨).

ويسمو رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في اجتثات شأفة الشر واستئصال جذور الحقد والعدوان من النفوس حتى يبلغ الذروة، إذ يقول لأصحابه: "أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من أمتي يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتى وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه ثم طرح في النار"(٤٣٩). فاربئي بنفسك أختاه عن هذه التفاهات الفارغة، وكوني أداة بناء مجتمع راق قائم على الفضيلة والتهذيب واحترام المشاعر.

لا تسخري من أحد: فالهدي القرآني الذي حبب إليك التواضع وبغض إليك الكبر، هو نفسه الذي سيعصمك من السخرية بالنساء واحتقارهن والاستهزاء بهن: "يا أيها الذين آمنوا لَا يسخر قوم من قومٍ عسى أن يكُونوا خيراً منهم ولَا نِساء من نساءٍ عسى أن يكُن خيراً منهن ولَا تلْمزوا أنفُسكُم(٤٤٠) ولَا تنابزوا بِالْألْقَابِ(٤٤١) بِئْس الاسم الْفُسوق بعد الْإِيمانِ ومن لم يتب فَأُولَئك هم الظالمونَ" (الحجرات:١١). واعلمي أن احتقار أخواتك المسلمات شر محض لقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): "بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم"(٤٤٢).

---

(٤٣٧) صحيح مسلم ١٥٠/١٦كتاب البر والصلة والآداب: باب من لعنة النبى صلى الله عليه وسلم
(٤٣٨) صحيح مسلم ١٥٠/١٦ كتاب البر والصلة والآداب : باب من لعنه النبى صلى الله عليه وسلم
(٤٣٩) صحيح مسلم ١٣٥/١٦ كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم الظلم.
(٤٤٠) أى لا يعيب بعضكم بعضا.
(٤٤١) اى لا يدع بعضكم بعضا باللقب السوء.
(٤٤٢) صحيح مسلم ١٢١/١٦ كتاب البر: باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره.

كوني رفيقة بالناس: بل كوني على طبيعتك فأنت مخلوق مجبول على الرفق، الإسلام يزيدك رفقاً بمن في محيطك من النساء، ويجعلك أشد دماثة ولطفا في معاشرتهن، فتجنين محبة الله ومحبتهن "ولَا تستوِي الْحسنةُ ولَا السيئَةُ ادفَع بِالتي هي أَحسن فَإِذَا الذي بينك وبينه عداوةٌ كَأَنه ولي حميم * وما يلَقاها إِلا الذين صبروا وما يلَقاها إِلا ذُو حظ عظيمٍ" (فصلت:٣٤-٣٥).
واعلمي أن الرفق من صفات الله تعالى العليا التي أحبها لعباده في الأمور كلها: "إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه"[٤٤٣].

ويشيد النبي الهادي بالرفق فيقول: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه"[٤٤٤]. وكان (صلى الله عليه وسلم) يعلم المسلمين الرفق في معاملة الناس، مهما كان الموقف داعيا إلى الغضب والاشمئزاز. فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: "قام أعرابى فبال في المسجد، فتناوله الناس، فقال لهم النبي (صلى الله عليه وسلم): "دعوه وهريقوا على بوله سجلا من ماء أو ذنوباً[٤٤٥]، من ماء، فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين"[٤٤٦].

فالرفق والتيسير واللين والسماحة تفتح مغاليق القلوب: "بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا"[٤٤٧]. فالناس ينفرون بطبائعهم من الفظاظة، ويألفون اللين والرفق، ومن هنا كان قول الله تبارك وتعالى لنبيه الكريم: "ولَو كُنت فَظّاً غَليظَ الْقَلْبِ لاَنفَضواْ من حولك" (آل عمران :١٥٩).

فإن كنت أختاه ممن يقومون بدعوة النساء؛ اجعلي هذه الآية دستورك وليكن أسلوبك هو الرفق واللباقة والدماثة واللين، ولو لاقيت من المدعوات الصد والجفاة والإعراض؛ فالكلمة الطيبة اللينة الودود لا بد من أن تأخذ سبيلها إلى النفس وهذا ما أوصى به الله نبيه موسى عليه السلام وأخاه هارون حين أرسلهما إلى الطاغية العاتي المتغطرس فرعون: "اذْهبا إِلَى فرعونَ إِنه طَغى * فَقُولَا لَه قَولاً ليناً لعله يتذَكر أَو يخشى" (طه:٤٣-٤٤).

---

(٤٤٣) صحيح مسلم ١٤٦/١٦ كتاب البر والصلة والآداب: باب فضل الرفق.
(٤٤٤) صحيح مسلم ١٤٦/١٦ كتاب البر والصلة والآداب: باب فضل الرفق.
(٤٤٥) السجل: الدلو الممتلئة، وكذلك الذنوب.
(٤٤٦) فتح البارى ٣٢٣/١ كتاب الوضوء: باب صب الماء على البول فى المسجد.
(٤٤٧) متفق عليه: انظر شرح السنة ٦٧/١٠ كتاب الإمارة والقضاء: باب ما على الولاة من التيسير.

واعلمي أن: "من يحرم الرفق يحرم الخير"[٤٤٨]. وبالرفق أوصى الرسول (صلى الله عليه وسلم) السيدة عائشة فقال لها: "يا عائشة ارفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيرا دلهم على الرفق"[٤٤٩]. وأي خير أعظم من خليقة تقي من النار؟ كما أخبر بذلك الرسول الكريم: "ألا أخبركم بمن يحرم على النار، أو بمن تحرم عليه النار؟ تحرم على كل قريب هين لين سهل"[٤٥٠] ويسمو الهدي النبوى الكريم بالإنسان، فيطالبه بالرفق حتى بالحيوان الذبيح، "إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته"[٤٥١].

والرفق بالحيوان الأعجم دليل على رقة نفس الإنسان الذي يذبحه، وعلى تمثلها الرحمة بكل ذى روح، ومن وقرت في نفسه هذه المعانى في تعامله مع ذوي الأرواح، كان بالإنسان أرفق وألطف.

كوني رحيمة: فرحمتك من حولك من الناس سبب لانسكاب الرحمة عليك من السماء، كما جاء في هدى الرسول الكريم: "ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء"[٤٥٢]. "من لم يرحم الناس لم يرحمه الله"[٤٥٣]. "لا تنزع الرحمة إلا من شقى"[٤٥٤]. ولا تقتصر الرحمة في نفس المسلمة التقية على أهلها وأولادها وذوى قرابتها ورحمها، بل تتسع لتشمل عامة الناس، ويجعلها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شرطا من شروط الإيمان: "لن تؤمنوا حتى تراحموا، قالوا: يا رسول الله، كلنا رحيم، قال: إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة الناس، رحمة العامة"[٤٥٥].

ليغدو المجتمع الإسلامى برجاله ونسائه، أغنيائه وفقرائه، وسائر أفراده، مجتمعا متكافلاً متراحماً، تشيع الأخوة في أرجائه، ويسود التعاطف أجوائه. ولقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مثالا فذا فريدا للرحمة الخالصة

---

(٤٤٨) صحيح مسلم ١٤٥/١٦٥ كتاب البر والصلة والآداب: باب فصل الرفق.
(٤٤٩) رواه أحمد ١٠٤/٦، ورجاله رجال الصحيح.
(٤٥٠) رواه الترمذى ٦٥٤/٤ فى كتاب صفة القيامة: ٤٥، وقال: حديث حسن.
(٤٥١) صحيح مسلم ١٠٦/١٣ كتاب الصيد: باب الأمر بالإحسان الذبح.
(٤٥٢) رواه الطبرنى: ورجاله رجال الصحيح: انظر مجمع الزوائد ١٨٧/٨ باب رحمة الناس.
(٤٥٣) رواه الطبرنى بإسناد حسن. انظر مجمع الزوائد ١٨٧/٨ باب رحمة الناس.
(٤٥٤) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ٤٦٦/١ باب ارحم من فى الأرض.
(٤٥٥) رواه الطبرانى، ورجاله رجال الصحيح. انظر مجمع الزوائد ١٨٦/٨ باب رحمة الناس.

المرهفة، يروى الشيخان عن أنس رضي الله عنه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "إنى لأدخل في الصلاة، وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبى، فأتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه"[(٤٥٦)] وجاء أعراب إلى النبي (صلى الله عليه وسلم)، فقال رجل منهم: يا رسول الله، أتقبلون الصبيان؟ والله ما نقبلهم. فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "أو أملك إن كان الله نزع من قلبك الرحمة؟"[(٤٥٧)].

وأراد عمر رضي الله عنه أن يولى رجلا على المسلمين، فسمعه يقول: إنه لا يقبل صبيانه، فعدل عمر عن توليته قائلا: إذا كانت نفسك لا تنبض بالرحمة لأولادك، فكيف تكون رحيماً بالناس؟ والله لا أوليك أبداً. ولقد وسع الرسول الكريم دائرة الرحمة في نفوس المسلمين والمسلمات؛ إذ جعلها لا تقتصر على رحمة الإنسان، بل تشمل الحيوان أيضا، وذلك في عديد من الأحاديث الصحيحة، ومنها ما رواه الشيخان عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "بينما رجل يمشى بطرق اشتد عليه العطش، فوجد بئرا، فنزل فيها فشرب، ثم خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ منى، فنزل البئر، فملأ خفه ماء، ثم امسكه بفيه، حتى رقى فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له". قالوا: وإن لنا في البهائم لأجراً؟ قال: "في كل كبد رطبة أجر"[(٤٥٨)]. وروى الشيخان أيضا عن ابن عمر أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعاً، فدخلت فيها النار. قال: فقالوا- والله أعلم-: لا أنت أطعمتها ولا سقيتها حين حبستها، ولا أنت أرسلتها، فأكلت من خشاش الأرض"[(٤٥٩)]. ولقد كان صلوات الله عليه ذوب رحمه للإنسان والحيوان، وكان لا يفتأ في كثير من توجيهاته السامية يرغب بالرحمة بين الناس، ويعمقها في نفوس المسلمين والمسلمات، مؤكدا أنها مفتاح رحمة الله بعباده، وسبب من أسباب صفحة ومثوبته ومغفرته للرحماء، ولو كانوا من العصاة المذنبين. ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "بينما كلب يطيف

---

(٤٥٦) متفق عليه: انظر شرح السنة ٤١٠/٣ كتاب الصلاة: باب التخفيف لأمر يحدث.
(٤٥٧) متفق عليه: انظر شرح السنة ٣٤/١٣ كتاب البر والصلة: باب رحمة الولد وتقبيله.
(٤٥٨) متفق عليه: انظر شرح السنة٢٢٩/٢ كتاب الصلاة: باب فضل صلاة العشاء والفجر=
(٤٥٩) متفق عليه: انظر شرح السنة ١٧١/٦ كتاب الزكاة: باب فضل سقى الماء.

بركيه[٤٦٠]، قد كاد يقتله العطش، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فـ عت موقها[٤٦١] فاستقت له به، فسقته إياه، فغفر لها به"[٤٦٢].

فيا للرحمة! ما أعظم بركتها على الإنسان! ويا للرحمة! ما أجملها خليقة يتخلق ا الإنسان! وحسبها شرفا ورفعة وفضلا أن رب العزة والجلال اتخذ له منها اسما، فكان الرحيم الرحمن!

تعمل على نفع الناس ودفع الضر عنهم: ما استطعت إلى ذلك سبيلا، عملا بقوله تعالى: "وافْعلُوا الْخير لَعلكُم تفْلحونَ" (الحج:٧٧). لأن فعل الخير للناس عبادة، ما دمت تبتغين به وجه الله تعالى. وأبواب فعل الخير مفتحة أمامك، وأى عمل خير تحتسبينه لله يسجل صدقة في سجل أعمالك. "كل معروف صدقة"[٤٦٣]. و "الكلمة الطيبة صدقة"[٤٦٤]. بل إن رحمة الله الواسعة تشمل كل مسلمة صفت سرير ا وأخلصت نيتها لله، فتدركها إن عملت خيراً، وإن لم تعمل خيراً، شريطة أن تنوى الإمساك عن الشر وتكف لسا ا وجوارحها عن فعله: فعن أبى موسى رضي الله عنه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "على كل مسلم صدقة"، قالوا: يا رسول الله، أرأيت إن لم يجد؟ قال: "يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق"، وقالوا: أرأيت إن لم يستطع أو لم يفعل؟ قال: "يعين ذا الحاجة الملهوف" قالوا: "أرأيت إن لم يفعل؟ قال: "يأمر بالمعروف أو بالخير"، قالوا: أرأيت إن لم يفعل؟ قال: "يمسك عن الشر فإ ا له صدقة"[٤٦٥]. ومن هنا تتطلع المرأة المسلمة دوماً إلى فعل الخير، وترجو أن يتم على يديها، وتعرض عن الشر، وتصمم على ألا تتورط فيه، روى الإمام أحمد أن النبي (صلى الله عليه وسلم) وقف على ناس جلوس، فقال: "أخبركم بخيركم من شركم؟"، فسكت القوم، فأعادها ثلاث مرات، فقال رجل من القوم: بلى يا رسول الله، قال: "خيركم من يرجى خيره، ويؤمن شره، وشركم من لا يرجى خيره، ولا يؤمن شره"[٤٦٦].

---

(٤٦٠) أى بئر.
(٤٦١) أى خفها.
(٤٦٢) صحيح مسلم ٢٤٢/١٤ كتاب قتل الحيات ونحوها: باب فضل سقى البهائم.
(٤٦٣) متفق عليه: انظر شرح السنة ١٤٢/٦ كتاب الزكاة: باب كل معروف صدقة.
(٤٦٤) من حديث متفق عليه: انظر شرح السنة ١٤٥/٦ كتاب الزكاة: باب كل معروف صدقة.
(٤٦٥) متفق عليه: انظر شرح السنة ١٤٣/٦ كتاب الزكاة: باب كل معروف صدقة.
(٤٦٦) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح: انظر مجمع الزوائد ١٨٣/٨ باب فيمن يرجى خيره.

وأنت أيتها الأخت المسلمة التي وعت إسلامها، وارتوت من معين هديه الطهور، من الصنف الذي يرجى خيره، ويؤمن شره. فأقبلي على فعل الخير وأنت موقنة بأن جهدك لن يضيع في الدنيا ولا في الآخرة، واعلمي أنه: "ما من عبد أنعم الله عليه نعمة فأسبغها عليه، ثم جعل حوائج الناس إليه فتبرم، فقد عرض تلك النعمة للزوال"(٤٦٧).

ولعمل الخير وجهان، على المسلمين والمسلمات أن يتسابقوا إلى مرضاة الله عز وجل بفعلهما: تقديم الخير والنفع للناس، ودفع الأذى والضر عنهم لقوله (صلى الله عليه وسلم): "لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق، كانت تؤذى الناس". (٤٦٨) ومن توجيهات الإسلام العالية في دفع الأذى والضر عن المسلمين والمسلمات ما يرويه أبو برزة، قال: قلت يا رسول الله، دلني على عمل يدخلني الجنة، قال: "أمط الأذى عن الطريق فهو لك صدقة" (٤٦٩). فأي مجتمع مهذب راق هذا المجتمع الذي يبنيه الإسلام، إذ يلقي في حس كل فرد فيه أن من الأعمال الصالحة التي تقرب من الله، وتدخل صاحبها الجنة، إماطة الأذى عن طريق الناس؟

نفسي عن أختك المعسرة: فإذا ما كان لك حق على أختك وأزف موعد أدائه، وكانت الأخت المدينة معسرة، أنظريها إلى أجل آخر، حتى تذهب عسرتها، وتخرج منها إلى ميسرة، عملا بقوله تعالى: "وإن كَانَ ذُو عسرة فَنظرةٌ إلَى ميسرة" (البقرة: ٢٨٠).

ذلك أن إنظار المعسر خلق كريم، حض عليه الإسلام؛ لأن فيه تحقيقاً لإنسانيتك في التعامل مع أخواتك، ولأنه طريق إلى الجنة. فعن أبى قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "من أنظر معسراً، أو وضع له، أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله"(٤٧٠).

وتستطيع المرأة المسلمة الصادقة أن تسمو في هذه المعارج الوضاء، إن كانت موسرة ذات سعة، فتتنازل لأختها المدينة عن الدين، أو عن جزء منه، فتعفيها من أدائه، فتظفر بثواب عظيم، فعن حذيفة رضي اللّه عنه قال: (أتي

---

(٤٦٧) رواه الطبرانى فى الأوسط وإسناده جيد. انظر مجمع الزوائد ١٩٢/٨ باب فضل قضاء الحوائج.
(٤٦٨) صحيح مسلم ١٧١/١٦ كتاب البر والصلة والآداب: باب فضل إزالة الأذى عن الطريق.
(٤٦٩) حديث صحيح رواه أحمد ٤٣٢/٤.
(٤٧٠) حديث حسن صحيح، رواه الترمذى ٥٩٠/٣ فى كتاب البيوع: باب ما جاء فى أنظار المعسر.

اللّه تعالى بعبد من عباده آتاه اللّه مالاً فقال له: ماذا عملت في الدنيا قال -ولا يكتمون اللّه حديثاً- قال: يا رب آتيتني مالك فكنت أبايع الناس وكان من خلقي الجواز؛ فكنت أتيسر على الموسر وأنظر المعسر. فقال اللّه تعالى: أنا أحق بذا منك، تجاوزوا عن عبدي) فقال عقبة بن عامر وأبو مسعود الأنصاري رضي اللّه عنهما: هكذا سمعناه من في رسول اللّه (صلى الله عليه وسلم)[(٤٧١)].

كوني كريمة سخية: وابسطي يداك للمعسرين وذوى الحاجة، يمان بالعطاء وتسحان بالخير، كلما دعا الداعى إلى البذل، وجاءت مناسبة يحمد فيها السخاء. وأنت على ثقة بأن ما تقدمين من خير لن يضيع عند الله: "وما تنفقُواْ من خيرٍ فَإن اللّه بِه عليم" (البقرة:٢٧٣). بل سيعوضك الله عنه أضعافا مضاعفة؛ إذ تفوزين بشرف عظيم في الدنيا، وثواب عميم في الآخرة: "مثَلُ الذين ينفقُونَ أموالَهم في سبِيلِ اللّه كَمثَلِ حبة أَنبتت سبع سنابِلَ في كُل سنبلَة مئَةُ حبة واللّه يضاعف لمن يشاءُ واللّه واسع عليم"(البقرة:٢٦١). "وما أَنفَقْتم من شيءٍ فَهو يخلفُه"(سبأ:٣٩) "وما تنفقُواْ من خيرٍ فَلأَنفُسِكُم وما تنفقُونَ إِلا ابتغاء وجه اللّه وما تنفقُواْ من خيرٍ يوف إِلَيكُم وأَنتم لاَ تظْلَمونَ" (البقرة:٢٧٣).

واعلمي أن من يغلبها حرصها على جمع المال وكنزه، لا بد من أن تصاب بتلف مالها ونقصانه وتبديده، كما أخبر بذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا"[(٤٧٢)]، وفي الحديث القدسى: "أنفق يا ابن آدم ينفق عليك"[(٤٧٣)]. والمرأة المسلمة الصادقة توقن أن إنفاقها المال في سبيل الله لا ينقص من مالها شيئا، بل ينميه ويزكيه ويباركه؛ إذ أكد ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقوله: "ما نقصت صدقة من مال...." [(٤٧٤)].

وقد لفت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نظر المسلمين والمسلمات إلى هذا المعنى العالى في البذل والسخاء والجود حين سأل السيدة عائشة رضي الله

---

(٤٧١) صحيح مسلم ٢٢٥/١٠ كتاب المساقاة والمزارعة: باب فضل أنظار المعسر.
(٤٧٢) متفق عليه: انظر شرح السنة ١٥٥/٦ كتاب الزكاة: باب ما يكره من إمساك المال.
(٤٧٣) متفق عليه. انظر رياض الصالحين: ٣٠١ باب الكرم والجود والإنفاق فى وجوه الخير.
(٤٧٤) صحيح مسلم ١٤١/١٦ كتاب البر والصلة والآداب: باب استحباب العفو والتواضع.

عنها عما بقي من الشاة المذبوحة: "ما بقي منها؟" قالت: ما بقـي منـها إلا كتفها، فقال: "بقي كلها غير كتفها"[475].

لهذا كله كانت المرأة المسلمة البصيرة بأحكام دينها مسارعة إلى البـذل، مندفعة إلى العطاء، سباقة إلى الجود بما تصل إليه يدها من ممتلكات ومقتنيات، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: "خرج النبي (صلى الله عليه وسـلم) يـوم عيد، فصلى ركعتين لم يصل قبل ولا بعد، ثم أتى النساء فأمرهن بالـصدقة، فجعلت المرأة تصدق بخرصها[476] وسخا ا [477] وفي رواية فجعلـن يلقـين الفتخ(٤٧٨) والخواتيم في ثوب بلال [479]. وفي رواية ثالثة: فجعلت المـرأة تلقى قرطها[480]"[481].

ولقد ضربت أمهات المؤمنين ونساء السلف المثـل الأعلـى في الـسخاء والجود، فمما رواه الذهبي في كتابه سير أعـلام النـبلاء[482] في ترجمتـه لأم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها أ ا تصدقت بسبعين ألف درهم، وإ ـا لترقع جانب درعها. وبعث معاوية إليها بقلادة بمئة ألف، فقسمتها بين أمهات المؤمنين. وبعث ابن الزبير إليها بمال في غرارتين[483]، يكون مئة ألف، فدعت بطبق، فجعلت تقسم في الناس. فلما أمست قالت: هاتي يا جارية فطـوري، فقد كانت رضي الله عنها صائمة، فقالت الجارية: يا أم المؤمنين، أما استطعت أن تشترى لنا لحما بدرهم؟ قالت: لا تعنفينى، لو أذكرتنى لفعلت. وكانـت أختها أسماء لا تقل جوداً عنها؛ فقد أخبر عبد الله بن الزبير رضـي الله عنـها قال: ما رأيت امرأتين قط أجود من عائشة وأسماء، وجودهما مختلـف. أمـا عائشة، فكانت تجمع الشيء، حتى إذا اجتمع عندها قسمت، وأمـا أسمـاء، فكانت لا تمسك شيئاً لغد.

---

(٤٧٥) رواه الترمذى ٦٤٤/٤ فى كتاب صفة القيامة: ٣٣.
(٤٧٦) الخرص: حلقة صغيرة من ذهب أو فضة والسخاب: القلادة.
(٤٧٧) فتح البارى ٣٣٠/١٠ كتاب اللباس: باب القلائد والسخاب للنساء.
(٤٧٨) أى الخواتيم التى لا فصوص لها.
(٤٧٩) فتح البارى ٣٣٠/١٠ كتاب اللباس: باب الخاتم للنساء.
(٤٨٠) القرط: ما تحلى به الأذن، ذهبا كان أو فضة، صرفا أو مع لؤلؤ وغيره.
(٤٨١) فتح البارى ٣٣١/١٠ كتاب اللباس: باب القرط للنساء.
(٤٨٢) ١٨٧/٢.
(٤٨٣) الغرارة: وعاء من الخيش ونحوه.

ومن النساء اللواتى شهد التاريخ بجودهن وسخائهن: سكينة بنت الحسين التي كانت تجود بما ملكت يداها، فإن لم تجد المال نزعت من معصمها الحلى وقدمته للعفاة والمحرومين.

ومنهن أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز، فقد كانت آية في الكرم والسخاء، تقول: لكل قوم نهمة[٤٨٤] في شيء ونهمتى في الإعطاء، وكانت تعتق كل جمعة رقبة، وتحمل على فرس في سبيل الله عز وجل، تقول: أف للبخل، لو كان قميصاً ما لبسته، ولو كان طريقاً ما سلكته[٤٨٥].

ومنهن زبيدة امرأة الخليفة هارون الرشيد التي حفرت لأهل مكة وللحجاج نهرا جاريا متصلا بمنابع الماء ومساقط المطر، سمي بعين زبيدة، التي تعد من عجائب الدنيا في ذلك العصر. ولما استكثر خازنها تكاليف هذا المشروع العظيم قالت كلمتها الخالدة: "اعمل ولو كلفتك ضربة الفأس دينارا".

والمرأة المسلمة الواعية هدي دينها لا تحقر الصدقة مهما قلت، مسترشدة بقوله تعالى: "لاَ يكَلف اللّه نفْساً إِلا وسعها"، ومستجيبة لأمر الرسول (صلى الله عليه وسلم): "اتقوا النار ولو بشق تمرة"[٤٨٦]. ولقوله: "يا عائشة، استترى من النار، ولو بشق تمرة؛ فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان"[٤٨٧].

وللمرأة المسلمة أن تتصدق مما في حوزتها من طعام بيتها أو مال زوجها، متى آنست منه رضا بالصدقة والعطاء، كما جاء في عديد من الأحاديث: "إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها – وفي رواية لمسلم: من بيت زوجها – غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت، ولزوجها أجره بما كسب، وللخازن مثل ذلك، لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئا"[٤٨٨].

لقد أراد الإسلام للمسلمين والمسلمات أن يكونوا عناصر بناء وخير ورفد وعون في مجتمعاتهم، يفيض خيرهم دوما على العفاة والمحرومين حسب قدراتهم وإمكاناتهم، وجعل لهم في فعل كل خير صدقة، كما قرر رسول الله (صلى الله

(٤٨٤) أى شهوة وولع.
(٤٨٥) أحكام النساء لابن الجوز: ٤٤٦.
(٤٨٦) انظر فتح البارى ٢٨٣/٣ كتاب الزكاة: باب اتقوا النار ولو بشق تمرة.
(٤٨٧) رواه أحمد بإسناد صحيح ٧٩/٦.
(٤٨٨) فتح البارى ٢٩٣/٣ كتاب الزكاة: باب من أمر خادمه بالصدقة.

عليه وسلم) بقوله: "على كل مسلم صدقة، فقالوا: يا نبي الله، فمن لم يجـد؟ قال: يعمل بيده، فينفع نفسه ويتصدق. قالوا: فإن لم يجد؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف. قالوا: فإن لم يجد؟ قال: فليعمل بالمعروف، ويمسك عن الشر، فإن له صدقة"[(٤٨٩)].

وهكذا فتح الإسلام أبواب المشاركة، وجعل "كل معروف صدقة"[(٤٩٠)]، يثاب عليها الفقير بفعله، كما يثاب عليها الغني بإنفاقه وبذله. والمسلمة الكريمة السخية الفطنة تخص بعطائها المساكين الذين لا يسألون الناس إلحافا، ويحسبهم الناس أغنياء من التعفف، فتتحراهم ما أمكنها ذلك؛ فهم أولى الناس بالرفـد والعطاء؛ وهم الذين عناهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقولـه: "لـيس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان، ولا اللقمة واللقمتان، إنما المسكين الذي يتعفف"[(٤٩١)] وتخص بعطائها اليتيم ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، فتكفلـه إن كانت ذات يسار وسعة، وتقوم على تربيته والنفقة عليه، والعناية بـشؤونه، مستبشرة بجوار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الجنة لقوله: "أنا وكافـل اليتيم[(٤٩٢)] في الجنة هكذا" وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما شيئا"[(٤٩٣)].

كما تخص المرأة المسلمة التقية المحسنة بعطائها الأرملة والمسكين، كما أخبر بذلك الرسول الكريم: "الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله" وأحسبه قال: "وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر"[(٤٩٤)].

ذلك أن الإحسان إلى الأرملة والمسكين، وكفالة اليتيم وتعهده من أشرف الأعمال، وأنبل المبرات الإنسانية التي تناسب شخصية المرأة المسلمة، وتزيدها رقة وإنسانية وتزكية ونبلا.

لا تمني على من تعطينهم: بل احرصي على أن يكون عطاؤك خالـصا لوجه الله، وعلى أن تكوني ممن صح فيهم قوله تعالى: "الذين ينفقُونَ أمـوالَهم في سبِيلِ اللَّه ثُم لاَ يتبِعونَ ما أَنفَقُواْ منّاً ولاَ أَذًى لهم أجرهم عند ربهـم ولاَ خوف علَيهم ولاَ هم يحزنونَ"(البقرة:٢٦٢) ولا يخفي على المـرأة المـسلمة

(٤٨٩) متفق عليه. انظر شرح السنة ١٤٣/٦ كتاب الزكاة: باب كل معروف صدقة.
(٤٩٠) متفق عليه. انظر شرح السنة ١٤٢/٦كتاب الزكاة : باب كل معروف صدقة.
(٤٩١) متفق عليه. انظر رياض الصالحين: ١٦٧ باب ملاطفة اليتيم والمساكين.
(٤٩٢) أى القائم بأموره.
(٤٩٣) متفق عليه. انظر شرح السنة ٤٣/١٣ كتاب البر والصلة: باب ثواب كافل اليتيم.
(٤٩٤) متفق عليه. انظر شرح السنة ٤٥/١٣ كتاب البر والصلة: باب الساعى على الأرملة.

المستنيرة في دينها أن لا شيء يمحق ثواب الصدقة مثل المن والأذى لقوله تعالى: "يا أيها الذين آمنواْ لاَ تبطلُواْ صدقَاتكُم بِالْمن والأذَى" (البقرة:٢٦٤) فالمن على الإنسان الفقير الذي ألجأته الحاجة إلى الأخذ إهانة لإنسانيته، وامتهان لكرامته، وحط من قدره. وهذا كله محرم في شرعة الإسلام التي تعد المعطي والآخذ أخوين، لا فرق بينهما إلا بالتقوى والعمل الصالح، وفي الحديث الذي رواه مسلم عن أبي ذر: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم، قرأها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثلاث مرات، قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: "المسبل[(٤٩٥)]، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب"[(٤٩٦)].

كوني حليمة: ودربي نفسك على العفو والدفع بالتي هي أحسن، عملا بقوله تعالى: "والْكَاظمين الْغيظَ والْعافين عنِ الناسِ واللّه يحب الْمحسِنِين" (آل عمران:١٣٤) وقوله: "ولَا تستوِي الْحسنةُ ولَا السيئَةُ ادفَع بِالتي هي أَحسن فَإِذَا الذي بينك وبينه عداوةٌ كَأَنه ولي حميم * وما يلقاها إِلا الذين صبروا وما يلَقاها إِلا ذُو حظّ عظيمٍ"(فصلت:٣٤-٣٥)

ذلك أن ضبط النفس عند الغضب، وأخذها بالحلم والأناة وكظم الغيظ، من أجمل خلائق المسلمين والمسلمات التي يحبها الله لعباده المؤمنين، وهذا ما أكده رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين قال لأشج عبد القيس: "إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة"[(٤٩٧)].

وحين جاءه رجل يستوصيه كلمة واحدة فأوصاه الرسول (صلى الله عليه وسلم) قائلا: "لا تغضب" وردد الرجل مراراً قوله: أوصني، وكان الجواب النبوي في كل مرة هذه الكلمة الجامعة لمكارم الأخلاق: "لا تغضب"[(٤٩٨)].

وأنت أختاه إن غضبت فلتكن غضبتك لله، فهذا ما كان عليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فيما يرويه البخاري ومسلم عنه: "ما انتقم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لنفسه، إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله بها"[(٤٩٩)].

---

(٤٩٥) أي المسبل إزاره وثوبه أسفل من الكعبين للخيلاء.
(٤٩٦) صحيح مسلم ٢/ ١١٤ كتاب الإيمان: باب تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية.
(٤٩٧) صحيح مسلم ١/ ١٨٩ كتاب الإيمان: باب مبايعة وفد عبد القيس.
(٤٩٨) فتح البارى ٥١٩/١٠ كتاب الأدب: باب الحذر من الغضب.
(٤٩٩) فتح البارى ٦/ ٥٦٦ كتاب المناقب: باب صفة النبى (صلى الله عليه وسلم)، وصحيح مسلم

لقد كان صلوات الله عليه يغضب، ويتلون وجهه الشريف حين يجد إساءة لسمعة الدين، أو خطأ في تطبيق أحكامه، أو تساهلاً في إقامة حدوده. غضب يوم جاءه رجل فقال: إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا، فلم ير النبي الكريم غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذ، فقال: "يا أيها الناس، إن منكم منفرين، فأيكم أم الناس فليوجز، فإن من ورائه الكبير والصغير وذا الحاجة".(٥٠٠)

وغضب يوم قدم من سفره على عائشة فرأى في بيتها ستراً رقيقا فيه تماثيل، فلما رآه هتكه وتلون وجهه، وقال: "يا عائشة، أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله".(٥٠١)

وغضب يوم كلمه أسامة بن زيد في شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقال له مغضباً: "أتشفع في حد من حدود الله تعالى؟ ثم قام، فاختطب، ثم قال: "إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد! وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها".(٥٠٢)

هكذا كان الغضب عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وهذه هي مسوغاته في شرعة الإسلام؛ أن يكون لله، لا للنفس. فاغضبي أختاه حينما تجدين استهتاراً بقيم الإسلام، وتحللا من تعاليمه وأحكامه، وجرأة وقحة عليه، وضعي نصب عينيك توجيه رسولك الكريم بأن تملكي نفسك عند الغضب.

تسامحي ولا تحقدي ولا تضطغني: لأن الإسلام جاء حرباً لا هوادة فيها على الجهالة والعصبية والحقد والثأر والعداوة والانتقام، وحبب إلى نفوس المسلمين والمسلمات العفو والصفح والتواد والإحسان، فقال الله تعالى: "والْكَاظمين الْغيظَ والْعافين عن النـاس واللّـه يحب الْمحسِنِين"(آل عمران:١٣٤) وأنت أختاه أولى بهذا الهدي الرفيع أن يتغلغل إلى أعماق نفسك، فيطهرها وينقيها، كما حول من قبل القلوب التي رانت عليها الموجدة

١٥/ ٨٣ كتاب الفضائل: باب مباعدته (صلى الله عليه وسلم) للآثام.

(٥٠٠) متفق عليه. أنظر شرح السنة ٣/ ٤٠٩ كتاب الصلاة: باب الإمام يخفف الصلاة، واللفظ لمسلم.

(٥٠١) متفق عليه. أنظر شرح السنة ١٢/ ١٢٨ كتاب اللباس: باب التصاوير، واللفظ لمسلم.

(٥٠٢) متفق عليه. أنظر شرح السنة ١٠/ ٣٢٨ كتاب الحدود: باب قطع يد الشريف والمرأة والشفاعة في الحد.

والعداوة والحقد إلى قلوب تخفق بالمحبة والنصرة والولاء، ومن أبرز الـشواهد على ذلك التحول العجيب ما طرأ على قلب هند بنت عتبة، فقد كان قلبـها قبل إسلامها مفعماً بسموم الحقد ونيران العداوة لرسول الله (صلى الله عليـه وسلم) وآل بيته وصحبه، حتى إن رسول الله (صلى الله عليه وسـلم) أهـدر دمها يوم فتح مكة جزاء تمثيلها بجثمان عمه حمزة (رضي الله عنه) يوم أحـد. فلما أسلمت وتغلغل الإسلام في مسارب نفسها، جاءت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تقول: يا رسول الله ما كان على ظهر الأرض من أهل خباء أحب إلي أن يذلوا من أهل خبائك، ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خبـاء أحب إلي أن يعزوا من أهل خبائك.[٥٠٣]

ولقد سلك القرآن الكريم أبرع الأساليب حين قرر أن من أصابه البغى له أن ينتصر لنفسه، ولكنه لم يتركه لعاطفة التشفي والانتقام، وإنما أخـذ بيـده برفق إلى مرتقى العفو والتسامح والغفران: "والَّذين إِذَا أَصابهم الْبغْـي هـم ينتصرونَ * وجزاء سيئَة سيئَةٌ مثْلُها فَمن عفَا وأَصلَح فَأَجره علَى الله إِنه لَـا يحب الظالمين * ولَمنِ انتصر بعد ظُلْمه فَأُولَئك ما علَيهم من سبِيلٍ * إِنمـا السبِيلُ علَى الذين يظْلمونَ الناس ويبغونَ في الْأَرضِ بِغيرِ الْحق أُولَئك لَهـم عذَاب أليم * ولَمن صبر وغَفَر إِن ذَلك لَمن عزمِ الْـأُمورِ" (الـشورى:٣٩-٤٣)، ولما غشيت موجة الحزن نفس أبى بكر الصديق (رضـي الله عنـه) في حديث الإفك، آلى على نفسه أن يقطع عونه ورفده عن أولئك الذين خاضوا فيه ممن كان يحسن إليهم ويتعهدهم بالعطاء والبذل؛ ولكن الله تعـالى العـالم صدق طوية أبى بكر، وتجرده لله ولرسوله، رده إلى جوهره الأصـيل، ونقـاء نفسه المؤمنة، ودفع به إلى معارج الصفح والتسامح والغفران، فـأنزل قولـه تعالى: "ولَا يأْتلِ أُولُوا الْفَضلِ منكُم والسعة أَن يؤتوا أُولِي الْقُربى والْمساكين والْمهاجِرِين في سبِيلِ الله ولْيعفُوا ولْيصفَحوا أَلَا تحبونَ أَن يغفر الله لَكُم والله غَفُور رحيم" (النور:٢٢)، ومقابلة السيئة بالحسنة تطفئ نيران العداوة ومقابلة السيئة دوما بالسيئة تشعل بين الناس نيران العداوة والبغضاء والشحناء "ولَـا تستوِي الْحسنةُ ولَا السيئَةُ ادفَع بِالتي هي أَحسن فَإِذَا الذي بينك وبينه عداوةٌ كَأَنه ولي حميم * وما يلَقاها إِلَّا الذين صبروا وما يلَقاها إِلَّا ذُو حظ عظـيمٍ" (فصلت:٣٤-٣٥).

---

(٥٠٣) فتح البارى ٧/ ١٤١ كتاب مناقب الأنصار: باب ذكر هند بنت عتبة.

وهذا هو خلق المؤمنات الصادقات في المجتمع الرباني المسلم الذي قام على المحبة والتواد والتسامح، تضافرت نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف على تأصيله في النفوس، وتدريبها دوماً على الصفح الجميل الذي لا يترك وراءه أثراً لضغينة أو حقد أو كراهية: "فَاصفَحِ الصفْحَ الْجميلَ" (الحجر:٨٥)، ولقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأقواله وأفعاله ترجمة حية لهذا الخلق الإنساني العالي النبيل، خلق التسامح والعفو، يتمثل توجيه رب العزة له: "خذ الْعفْو وأْمر بِالْعرف وأَعرِض عنِ الْجاهلين" (الأعراف:١٩٩)، ويتمثل قوله تعالى: "ادفَع بِالتي هي أَحسن" (الأعراف:١٩٩)، فإذا هو آية فريدة من آيات الخلق الرباني، يسع الناس بخلقه العظيم، فلا يقابل إساءتهم بإساءة، بل يقابلها بخلق العفو والإعراض عن الجاهلين، ويدفعها بالتي هي أحسن: فعن أنس (رضي الله عنه) قال: كنت إمشى مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي (صلى الله عليه وسلم) وقد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه، فضحك، ثم أمر له بعطاء". (٥٠٤)

وقصة المرأة اليهودية التي أهدت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شاة مسمومة دليل على أصالة هذا الخلق فيه، إذ أكل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الشاة وأكل رهط من أصحابه معه، ثم قال لهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "أمسكوا فإنها مسمومة". وجيء بالمرأة إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقال لها: "ما حملك على ما صنعت؟" قالت: أردت أن أعلم إن كنت نبيا فسيطلعك الله عليه، ولن تضرك. وإن لم تكن نبيا استرحنا منك، قالوا: ألا نقتلها؟ قال: "لا" وعفا عنها. (٥٠٥)

ولما عصت دوس، وأبت الإذعان لأمر الله ورسوله، جاء الطفيل بن عمرو الدوسي (رضي الله عنه) إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: إن دوساً قد عصت وأبت، فادع الله عليهم، فاستقبل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) القبلة، ورفع يديه، فقال الناس: هلكت دوس، ولكن رسول الله (صلى الله

(٥٠٤) متفق عليه. أنظر رياض الصالحين: ٣٤٤ باب العفو والإعراض عن الجاهلين.

(٥٠٥) رواه الشيخان بنحو هذا اللفظ. أنظر فتح الباري ٧/ ٤٩٧ كتاب المغازي: باب المسمومة، و٥/ ٢٣٠ كتاب الهبة: باب قبول الهدية من المشركين، وصحيح مسلم ١٤/ ١٧٨ كتاب السلام: باب السم.

عليه وسلم) الرحيم الحانى السمح المشفق على العباد أن يمسهم عذاب الله راح يدعو لدوس قائلاً: "اللهم اهد دوسا وائت م، اللهم اهد دوساً وائت ـ م، اللهم اهد دوساً وائت م".[506]

يسري ولا تعسري: لأن التيسير هو الخلق الأفضل الذي ارتضاه الله تبارك وتعالى لعباده المؤمنين: "يرِيد اللّه بِكُم الْيسر ولاَ يرِيد بِكُم الْعسر" (البقـرة: ١٨٥). ومن هنا جاء الهدي النبوى الكريم حاضاً المسلمين والمسلمات علـى التيسير، ناهياً إياهم عن التعسير: "علموا ويسروا ولا تعـسروا، وإذا غـضب أحدكم فليسكت"[507].

واعلمي أن من تلجأ للتعسير وتعقيد الأمور بعد أن استبان لهـا هـدي الإسلام ليست امرأة تقية ولا سوية؛ أما المرأة المسلمة السوية الطائعة ر ا، فلا تعرف التعسير ولا التعقيد، ولا تلجأ إلى عرقلة الأمور وتصعيبها، مستهدية في ذلك بخلق الرسول الكريم الذي أخبرت به أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها بقولها: "ما خير رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بين أمـرين قـط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه، وما انـتقم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لنفسه في شيء قط إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله تعالى".[508]

لا تحسدي: وما أكثر ما تقع المرأة العادية في الحسد، إذ ترى كثيرا ممن هن دو ا جمالا وعلما وعقلا، قد غرقن في الثراء والنعمة والنعيم، ولم تحظ هـي بقليل مما في حيا ن وأيديهن. ولكن المرأة المسلمة النا ة الرشيدة بمنجاة مـن هذا الم لق الخلقى وعصمة، بما لقنت من أحكام دينها الحق الذي علمهـا أن كل شيء في هذه الحياة يجرى بقضاء وقدر، وأن متاع الحياة الدنيا مهما بلـغ فهو قليل، بجانب ما أعده الله للمؤمنات القانعات الراضيات بما قسم الله لهن، وأن قيمة المرأة الحقيقية برجحان كفتها في ميزان التقوى والعمـل الـصالح، وليس فيما حازته من أعراض الحياة الدنيا المؤقتة الزائلة.

---

(٥٠٦) متفق عليه. أنظر شرح السنة ٥/ ١٥٠ كتاب الدعوات: باب الدعاء للكفار بالهداية.
(٥٠٧) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ١/ ٣٤٢ باب العفو والصفح عن الناس.
(٥٠٨) متفق عليه. أنظر شرح السنة ١٣/ ٢٦٠ كتاب الفضائل: باب اختياره أيسر الأمرين (صلى الله عليه وسلم).

فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه)، قال: "كنا جلوسا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: "يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة" فطلع رجل من الأنصار، تنظف لحيته من وضوئه، قد علق نعليه بيده الشمال، فلما كان الغد قال النبي (صلى الله عليه وسلم) مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي (صلى الله عليه وسلم) مثل مقالته أيضاً، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى. فلما قام النبي (صلى الله عليه وسلم) تبعه[٥٠٩] عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنه)، فقال: إنى لاحيت[٥١٠] أبى فأقسمت إنى لا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تؤوينى إليك حتى تمضي فعلت، قال: نعم، قال أنس: فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الثلاث الليالي فلم يره يقوم من الليل شيئا، غير أنه إذا تعار[٥١١] وتقلب على فراشه ذكر الله (عز وجل) وكبر، حتى يقوم لصلاة الفجر. قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرا. فلما مضت الثلاث الليالي وكدت أحتقر عمله قلت: يا عبد الله، لم يكن بينى وبين أبي غضب ولا هجرة، ولكن سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول ثلاث مرات: "يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة"، فطلعت أنت الثلاث مرات، فأردت أن آوي إليك فأنظر ما عملك فأقتدي بك، فلم أرك عملت كبير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟ قال: ما هو إلا ما رأيت، فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسى لأحد من المسلمين غشا ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله إياه، فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق"[٥١٢].

ذلك هو الإنسان الذي ترجح كفته دوما في ميزان الإسلام، صافي السريرة، نقي النفس من الغل والحقد والحسد والضغينة، ولو قلت عبادته. أما من يكثر من العبادة، ونفسه مليئة بمشاعر الغيظ والحسد والغل، فإن عبادته آلية شكلية، لم تستند إلى قاعدة صلبة من الإيمان إذ : "لا يجتمع في جوف عبد الإيمان والحسد"[٥١٣].

---

(٥٠٩) أى تبع الرجل.
(٥١٠) أى خاصمت.
(٥١١) أى استيقظ من نومه.
(٥١٢) مسند أحمد ٣/ ١٦٦.
(٥١٣) رواه ابن حبان فى صحيحه (١٠) ٤٦٦ كتاب السير: باب فضل الجهاد.

وعن ضمرة بن ثعلبة (رضي الله عنه)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا"(٥١٤).

فكوني أختاه تلك المسلمة الواعية الحصيفة التي تجمع بين حسن العبـادة، وصفاء النفس من كدر الحسد فتنالي عند ربك الدرجات العلى، وتفوزي بحب الناس وتقديرهم، وتساهمي في تماسك ا تمع ورقيه.

ابتعدي عن المباهاة وحب الظهور: وكوني كما أرادك دينك متواضـعة واقعية صادقة، فلا تتكثري بما ليس عندك، ولا تدعي مـا لـيس لـك، ولا تنتفضي بالباطل أمام أترابك؛ فقد جاءت امرأة إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) تسأله أن تقول: إن زوجها أعطاها ما لم يعطها، تريد بذلك المفاخرة والإدلال والمباهاة، فأجا ا الرسول (صلى الله عليه وسلم): "المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور"(٥١٥). إن الإسلام دين يكره الكذب والغش والتـشامخ والتكـبر والخيلاء والادعاء بالباطل. ومن ثم كره لأبنائه وبناته خلق التفاخر بالباطـل، والتشامخ على العباد، والزهو والتكاثر وحب الظهور، واشتد في ذم الإنـسان المتخلق ذا الخلق.

تجنبي **التنطع والتكلف:** فالتكلف ممقوت في كل شيء، والتنطع ممجـوج لدى ذوي الفطر السليمة. وما تتنطع امرأة في كلامها، أو تتكلف وتتصنع في تصرفا ا، إلا وفي طبيعتها خلل، وفي فطر ا التـواء، وفي تكوينـها الخلقـى والنفسى نقص.

ولذلك اشتد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على المتنطعين والمتنطعات، وتابعه في هذه الشدة من بعده صاحباه الجليلان أبو بكر وعمـر رضـي الله عنهما حتى إن عبد الله بن مسعود يقول: "والذي لا إله إلا هو ما رأيت أحدا كان أشد على المتنطعين من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ولا رأيت أحدا أشد عليهم من بعده من أبى بكر، وإنى لأظن عمر كان أشـد أهـل الأرض عليهم، أو لهم"(٥١٦). فاحذري أختاه من التكلف والمبالغة في الكلام والتحاذق في السؤال، والتشدد والبحث فيما لا طائل من ورائه.

---

(٥١٤) رواه الطبرانى ورجاله ثقات. أنظر مجمع الزوائد ٨/ ٧٨ باب ما جاء فى الحسد والظن.
(٥١٥) صحيح مسلم ١٤/ ١١٠ كتاب اللباس والزينة: باب النهى عن التزوير فى اللباس وغيره.
(٥١٦) رواه أبو يعلى والطبرانى، ورجالهما ثقات. أنظر مجمع الزوائد ١٠/ ٢٥١ باب ما جاء فى المتنعمين والمتنطعين.

احرصي على أن تكوني محببة للناس: بعملك الصالح، وأثرك النافع، وبما تشيعينه في مجتمعك من سمعة حسنة. واعلمي أن محبة الناس لك دليل على محبة الله؛ وفي ذلك يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم). "إن الله إذا أحب عبـدا دعا جبريل فقال: إني أحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في الـسماء فيقول: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبـول في الأرض. وإذا أبغض عبدا دعا جبريل، فيقول: إني أبغض فلانا فأبغضه، فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يـبغض فلانـا فأبغـضوه، قـال: فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض[(٥١٧)]".

هذا هو السر الإلهي الغيبي فيما يتمتع به بعض المسلمين والمسلمات مـن محبة الناس لهم. ولن تكون البشرى بمحبة الله ورضوانه إلا للمؤمنين والمؤمنات، الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وحمدهم الناس على أعمالهم، فهؤلاء يعجل الله لهم البشرى بالخير في حيا م، فيحمدهم الناس ويحبو م، كمـا في الحـديث الصحيح الذي رواه مسلم عن أبي ذر، قال: قيل لرسول الله (صلى الله عليـه وسلم): أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه؟ قال: "تلك عاجل بشرى المؤمن". وفي رواية لمسلم أيضا: "ويحبه الناس عليه[(٥١٨)]". والمرأة المسلمة المتحلية بمكارم الأخلاق، الوقافة عند حدود الله، المتبعة ما أمـر بـه، والمنتهية عما ي عنه، هي المرأة الجديرة بعاجل البشرى هذه، وهي المحببة إلى كل من عرفها.

كوني آلفة مألوفة: وهذا أرقى ما تصل إليه المرأة من صفات اجتماعيـة، تؤهلها للاتصال با تمعات النسائية، وكسب ثقتها والتأثير فيها؛ ذلك أن هذه ا تمعات لا تسمع إلا لمن تألفها من النساء، وتثق ا، وتطمـئن اليهـا. ولا تقتنع بكلام إلا إذا صدر من امرأة تحمل لها هذه ا تمعات شيئا من الثقة والود والاحترام والتقدير.

وقد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قـال: "إلا أخـبركم بأحبكم إلي، وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة؟ فأعادها ثلاثا أو مرتين، قـالوا: نعم يا رسول الله، قال: أحسنكم خلقـا[(٥١٩)]". وزادت بعـض الروايـات:

(٥١٧) صحيح مسلم ١٨٤/١٦ كتاب البر والصلة والآداب: باب إذا أحب الله عبدا.
(٥١٨) صحيح مسلم ١٨٩/١٦ كتاب البر والصلة والآداب: باب إذا أثنى على الصالح فهي بشرى.
(٥١٩) رواه أحمد وإسناده جيد ١٨٥/٢.

"الموطؤون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون". وهذا شأنك أختي المسلمة الواعية المستنيرة بهدى دينها، ألفة مألوفة، ومن لم تكن كذلك فلا خير فيها، كما جاء في الحديث الشريف: "المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف[٥٢٠]".

وكان صلوات الله عليه دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ، إذا انتهي إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك، يعطى كل واحد من جلسائه نصيبه، لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه، من سأله حاجة لم يرده إلا بها، أو بميسور من القول، قد وسع الناس منه بسطه وخلقه، فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق سواء، الناس في مجلسه متعادلون، يتفاضلون بالتقوى، متواضعون، ويوقرون الكبير ويرحمون الصغير، يؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب، وكان صلوات الله عليه قد ترك نفسه من ثلاث: المراء، والإكثار، ومالا يعنيه، لا يذم أحدا، ولا يعيره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا، ولا يتنازعون عنده، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته، ويقول: إذا رأيتم صاحب حاجة فارفدوه[٥٢١]، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بانتهاء أو قيام[٥٢٢] وكان يتقى شرار الناس، ويستميلهم بلين الكلام وحسن المعاملة، ولا ريب أن المرأة المسلمة المتفتحة على هدي النبوة، تترسم خطا نبيها الأمين صلوات الله عليه، في معاملته الناس، صالحهم وطالحهم، فتكون محبوبة مألوفة مقبولة مقدرة في المجتمعات النسائية التي عرفتها أو سمعت عنها.

احفظي السر: فحفظ السر من أجمل الخلائق والسجايا التي يتحلى بها الإنسان، رجلا كان أو امرأة؛ لأنه يدل على نضج الشخصية، ومتانة الخلق، ورزانة المسلك، ورجاحة العقل، ومن شواهد حفظ السر عند الصحابة ما يرويه الأمام البخاري عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنه) أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حين تأيمت بنته حفصة قال: "لقيت عثمان بن عفان

---

(٥٢٠) رواه أحمد والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح. انظر مجمع الزوائد ٨٧/٨باب المؤمن يألف ويؤلف.
(٥٢١) أي أعينوه.
(٥٢٢) انظر حياة الصحابه ٢٢/١، ٢٣.

(رضي الله عنه) فعرضت عليه حفصة، فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر. قال: سأنظر في أمري. فلبثت ليالى، ثم لقيني، فقال: قـد بـدا لى أن لا أتزوج يومي هذا، فلقيت أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) فقلت: إن شـئت أنكحتك حفصة بنت عمر. فصمت أبو بكر (رضي الله عنه)، فلم يرجـع إلي شيئا، فكنت عليه أوجد[٥٢٣] مني على عثمان. فلبثت ليالي. ثم خطبها الـنبي (صلى الله عليه وسلم) فأنكحتها إياه. فلقيني أبو بكر (رضي الله عنه) فقـال: لعلك وجدت[٥٢٤] على حين عرضت على حفصة فلم أرجع إليـك شـيئا؟ فقلت: نعم، قال: فإنه لم يمنعنى أن أرجع إليك فيما عرضت علي إلا أنني كنت علمت أن النبي (صلى الله عليه وسلم) ذكرها، فلم أكن لأفشي سر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولو تركها النبي (صلى الله عليه وسلم) لقبلتها[٥٢٥]".

ولم تقتصر فضيلة حفظ السر على الرجال من السلف، بل شملت النـساء والأطفال الذين عبوا من هدى الإسلام، واستنارت قلو م وعقـولهم بنـوره اللألاء، ونجد ذلك فيما يرويه الأمام مسلم عن أنس(رضي الله عنه)، قال:" أتى على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأنا ألعب مع الغلمان، فسلم علينـا، فبعثنى إلى حاجة، فأبطأت على أمي. فلما جئت قالت: ما حبسك؟ إ ا سر. قلت: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة، فقالت: ما حاجته؟ قلت: إ ا سر، قالت: لا تخبرن بسر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أحدا. قـال أنس: والله لو حدثت به أحدا لحدثتك به يا ثابت[٥٢٦]".

لقد رأت أم أنس ابنها حريصا على حفظ سر رسول الله (صلى الله عليـه وسلم)، فعززت فيه هذا الحرص، ولم يدفعها حب الإطلاع إلى استدراج ابنها الصغير، لتعرف ذلك السر الذي طواه عنها، وهذه هي تربية الإسلام، وهـذا هو المستوى الرفيع الذي رفعت إليه الإنسان، رجلا كان أو امرأة أو طفلا.

واعلمي أختاه أن أبشع أنواع إفشاء الأسرار ما كان من متعلقات الحيـاة الزوجية، كما بين رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقوله: "إن مـن أشـر

---

(٥٢٣) أى أشد غضبا.

(٥٢٤) أى غضبت.

(٥٢٥) فتح البارى١٧٥/٩ كتاب والنكاح و ٣١٧/٧ كتاب المغازى: باب عرض الإنسان ابنته على أهل الخير.

(٥٢٦) صحيح مسلم٤١/١٦ كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل أنس. وثابت: هو التابعى الذى روى الحديث عن أنس

الناس[٥٢٧] عند الله م لة يوم القيامة الرجل يفضى إلى المرأة، وتفضى إليـه، ثم ينشر سرها[٥٢٨]".

ذلك أن الخصوصيات ينبغى أن تبقى في حـرز حريـز، لا يعلمهـا إلا أصحا ا، ومن ينشر خصوصياته على الناس إنسان في عقله لوثة من جنـون، وفي شخصيته ضرب من ميوعة وديوثة وتفاهة. والمسلمون والمسلمات في نجوة من هذا كله وعصمة بما لقنوا من هدى دينهم، وما تحلوا به من خلائقه الغـر الحسان.

كوني طلقة الوجه: مفترة الأسارير، تعلو الابتسامة محياك، فهذا من أهـم عوامل نجاحك في حياتك الخاصة مع زوجك، وفي حياتك الاجتماعية العامـة فقد ورد في صحيح مسلم أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "لا تحقرن من المعروف شيئا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق[٥٢٩]".

وعن جرير بن عبد الله أنه قال: "ما حجبنى رسول الله (صـلى الله عليـه وسلم) منذ أسلمت، ولا رآنى إلا تبسم في وجهي[٥٣٠]".

وهذا شأنك أختاه في ا تمع النسوى الذي تعيشين فيه؛ إذ ما من شـيء يشيع المودة والتعاطف والتحابب في ا تمع مثل الوجـه البـاش، والـنفس المنشرحة المفتوحة، والخلق العالى الرضي، وإ ا لسمات أليق ما تكون بـالمرأة المسلمة الداعية؛ فبها تستطيع النفاذ إلى القلوب، والتغلغل في النفوس.

كوني خفيفة الظل: طيبة المعشر عذبة الحديث، ولا تأنفي مـن ممازحـة أخواتك وصديقاتك في الأوقات التي يحسن فيها المزاح، وتلطـف المداعبـة، ويستحب الترفيه عن النفوس. شريطة أن يصطبغ مزاحك بالصبغة الإسـلامية المشروعة، ولقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسـلم) يـداعب صـحابته الكرام، ولكنه لا يخرج في مزاحه ومداعبته عن دائرة الحق، وقـد أثـر عـن

(٥٢٧) هكذا جاءت الرواية (أشر). والنحاة يقولون: لا يجوز أشر وأخير، وإنما يقال: هو خير منه وشر منه، وقد جاءت الأحاديث الصحيحة بالوجهين.
(٥٢٨) صحيح مسلم ٨/١٠ كتاب النكاح: باب تحريم إفشاء سر المرآة.
(٥٢٩) صحيح مسلم ١٧٧/١٦ كتاب البر والصلة والآداب: باب استحباب طلاقة الوجه.
(٥٣٠) فتح البارى ٥٠٤/١٠ كتاب الأدب: باب التبسم والضحك، وصحيح مسلم ٣٥/١٦ كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل جرير بن عبد الله.

الصحابة قولهم للرسول الكريم: إنك تداعبنا، فقـال: "فقـال لا أقـول إلا حقاً"[٥٣١].

وجاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) يستحمله، فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم) مازحاً: "أنا حاملك على ولد ناقة، فقال: يا رسول الله، مـا أصنع بولد ناقة؟ فقال الرسول (صلى الله عليه وسلم): "وهل تلد الإبـل إلا النوق؟"[٥٣٢]. وأخرج الإمام أحمد عن أنس (رضي الله عنه) أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهراً، وكان يهدي إلى النبي صلى الله عليه وسـلم الهديـة فيجهزه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج، وكان (صـلى الله عليه وسلم) يقول: إن زاهرا باديتنا ونحن حاضروه، وكان رسول الله (صـلى الله عليه وسلم) يحبه وكان رجلاً دميما، فأتاه رسول الله (صـلى الله عليـه وسلم) وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه، ولا يبصره الرجل، فقال: أرسلنى! من هذا؟ فالتفت فعرف النبي (صلى الله عليه وسلم) فجعل لا يألو ما ألـصق ظهره بصدر النبي (صلى الله عليه وسلم) حين عرفه وجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "من يشترى العبد"؟ فقال: يا رسول الله، إذن والله تجدني كاسداً، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "لكن عند الله لـست بكاسـد"، أو قال: "لكن عند الله أنت غال"[٥٣٣].

وأتت عجوز النبي (صلى الله عليه وسلم) فقالت: يا رسـول الله، أدع الله أن يدخلنى الجنة. فقال مداعبا: "يا أم فلان، إن الجنة لا يدخلـها عجـوز"، فولت العجوز تبكى، فقال: "أخبروها أنها لا تدخلها، وهي عجـوز، إن الله تعالى يقول: "إنا أنشأناهن إنشاءً * فَجعلْناهن أبكاراً"[٥٣٤].

وبعد، فإن هذه الشواهد والآثار لدليلاً ناصعاً على سماحة الإسلام وأهله، وعلى ما يريده الإسلام لأبنائه وبناته من خفة ظل، ومرح نفـس، وعذوبـة روح، وإنها لصفات محببة للمرأة المسلمة المعاصـرة الجـادة، تـضفي علـى شخصيتها مزيداً من الجاذبية والجمال والتأثير.

---

(٥٣١) أخرجه البخارى فى الأدبالمفرد ١/ ٣٦٥ باب المزاح.
(٥٣٢) أخرجه البخارى فى الأدبالمفرد ١/ ٣٦٦ باب المزاح.
(٥٣٣)رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. أنظر مجمع الزوائد ٩/ ٣٦٨ باب ما جاء فى زاهر بن حزام.
(٥٣٤) رواه الترمذى فى الشمائل: ١١١، وهو حسن بشواهده.

أدخلي السرور على القلوب: فإدخال السرور على القلوب في إطار ما أحل الله مطلب إسلامى حض عليه الشرع الحنيف، ورغب في فعله، لتبقى أجواء المؤمنين والمؤمنات عامرة بالمودة، ندية بأنسام المسرة، مترعة بالبشر والتفاؤل، مهيأة لتقبل العمل الجاد وما يتطلب من تضحيات وتكاليف، وفي الحديث: "من لقى أخاه المسلم بما يحب الله ليسره بذلك، سره الله (عز وجل) يوم القيامة"(٥٣٥). وأنت أيتها المسلمة الذكية اللبقة لتجدين ضروبا من المسرات الحلال تستطيعين أن تدخليها على قلوب أخواتك، بالتحية الحارة، والكلمة الطيبة، واللفتة الذكية، والنكتة البارعة، والبشرى السارة، والبسمة الودود، والزيارة الخالصة، والهدية المفرحة، والصلة الدائمة، والرفد الصادق، والمواساة المسلية، مما يفتح مغاليق القلوب، ويلقى بذور المحبة، ويصل حبل الود، ويمتن وشائج الأخوة.

لا تكوني متزمتة: ولا تتشددي في أمور أباحها الشرع الحنيف، ورخص ا في المناسبات، كالغناء المباح في الأعياد والأعراس والأفراح، وشهود بعض الألعاب المرفهة التي لا يصاحبها فساد ولا تنجم عنها فتنة. ولكن لا تجعلي اللهو همك وديدنك، وقد ورد في صحيح البخاري أن السيدة عائشة أم المؤمنين زفت امرأة، كانت يتيمة في حجرها، إلى رجل من الأنصار، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "يا عائشة، ما كان معكم لهو، فإن الأنصار يعجبهم اللهو"(٥٣٦).

ويروى الإمام البخاري عن السيدة عائشة أيضا قولها: "دخل علي رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث(٥٣٧)، فاضطجع على الفراش، وحول وجهه. ودخل أبو بكر، فانتهرني وقال: مزمار الشيطان عند النبي (صلى الله عليه وسلم)! فأقبل عليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: دعهما. فلما غفل غمز ما فخرجتا"(٥٣٨).

---

(٥٣٥) رواه الطبرانى فى الصغير وإسناده حسن. أنظر مجمع الزوائد ٨/ ١٩٣ باب فضل قضاء الحوائج.
(٥٣٦) فتح البارى ٩/ ٢٢٥ كتاب النكاح: باب النسوة اللاتي يهدين المرأة إلى زوجها.
(٥٣٧) بعاث: موضع فى نواحى المدينة دارت فيه حرب بين الأوس والخزرج قبل الإسلام، وسميت بيوم بعاث، وللشعراء فيه شعر كثير يغنى.
(٥٣٨) فتح البارى ٢/ ٤٤٠ كتاب العيدين: باب الحراب والدرق يوم العيد.

وفي رواية للبخاري أيضاً: فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): يا أبا بكر، إن لكل قوم عيداً، وهذا عيدنا"[539]. وروى البخاري قول السيدة عائشة أيضاً: "وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق[540] والحراب، فإما سألت النبي (صلى الله عليه وسلم) وإما قال: تشتهين تنظرين؟ فقلت: نعم. فأقامني وراءه، خده على خدي، وهو يقول: دونكم يا بني أرفدة[541]. حتى إذا مللت قال: حسبك؟ قلت: نعم. قال: فاذهبي"[542].

وهكذا فالمسلمة الواعية البصيرة بدينها جادة في أغلب أحوالها، منصرفة إلى معالي الأمور، معرضة عن سفسافها، ولكن هذا لا يمنع أن تلهو في مناسبات، أباحها الشرع الحنيف، وجعل فيها للمسلمين والمسلمات فسحة وسعة، ذلك أن المشرع الحكيم يعلم جبلات النفوس، وميلها إلى التخفف والترويح والتسلية والترفيه بين الحين والحين، لتعود بعد ذلك إلى الجد، وهي أوفر نشاطا، وأمضى عزيمة، وأكثر استعدادا للنهوض بالمسؤوليات.

لا تتكبري: ولا تشمخي بأنفك استعلاء على غيرك من النساء، ممن هن دونك جمالاً، أو مالا، أو نسبا، أو مقاما، لأن المرأة المسلمة المستنيرة بهدى دينها تعلم أن التكبر والاستعلاء والتشامخ في الدنيا يحرم صاحبته من نعيم الآخرة: "تلْك الدار الْآخرةُ نجعلُها للذين لَا يريدونَ علُوّاً في الْأَرضِ ولَا فَساداً والْعاقبةُ للْمتقين" (القصص:٨٣)، وتعلم أيضا أن الله لا يحب كل مختال فخور: "ولَا تصعر خدك للناسِ ولَا تمشِ في الْأَرضِ مرحاً إن الله لَا يحب كُل مختالٍ فَخورٍ". (لقمان: ١٨)

ومن يتأمل نصوص السنة المطهرة يدهش لشدة عناية الرسول (صلى الله عليه وسلم) باستئصال شأفة الكبر من النفوس، كما في الحديث الذي رواه مسلم: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل، إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة. قال: "إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق[543]، وغمط الناس"[544] [545].

---

(٥٣٩) فتح البارى ٢/ ٤٤٥ كتاب العيدين: باب سنة العيدين لأهل الإسلام.
(٥٤٠) الدرق: جمع درقة، وهى الترس.
(٥٤١) هو لقب للحبشة.
(٥٤٢) فتح البارى ٢/ ٤٤٠ كتاب العيدين: باب الحراب والدرق يوم العيد.
(٥٤٣) أى دفعه.
(٥٤٤) أى احتقارهم.

وعن حارثة بن وهب (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "ألا أخبركم بأهل النار: كل عتل[546]، جواظ[547]، مستكبر"[548]. وحسب المتكبرات المستعليات المختالات على قريناتهن من المهانة المعنوية التي أعدها الله لهن في الآخرة، يقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرا"[549]. ويقول: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل[550] مستكبر"[551].

واعلمي أن الكبرياء من شأن الإله عز وجل، وليس من شأن المخلوقين، وأن كل مخلوق تسول له النفس التكبر يعتدى على مقام الألوهية، وينازع الخالق العظيم في صفة من صفاته العليا، ويبوء بالخزى والعذاب الشديد في الآخرة، كما في الحديث الذي رواه مسلم: "قال الله عز وجل: العز إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني بشيء منهما عذبته"[552].

ومن هنا جاءت نصوص السنة المطهرة متتابعة متوالية محذرة المؤمنين والمؤمنات من أن تلابسهم نزوة من كبر في لحظة من لحظات الغفلة والضعف البشرى، ومن ذلك قوله (صلى الله عليه وسلم): "من تعظم في نفسه، أو اختال في مشيته، لقى الله عز وجل، وهو عليه غضبان"[553].

كوني متواضعة: لينة الجانب، سمحة النفس، رقيقة المعشر، فكما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله".[554] وقوله: "إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد".[555] والمسلمة المتأملة سيرة المصطفي (صلى الله عليه وسلم) تجد في

---

(٥٤٥) صحيح مسلم ٨٩/٢ كتاب الإيمان: باب تحريم الكبر.
(٥٤٦) إى غليظ شديد.
(٥٤٧) أى مختال فى مشيته.
(٥٤٨) متفق عليه. انظر رياض الصالحين: ٣٣٤ باب تحريم الكبر والإعجاب.
(٥٤٩) متفق عليه. انظر شرح السنة ٩/١٢ كتاب اللباس: باب تقصير الثياب.
(٥٥٠) أى فقير.
(٥٥١) صحيح مسلم ١١٥/٢ كتاب الإيمان: باب بيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة.
(٥٥٢) صحيح مسلم ١٧٣/١٦ كتاب ألبر والصلة والآداب: باب تحريم الكبر، وأخرجه البخارى فى الأدب المفرد ٩/٢ باب الكبر.
(٥٥٣) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ٧/٢ باب الكبر.
(٥٥٤) صحيح مسلم ١٤١/١٦ كتاب ابر والصلة والآداب: باب استحباب العفو والتواضع.
(٥٥٥) صحيح مسلم ٢٠٠/١٧ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها: باب الصفات التى يعرف ا فى الدنيا

شخصيته العظيمة مثالا حيا فريدا في التواضع وخفض الجناح حتى إنه كان إذا مر بالصبيان يلعبون، وقف عليهم مسلما متبسطا ممازحا، لا يحجبه عن هـذا التواضع العظيم مقام النبوة، فقد ذكر أنس (رضي الله عنه) أنـه مـر علـى الصبيان فسلم عليهم، وقال: "كان النبي (صـلى الله عليـه وسـلم) يفعـل ذلك". (٥٥٦)

ويروى أنس (رضي الله عنه) من تواضع النبي (صلى الله عليه وسـلم) أن أمة من إماء المدينة كانت تأخذ بيد النبي (صلى الله عليه وسلم)، فتنطلق بـه حيث شاءت، يقضي لها حاجتها. (٥٥٧) ويحكي تميم بن أسيد قصة قدومـه إلى المدينة، ليسأل عن أحكام الإسلام، فيقول: "انتهيت إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وهو يخطب، فقلت: يا رسول الله، رجل غريب جاء يسأل عن دينه، لا يدرى ما دينه؟ فأقبل علي رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وتـرك خطبته حتى انتهي إلي، فأتي بكرسي، فقعد عليه وجعل يعلمني مما علمه الله، ثم أتى خطبته فأتم آخرها". (٥٥٨)

وكان (صلى الله عليه وسلم) يضرب لأصحابه المثل في التواضع بقبولـه دعوة الناس البسطاء وهداياهم، فيقول: "لو دعيت إلى ذراع أو كـراع(٥٥٩) لأجبت، ولو أهدي إلي ذراع أو كراع لقبلت". (٥٦٠)

كوني معتدلة في لباسك ومظهرك: واحرصي علـى أناقتـك وحـسن مظهرك، ولكن بلا سرف ولا مبالغة ولا خيلاء، ولا تلـهثي وراء تقليعـات (الموضة) التي لا تقف عند حد، كما تفعل بعض النسوة المسرفات الفارغـات الجاهلات، بل قفي في ذلك كله عند حدود الاعتدال الذي بينه القرآن الكريم، وجعله من صفات عباد الرحمن من المؤمنين والمؤمنات: "والذين إذَا أَنفَقُوا لَـم يسرِفُوا ولَم يقْتروا وكَانَ بين ذَلك قَواماً". (٥٦١)

واحذري العبودية للمال والثياب التي حذر منها رسول الله (صلى الله عليه

أهل الجنة.

(٥٥٦) متفق عليه. انظر رياض الصالحين: ٣٣١ باب التواضع.
(٥٥٧) فتح البارى ٤٨٩/١٠ كتاب الأدب: باب الكبر.
(٥٥٨) صحيح مسلم ١٦٥/٦ كتاب الجمعة: باب التعليم فى الخطبة.
(٥٥٩) الكراع من الدابة: ما بين الركبة إلى الساق.
(٥٦٠) فتح البارى ١٩٩/٥ كتاب الهبة: باب القليل من الهبة.
(٥٦١) الفرقان: ٦٧.

وسلم): "تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة[٥٦٢]، إن أعطى رضي، وإن لم يعط لم يرض".[٥٦٣]

وليعصمك دينك من الانزلاق في مهاوي التبختر والخيلاء والإعجاب بالمظهر، التي أخبر عنها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذ قال: "بينما رجل يتبختر، يمشي في برديه، قد أعجبته نفسه، فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة".[٥٦٤]

والمسلمة الواعية بعيدة في ملبسها ومظهرها عن الإفراط والتفريط: فهي ليست مفرطة مسرفة في زينتها وملبسها وهيئتها، ولا مفرطة مقترة في شكلها وثيابها ومظهرها إلى حد البخل، أو الزهد في الزينة والأناقة والمظهر الحسن، ذلك أن المرأة التي ترتدي الملابس الجميلة فخرا وزهوا وخيلاء وتيها على قريناتها هي آثمة، لأن الله لا يحب كل مختال فخور، أما التي ترتديها إظهارا لنعمة الله، واستعانة على طاعته، فهي طائعة مأجورة. والتي تعزف عن جميل الثياب، وتتركها بخلا بالمال، فلا مكانة لها ولا احترام في نفوس الناس، ولا أجر لها عند الله، أما التي تترك الملابس الجميلة زهدا، وهي تظن أنها تتعبد ربها بتحريم المباحات على نفسها، فهي آثمة أيضا، كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[٥٦٥].

وملاك سعادة المرأة في دينها ودنياها: القصد والتوسط والاعتدال، فلباسها نظيف جميل أنيق مرتب لائق بأمثالها، مظهر نعمة الله عليها، من غير سرف ولا زهو ولا مباهاة.

اهتمي بمعالي الأمور: واربئي بنفسك عن الأمور السخيفة التافهة الرخيصة التي لا تستحق من الإنسان الراقي الجاد العناية والاهتمام، وابني علاقاتك بالنساء على هذا الأساس من سمو الاهتمامات ونبل المقاصد والأهداف، فلا مكان في حياتك للصديقات الفارغات الثرثارات التافهات، ولا وقت لديك لتمضيته في التفاهة واللغو والفراغ والهبوط، وهذا ما يحبه الله تبارك وتعالى في عبادة المؤمنين والمؤمنات، كما أخبر بذلك الرسول الكريم (صلى الله عليه

(٥٦٢) الخميصة: ثوب خز أو صوف معلم، وكان من لباس الناس قديما.
(٥٦٣) فتح البارى ٨١/٦ كتاب الجهاد: باب الحراسة فى الغزو فى سبيل الله.
(٥٦٤) صحيح مسلم ٦٤/١٤ كتاب اللباس والزينة: باب تحريم التبختر فى المشى.
(٥٦٥) فتاوى ابن تيمية ١٣٨/٢٢، ١٣٩.

وسلم) بقوله: "إن الله عز وجل كريم يحب الكرماء، ويحب معـالى الأمـور ويكره سفسافها".[٥٦٦]

اهتمي بأمر المسلمين: وتابعي أخبارهم، عملا بهدي هذا الدين العظـيم الذي عد المسلمين جميعا إخوة، وشبههم في توادهم وتـراحمهم وتعـاطفهم بالجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمـى[٥٦٧]. وشبه جمعيهم بالبنيان يشد بعضه بعضا"[٥٦٨].

ومن هنا كان اهتمام المرأة المسلمة المعاصرة الواعية بأمر الفـرد المـسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم والأمة الإسلامية نابعا من شعورها بالمسؤولية التي ناطها الإسلام بكل مسلم ومسلمة في إبلاغه وتبيان أحكامه للنـاس. وفي تاريخ المرأة المسلمة نماذج كثيرة من فضليات النساء، عـرفن باهتمـامهن في شؤون المسلمين والمسلمات، أفرادا وجماعات.

ومن تلك النماذج السيدة عائشة، لما طعن عمر بن الخطاب (رضـي الله عنه)، وأحس بقرب منيته، قال لابنه عبد الله: اذهب إلى عائـشة، وأقرئهـا السلام، واستأذنها أن أقبر في بيتها مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومـع أبى بكر، فأتاها عبد الله، فأعلمها، فقالت: نعم وكرامة، ثم قالت: يا بنى، أبلغ عمر سلامى، وقل له: لا تدع أمة محمد بلا راع، استخلف عليهم، ولا تدعهم بعدك هملا، فإني أخشى عليهم الفتنة[٥٦٩].

والمرأة المسلمة المعاصرة لها من كلمات أم المؤمنين السيدة عائشة نـبراس تهتدى به في فهمها جوهر الإسلام، ومنارات تهتدى بها في فهم مسؤوليتها عن دينها وأمتها، لتنطلق على بصيرة في أداء واجبها في العمـل علـى النـهوض بالمسلمين والمسلمات، ودعوتهم إلى أن يعودوا كما أراد لهم ربهم خـير أمـة أخرجت للناس.

أكرمي الضيف: مستجيبة في ذلك إلى نداء إيمانها بالله واليوم الآخر، كما وصفه الرسول الكريم بقوله: "من كان يؤمن بالله واليـوم الآخـر فليكـرم

(٥٦٦) رواه الطبرانى فى الكبير ورجاله الثقات. انظر مجمع الزاوئد ١٨٨/٨ باب مكارم الأخلاق.
(٥٦٧) صحيح مسلم ١٤٠/١٦ كتاب البر والصلة والآداب: باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم.
(٥٦٨) صحيح مسلم ١٣٩/١٦ كتاب البر والصلة والآداب: باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم.
(٥٦٩) طبقات ابن سعد ٣٦٣/٣.

ضيفه".[570] وقوله"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزتـه". قالوا: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: "يومه وليلته، والضيافة ثلاثة أيام، فمـا كان وراء ذلك فهو صدقة".[571] ومن هنا كان إكرام الضيف عملا عزيـزا محببا إلى كل مسلمة تؤمن بالله واليوم الآخر، تثاب عليه مـن الله، وتكـسب حسن الأحدوثة وجميل الذكر بين الناس، وليس إكرام الضيف في الإسلام أمرا اختياريا يتبع الأمزجة والنفسيات والاجتهادات الشخصية، وإنما هو واجـب على كل مسلم ومسلمة، عليهما أن يبادرا إلى تأديته إذا ما قرع بابهما طارق، أو نزل بفنائهما ضيف: "ليلة الضيف حق واجب على كل مسلم، فمن أصبح بفنائه فهو دين عليه، فإن شاء اقتضاه، وإن شاء تركه".[572]

أما الذين يضيقون ذرعا باستقبال الضيف، ويغلقون دونه الأبواب، فـلا خير فيهم، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن النبي (صـلى الله عليه وسلم): "لا خير فيمن لا يضيف"[573]. وفي الحديث الذي رواه الشيخان وغيرهما عن عقبة بن عامر، قال: قلت: يا رسول الله، إنك تبعثنا فننزل بقـوم فلا يقرونا، فما ترى في ذلك؟ فقال: "إن نزلتم بقوم فأمر لكـم بمـا ينبغـي للضيف فاقبلوا، فإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغى لهم".[574]

وما من مسلمة حسن إسلامها، بخيلة أو ممسكة تمتنع عن إكرام الـضيف، أو تخذل زوجها عن استقبال ضيفه وإكرامه، مهما كانـت حالتـها وحالـة زوجها، فعن جابر (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (صـلى الله عليـه وسلم) يقول: "طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفـي الأربعـة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية"[575].

والمرأة المسلمة التي صاغ نفسيتها الإسلام، وهذب طباعها هديه العالى لا تخاف كثرة الأيدى على الطعام، شأن المرأة الغربية التي لا تستقبل ضيفا لم تعد له طعاما من قبل، بل إن المرأة المسلمة لتستقبل ضيوفها ولـو فاجؤوهـا في زيارتهم، وترحب بمشاركتهم طعامها وطعام أسرتها، وما عليها إن نقص حظ

---

(570) متفق عليه. انظر شرح السنة ٣١٢/١٤ كتاب الرقاق: باب حفظ اللسان.
(571) متفق عليه. انظر رياض الصالحين: ٣٧٩ كتاب الأدب: باب إكرام الضيف.
(572) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ٢٠٧/٢ باب جائزة الضيف.
(573) رواه الإمام أحمد ١٥٥/٤، ورجاله رجال الصحيح.
(574) رواه الشيخان وغيرهما؟ انظر الأدب المفرد ٢١٠/٢ باب إذا أصبح الضيف محروما.
(575) صحيح مسلم ٢٢/١٤ كتاب الأشربة: باب فضيلة المواساة فى الطعام القليل.

معد ا لقيمات معدودات، ولقد ضرب سلفنا الصالح المثل الأعلى في إكـرام الضيف، حتى إن الله تبارك وتعالى عجب من صنيع بعضهم في إكرام الضيف، ونجد ذلك في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن أبى هريرة (رضـي الله عنه) أن رجلا أتى النبي (صلى الله عليه وسلم)، فبعث على نسائه، فقلن: مـا عندنا إلا الماء. فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "من يضم أو يـضيف هذا؟" فاق رجل من الأنصار" أنا، فانطلق به إلى امرأته فقال: أكرمى ضـيف رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقالت ما عندنا إلا قوت الصبيان، فقـال هيئي طعامك، وأصلحي سراجك، ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيـأت طعامها، وأصلحت سراجها، ونومت صبيا ا، ثم قامت كأ ا تصلح سراجها فأطفأته، وجعلا يريانه أ ما يأكلان، وباتا طاويين. فلما أصبح غدا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقال (صلى الله عليه وسلم): "لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة"، وأنزل الله تعالى: "ويؤثرونَ علَى أنفُسِهم ولَو كَانَ بِهم خصاصةٌ ومن يوق شح نفْسِه فَأُولَئك هم الْمفْلحونَ"(٥٧٦). فالمرأة المسلمة كريمة مضياف، ترحب بالضيف في أي وقت جاء، ولا تخشى مـن طروقـه المفاجئ، وهي بذلك خير معوان لزوجها على أن يكون أيضا كريما مـضيافا مثلها، يهش للضيف، ويسارع إلى إكرامه.

كوني ممن يؤثرون على أنفسهم: فالمرأة المسلمة التي ارتوت مـن هـدى الإسلام الحنيف تؤثر على نفسها، ولو كانت مقلة لا تملك المال الوفير، ذلـك أن الإيثار خليقة نبيلة سامية محببة، أشاد ا الإسلام، ورغب في التخلق ـا، لتكون سمة يتميز ا الإنسان المسلم الصادق النبيل، ولقد كان الأنصار رضوان الله عليهم الرواد الأوائل للإيثار بعد الرسول الكريم، إذ نزل فيهم قرآن يتلى، يشيد بإيثارهم الفريد على وجه الزمان، الذي جعلهم منارة خالدة للأجيـال الإنسانية، تعلمها كيف يكون الجود.

أخضعي عاداتك لمقاييس الإسلام: ولا تتمسكي أبدا بالعادات التي تخرج عن هذه المقاييس، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من سفر، وقد سترت سهوة(٥٧٧) لي بقرام(٥٧٨) فيه تماثيل، فلمـا

(٥٧٦) الحشر: ٩، فتح البارى ٦٣١/٨ كتاب التفسير: باب ويؤثرون على أنفسهم، وصحيح مسلم ١٢/٤ كتاب الأشربة: باب إكرام الضيف.
(٥٧٧) أي نافذة صغيرة.
(٥٧٨) أى ستر.

رآه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تلون وجهه! وقال: "يا عائشة، أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله!" قالت: فقطعناها، فجعلنا منه وسادة أو وسادتين".[579] وعن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس، فيعذبه في جهنم". قال ابن عباس: فإن كنت لابد فاعلا فاصنع الشجر وما لا روح فيه.[580] وعن أبى طلحة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة".[581] وعن عائشة رضي الله عنها قالت: واعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جبريل (عليه السلام) في ساعة يأتيه فيها فجاءت تلك الساعة ولم يأته! قالت: وكان بيده عصا فطرحها من يده، وهو يقول: "ما يخلف الله وعده ولا رسله"، ثم التفت، فإذا جرو كلب تحت سريره. فقال: "متى دخل هذا الكلب؟" فقلت: والله ما دريت به، فأمر به فأخرج، فجاءه جبريل (عليه السلام)، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "وعدتنى فجلست لك، ولم تأتنى"، فقال: "منعنى الكلب الذي كان في بيتك، إنا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة".[582]

والنصوص في ذلك كثيرة، وكلها تحرم نشر الصور ونصب التماثيل. فالإسلام الذي جاء بعقيدة التوحيد، وحطم أوثان الشرك والجاهلية منذ خمسة عشر قرنا، ليأبى لهذه الأوثان أن تعود مرة أخرى إلى حياة المسلمين والمسلمات، باسم تخليد زعيم أو فنان أو عالم أو شاعر أو أديب، والمجتمع الإسلامى مجتمع موحد، لا يعرف التعظيم والتقديس والتبجيل إلا لله، ومن ثم لا مكان فيه لمثل هذه الأوثان والأنصاب.

أما اقتناء الكلب، فلا مانع منه إذا كان لصيد أو ماشية أو أرض، كما في حديث ابن عمر (رضي الله عنه)، قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "من اقتنى كلبا إلا كلب صيد أو ماشية، فإنه ينقص من أجره كل يوم قيراطان".[583]

---

(٥٧٩) متفق عليه. انظر رياض الصالحين: ٧٤٢ كتاب الأمور المنهى عنها: باب تحريم الصور.
(٥٨٠) متفق عليه. انظر رياض الصالحين: ٧٤٢ كتاب الأمور المنهى عنها: باب تحريم الصور.
(٥٨١) متفق عليه. انظر رياض الصالحين: ٧٤٣ كتاب الأمور المنهى عنها: باب تحريم الصور.
(٥٨٢) صحيح مسلم ٨١/١٤ كتاب اللباس والزينة: باب تحريم تصوير الحيوان.
(٥٨٣) متفق عليه. انظر رياض الصالحين: ٧٤٤ كتاب الأمور المنهى عنها: باب تحريم اتخاذ الكلب إلا

وأما اقتناء الكلاب على الطريقة الغربية في البيوت، والعناية ا وتدليلـها، وتخصيص أطعمة وصابون (شامبو) لها، وإنشاء حمامات خاصة ا، إلى غـير ذلك مما ينفق عليه الغرب بملايين الدولارات في العام، فليس مـن الإسـلام وعاداته السمحة في شيء. وإذا كانت ظروف القوم النفسية في الغرب، والحياة المادية الجافة التي يحيو ا انحرفت م إلى هذا التطـرف في تربيـة الكـلاب، ليعوضوا الحب الإنساني الذي فقدوه في حيا م الاجتماعيـة، فـإن الحيـاة الاجتماعية في الإسلام ريـا بالعاطفـة الإنـسانية، ولا حاجـة ـا لهـذا الانحراف[٥٨٤].

ومن العادات المنافية للإسلام الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة وهو أمر حرمته أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) الصحيحة القاطعة. فعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال:"من شرب في إناء من ذهب أو فضة، فإنما يجرجر في بطنه نارا من جهنم"[٥٨٥].

والمرأة المسلمة الواعية في كل مكان تعرض كل عادة من العادات المألوفة في مجتمعها على حكم الإسلام وقيمه ومفاهيمه، فما وافقه منها قبلتـه، ومـا خالفه أطرحته ونبذته، سواء أكان ذلك في الخطبة والزواج، أم في حياة البيت والأسرة وا تمعات، فالعادات في الشعوب والأقطار الإسلامية كثيرة متباينة، والعبرة في مشروعية العادة موافقتها للإسلام، لا في شيوعها وسـريا ا بـين الأنام.

التزمي بأدب الإسلام في الطعام والشراب: عملا بقول الرسول (صـلى الله عليه وسلم): "سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك".[٥٨٦] وإذا أنـسيت قول اسم الله تعالى في أول طعامك استدركي ذلك كما روت السيدة عائشة، قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله، فإن نسى أن يذكر اسم الله تعـالى في أولـه فليقـل: بـسم الله أولـه وآخرة[٥٨٧]". ثم كلي بيمينك كما قال الرسول (صلى الله عليه وسـلم): "إذا

لصيد أو ماشية.

(٥٨٤) انظر تحليلا لهذا الانحراف ص: ٢٧٣-٢٧٥.

(٥٨٥) صحيح مسلم ٣٠/١٤ كتاب اللباس والزينة: باب تحريم استعمال أواني الذهب والفضة.

(٥٨٦) متفق عليه. انظر رياض الصالحين: ٣٩٤ كتاب آداب الطعام: باب التسمية فى أوله والحمد فى آخره.

(٥٨٧) رواه أبو داود ٤٧٥/٣ كتاب الأطعمة: باب التسمية، والترمذى ٢٨٨/٤ كتاب الأطعمة: باب

أكل أحدكم فليأكل بيمينه؛ وإذا شرب فليشرب بيمينه؛ فإن الشيطان يأكـل بشماله ويشرب بشماله"[٥٨٨].

وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) إذا رأى أحدا يأكل بـشماله ـاه ووعظه وأدبه، وربما اشتد ودعا عليه إذا رأى منه كبرا وإصرارا على فعلتـه: فعن سلمة بن الأكوع (رضي الله عنه) أن رجلا أكل عند رسول الله (صـلى الله عليه وسلم) بشماله، فقال: "كل بيمينك". قال: لا أسـتطيع. قـال: "لا استطعت"! ما منعه إلا الكبر! فما رفعها إلى فيه[٥٨٩]. ذلك أن الرسول الكريم كان يحب التيامن في كل شيء، ويحض على الأخذ به. فعن سهيل بن سـعد رضي الله عنه: "أتي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بشراب، فشرب منـه، وعن يمينه غلام وعن يساره أشياخ، فقال للغلام: "أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟" فقال الغلام: لا والله، لا أوثر بنصيبى منك أحدا، فتله[٥٩٠] رسول الله (صـلى الله عليه وسلم) في يده"[٥٩١].

فالتيامن أدب هام جدا من آداب الإسلام، يأخذ الإنسان المسلم الحق بـه نفسه دونما تساهل أو ترخص أو تراخ، وأقول لأخواتي المـسلمات اللـواتى أخذن بنظام المائدة الغربية القاضي بجعل الشوكة على اليسار، والسكين علـى اليمين، ليقطع الآكل بيمينه، ويتناول اللقمة بيساره، فاتبعنه، دونما تعديل، فإذا هن يأكلن بيسارهن مخالفات بذلك هدي دينهن، ولم يكلفن أنفسهن أن ينقلن الشوكة إلى اليمين، والسكين إلى اليسار، ليأكلن بأيما ن خـشية أن يخـدش (الإتيكيت) الغربى. أقول لهن إن هذا لون من ألوان الهزيمة النفسية التي منيـت ا أمتنا أمام ما يفد إلينا من أشياء مستحدثة، نعكف على تطبيقها دونما تعديل أو تكييف يوائم شخصيتنا وديننا وقيمنا الأصيلة. والمسلمة الواعيـة البـصيرة المعتزة دى دينها القويم وأدبه العالى الرفيع لتعمد إلى الأكل باليمين، داعيـة النساء إلى ذلك، ولا تخجل أن تجهر به في المحافل وا تمعات حتى يتنبه الغافلون والغافلات، ويثوبوا جمعيا إلى رشدهم في أتباع هدي السنة النبوية المطهـرة في التيامن في الطعام والشراب.

ما جاء فى التسمية على الطعام.

(٥٨٨) صحيح مسلم ١٩١/١٣ كتاب الأشربة: باب آداب الطعام والشراب.

(٥٨٩) صحيح مسلم ١٩٢/١٣ كتاب الأشربة: باب آداب الطعام والشراب.

(٥٩٠) أى وضعه.

(٥٩١) متفق عليه. انظر شرح السنة ٣٨٦/١١ كتاب الأشربة: باب البداءة بالأيمن.

ويليق بالمسلمة الواعية المهذبة إذا تناولت طعامها بيدها، أن تتناوله برفق ولطف وتؤدة وأن تأكل مما يليها، كما كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يفعل، حكى كعب بن مالك (رضي الله عنه)، قال: "رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يأكل بثلاث أصابع، فإذا فرغ لعقها"[(٥٩٢)].

وكان (صلى الله عليه وسلم) يأمر بلعق الأصابع وسلت الصحفة[(٥٩٣)]، وعن جابر (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أمر بلعق الأصابع والصحفة وقال: "إنكم لا تدرون في أى طعامكم البركة"[(٥٩٤)]. ومسح الآنية من بقايا الأطعمة أليق بالإنسان المهذب النظيف، وأدل على نظافته وترتيبه وذوقه المرهف. وقد وصل الغرب اليوم إلى الأخذ بهذه العادة الحسنة التي قررها الرسول الكريم منذ خمسة عشر قرنا؛ والمسلمة المهذبة المرهفة الحس المتأدبة بأدب الإسلام لا تتمطق في أكلها، ولا تشخر، ولا تنفخ أثناء مضغها الطعام، محدثة أصواتاً منفرة مزعجة، ولا تكبر اللقمة بحيث يصبح منظر فمها منتفخا مزريا قبيحا مخلا بجمال الأنوثة ورقتها ولطفها. حتى إذا فرغت من طعامها، لهج لسانها بالحمد لله عز وجل، فعن أبى أمامة (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان إذا رفع مائدته قال: "الحمد لله كثيرا طيبا مباركا فيه، غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه، ربنا"[(٥٩٥)].

وعن معاذ بن أنس (رضي الله عنه) قال: رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "من أكل طعاما فقال: الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة، غفر له ما تقدم من ذنبه"[(٥٩٦)].

ولا تعيب المرأة المسلمة المتأدبة بأدب الإسلام الطعام مهما كان، أخذا بالهدي النبوي في ذلك، فعن أبى هريرة (رضي الله عنه) عنه قال: "ما عاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) طعاما قط: إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه"[(٥٩٧)].

---

(٥٩٢) صحيح مسلم ٢٠٤/١٣ كتاب الأشربة: باب استحباب لعق الأصابع.
(٥٩٣) أى مسحها.
(٥٩٤) صحيح مسلم ٢٠٧/١٣ كتاب الأشربة: باب استحباب لعق الأصابع.
(٥٩٥) فتح البارى ٥٨٠/٩ كتاب الأطعمة: باب ما يقول إذا فرغ من طعامه.
(٥٩٦) رواه أبو دواود ٦٣/٤ كتاب اللباس باب (١)والترمذى ٥٠٨/٥ كتاب الدعوات: ٥٦، وقال: حديث حسن.
(٥٩٧) متفق عليه. انظر شرح السنة ٢٩٠/١١ كتاب الأطعمة: باب لا يعيب الطعام.

وأما آدابها في الشراب فمستمدة أيضا من أدب الإسلام، فقد نهى الرسول الكريم عن الشراب دفعة واحدة بقوله: "لا تشربوا واحدا كشرب البعير، ولكن اشربوا مثنى وثلاث، وسموا إذا أنتم شربتم، واحمدوا إذا أنتم رفعتم"(٥٩٨). وفي حديث أبي سعيد الخدري أن النبي (صلى الله عليه وسلم) نهى عن النفخ في الشراب، فقال رجل: أرى القذاة فيه، قال النبي (صلى الله عليه وسلم): "فأهرقها"، قال: إني لا أروى من نفس واحد، فقال الرسول (صلى الله عليه وسلم): "فأبن القدح عن فيك ثم تنفس"(٥٩٩). ومن استعرض الأحاديث الواردة في أدب الشراب يتبين أن الأحسن صنعا والأمثل طريقة ألا تشرب المسلمة من فم السقاء ما أمكنها ذلك، وأن تشرب قاعدة ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، فذلك أمثل وأكمل وأفضل، كما تدل على ذلك الأحاديث الواردة في هذا الموضوع، وإن كان الشرب من فم السقاء وفي حالة القيام جائزين؛ لأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) شرب في هذه الحالات جميعا.

التزمي بتحية الإسلام: لأن إفشاء السلام أدب إسلامي أصيل محدد منظم، أمر به رب العزة في كتابه الكريم، ونظمه ووضع أصوله وقواعده رسوله الأمين في أحاديثه الثرة التي أفردها المحدثون بباب مستقل سموه "كتاب السلام". لقد أمر الله تعالى المؤمنين بالسلام في محكم كتابه فقال: "يا أيها الذين آمنوا لا تدخلُوا بيوتاً غَير بيوتكُم حتى تستأنِسوا وتسلموا علَى أهلها"(النور:٢٧). وأمر برد التحية بأحسن منها أو بمثلها: "وإِذَا حييتم بِتحية فَحيواْ بِأَحسن منها أَو ردوها"(النساء:٨٦).

وجاء الهدي النبوى يحض بحرارة على إفشاء الإسلام، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) أن رجلا سأل النبي (صلى الله عليه وسلم): أى الإسلام خير؟ قال: "تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف"(٦٠٠). وكان السلام إحدى الوصايا السبع التي عددها البراء بن عازب (رضي الله عنه)، قال: "أمرنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بسبع: بعيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، ونصر الضعيف، وعون المظلوم، وإفشاء السلام، وإبرار المقسم"(٦٠١). لقد أعطى الرسول الكريم قضية السلام

---

(٥٩٨) رواه الترمذى ٣٠٢/٤ كتاب الأشربة: ١٣، وقال: حيث حسن.
(٥٩٩) رواه الترمذى٣٠٤/٤ كتاب الأشربة: ١٥، وقال: حديث حسن صحيح.
(٦٠٠) متفق عليه. انظر شرح السنة ٢٦٠/١٢ كتاب الاستئذان: باب فضل السلام.
(٦٠١) متفق عليه.انظر رياض الصالحين: ٤٣٧ كتاب السلام: باب فضل السلام، واللفظ من إحدى

جانبا كبيرا من اهتمامه، لما يعلم من أثره الكبير في تفجير ينـابيع الحـب في النفوس، وتوثيق عرى القلوب، وذلك في قوله: "والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتمـوه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم[٦٠٢]". وقال: "إن أولى الناس بالله مـن بـدأهم بالسلام[٦٠٣]". ولذلك كان عبد الله بن عمر (رضي الله عنه) يغدو إلى السوق فلا يمر على أحد إلا سلم عليه. وسئل يوما: ما تصنع في السوق، وأنـت لا تقف على البيع، ولا تسأل عن السلع، ولا تسوم ا، ولا تجلـس في مجـالس السوق؟ فقال: إنما نغدو من أجل السلام على من لقينـا[٦٠٤]". والـسلام في الإسلام ليس تقليدا اجتماعيا قابلا للتغيير، وإنما هو أدب إسـلامي محـدد في صيغته وقواعده وأصوله، وله صيغة واحدة يلتزمها المـسلمون والمـسلمات، وهي: "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته"، يقولها المبتدئ أو المبتدئة بالـسلام هكذا بضمير الجمع، ولو كان الـمسلـم عليه واحدا أو واحـدة، ويقـول ا يب أو ا يبة: "وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته". والمرأة المسلمة الحريصة على تميز شخصيتها المسلمة تستمسك ذه التحية المباركة، ولا تبغي عنها أي صيغة أخرى قديمة مثل عم صباحا، أو مستحدثة كصباح الخير، التي هي ترجمة حرفية لـ Good morning بالإنكليزية، أو Bonjor بالفرنسية، فتحية الإسـلام هذه هي التحية التي اصطفاها الله تعالى لخلقه منذ خلق آدم، علمه إياهـا، وفي ذلك يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): "لما خلق الله آدم (صلى الله عليـه وسلم) قال: اذهب فسلم على أولئك - نفر من الملائكة جلوس- فاستمع ما يحيونك، فإ ا تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله[٦٠٥]". لا بدع إذا أن تكون هذه الصيغة هـي التحية المباركة الطيبة؛ لأ ا جاءتنا من عند الله تعالى، وأمرنا أن نتخذها تحيتنا، ولا نعدل عنها إلى سواها: "فَإِذَا دخلْتم بيوتاً فَسلموا علَى أَنفُسِكُم تحيةً مـن عند الله مباركَةً طَيبةً"(النور: ٦١). ومن أجل ذلك التزم بصيغتها جبريل عليه السلام كما جاء في الحديث المتفق عليه: "عن عائشة رضي الله عنها قالـت:

روايات البخارى.

(٦٠٢) صحيح مسلم ٣٥٢/٢ كتاب الإيمان: باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون.

(٦٠٣) رواه أبو داود بإسناد جيد ٣٨٠/٥ كتاب الأدب: باب فى فضل من بدأ السلام.

(٦٠٤) أخرجه البخارى فى الأدب الم فرد ٤٦٥/٢ باب من خرج يسلم ويسلم عليه.

(٦٠٥) متفق عليه. انظر رياض الصالحين: ٤٣٧ كتاب السلام: باب فى فضل السلام.

قال لي رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "هذا جبريل يقرأ عليـك الـسلام قالت: قلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته[٦٠٦]".

والمسلمة الملتزمة ـدي دينها تحرص على إتقان قواعد السلام وتطبيقهـا بدقة في حيا ا الاجتماعية، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: رسـول الله (صلى الله عليه وسلم): "يسلم الراكب على الماشي، والماشي علـى القاعـد، والقليل على الكثير[٦٠٧]". وفي رواية للبخاري: "والصغير على الكـبير[٦٠٨]". والسلام يكون على الرجال وعلى النساء أيضا، يشهد لذلك حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مر في المسجد يوما، وعصبة من النساء قعود فألوى بيده بالتسليم[٦٠٩]". ويكون السلام أيضا على الصبيان، تعويدا لهم على آداب التحية والسلام؛ ومن قواعد السلام وآدابه في الإسلام أن يلقى في الليل برفق وتؤدة يروي المقداد (رضي الله عنه) في حديثه الطويل، قال: "كنا نرفع للنبي (صلى الله عليه وسلم) نصيبه من اللبن، فيجـئ من الليل فيسلم تسليما لا يوقظ نائما، ويسمع اليقظان، فجاء النبي (صلى الله عليه وسلم) فسلم كما كان يسلم[٦١٠]". ويكون السلام عنـد الـدخول إلى ا لس وحين القيام منه. وفي ذلك يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): "إذا انتهي أحدكم إلى ا لس فليسلم، فإذا أراد أن يقوم فليسلم، فليـست الأولى بأحق من الآخرة[٦١١]".

والمرأة المسلمة الواعية المتميزة بخلقها الإسلامى الأصيل تـستوعب هـذا التوجيه النبوي العالي في السلام وآدابه، وتطبيقه بدقـة في حيا ـا الخاصـة والعامة، وتحض على تطبيقة والالتزام بقواعده.

لا تدخلي بيتا غير بيتك إلا باستئذان: لأن الاستئذان أمر ربانى، لا يجوز التهاون أو التساهل في شأنه أو التغاضي عنه: "يا أيها الذين آمنوا لا تـدخلوا

---

(٦٠٦) متفق عليه. انظر رياض الصالحين: ٤٣٩ كتاب السلام: باب كيفية السلام.
(٦٠٧) متفق عليه. انظر رياض الصالحين: ٤٤٠ كتاب السلام: باب فى آداب السلام.
(٦٠٨) روى البخارى. انظر رياض الصالحين: ٤٤٠ كتاب السلام: باب فى آداب السلام.
(٦٠٩) رواه الترمذى ٥٨/٥ فى كتاب الاستئذان: باب ما جاء فى التسليم على النساء وقال: حديث حسن.
(٦١٠) صحيح مسلم ١٤/١٤ كتاب الأشربة: باب إكرام الضيف. وانظر
(٦١١) رواه أبو داود ٣٨٦/٥ فى كتاب الأدب: باب فى السلام، والترمذى ٦٢/٥ فى كتاب الاستئذان: ١٥، قال: حديث حسن.

بيوتاً غَير بيوتكُم حتى تستأنِسوا[612] وتسلموا علَى أهلها ذَلكُم خيـر لكُـم لَعلكُم تذَكرونَ * فَإِن لم تجِدوا فيها أَحداً فَلَا تدخلُوها حتى يؤذَنَ لَكُم وإِن قيلَ لَكُم ارجِعوا فَارجِعوا هو أَزكَى لَكُم والله بِما تعملُونَ عليم" (النور:٢٧-٢٨)، "وإِذَا بلَغَ الْأَطْفَالُ منكُم الْحلُم فَلْيستأْذنوا كَما استأْذَنَ الذين من قَبلهم" (النور:٥٩)، ولا يدور في خلد المسلمة أن تستأذن للدخول إلى بيت لا يجـوز لها الدخول إليه، كأن يكون بيتا ليس فيه سوى رجال أجانـب. فاسـتئذا ا يكون للدخول إلى النساء، أو إلى من يجوز له رؤيتها من الرجال، ولا بد منه، تنفيذا لأمر الله ورسوله. وللاستئذان آداب حرص الإسـلام علـى تجليتـها للمسلمين والمسلمات، وأمرهم بالتحلى ا كلما قاد م أقـدامهم إلى زيـارة إنسان.

وأولها: ألا تقف المستأذنة أمام الباب مباشرة؛ فعن عبد الله بن بشر (رضي الله عنه): "أن النبي (صلى الله عليه وسلم) إذا أتى بابا يريـد أن يـستأذن لم يستقبله، جاء يمينا أو شمالا، فإن أذن لـه، وإلا انـصرف[613]". ذلـك أن الاستئذان جعل من أجل البصر، كما في حديث سهل بن سـعد (رضـي الله عنه)، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "إنما جعل الاستئذان من أجـل البصر[614]". ومن هنا لا يجوز للمستأذن، رجلا كان أو امرأة، أن يقـف في مواجهة الباب حيث ينصب البصر حين فتحه.

وثانيها: السلام فالاستئذان، فعن ربعى بن حراش قال: "حدثنا رجل من بني عامر أنه استأذن على النبي (صلى الله عليه وسلم)، وهو في بيت، فقـال: أألج؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لخادمه: "اخرج إلى هذا فعلمـه الاستئذان، فقل له: قل: السلام عليكم، أأدخل؟" فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم، أأدخل؟ فأذن له النبي (صلى الله عليه وسلم)، فدخل[615]".

وثالثها: أن تسمى نفسها بما تعرف به من اسم أو كنية، إذا قيل لها: مـن أنت؟ ولا تقول كلمة غامضة مثل: أنا، فعن جابر (رضي الله عنه) قال: أتيت النبي (صلى الله عليه وسلم)، فدققت الباب، فقال: "من هذا؟" فقلت: أنـا،

---

(٦١٢) أى تستأذنوا.
(٦١٣) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ٥١٣/٢ باب كيف يقوم عند الباب.
(٦١٤) متفق عليه. انظر رياض الصالحين: ٤٤٥ كتاب السلام: باب الاستئذان وآدابه.
(٦١٥) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ٥١٨/٢ باب إذا قال: أدخل؟ ولم يسلم. وانظر رياض الصالحين: ٤٤٥.

فقال: أنا أنا؟! كأنه كرهها[٦١٦]". لقد علمنا الرسول الكريم بذلك أن السنة في أدب الاستئذان ذكر الاسم الصريح، وهذا ما كان عليه هو وصحابته، فعن أم هانئ رضي الله عنها قالت: أتيت النبي (صلى الله عليه وسلم)، وهو يغتسل، وفاطمة تستره، فقال: "من هذه؟" فقلت: أنا أم هانئ[٦١٧]".

ورابعها: أن يرجع إذا قيل له: ارجع، دون أن يجد في نفسه شيئا من غضاضة؛ إذ بذلك جاء أمر الله في كتابه العزيز: "وإن قيلَ لَكُم إرجِعوا فَارجِعوا هو أزكَى لَكُم والله بِما تعملُونَ عليم" (النور:٢٨) وبذلك أيضا جاء الهدي النبوى العالى، ففي حديث أبى موسى الأشعرى (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " الاستئذان ثلاث، فإن أذن لك[٦١٨]، وإلا فارجع[٦١٩]".قال أبو موسى: "استأذنت على عمر فلم يؤذن لي - ثلاثا - فأدبرت، فأرسل إلي، فقال: يا عبد الله، اشتد عليك أن تحتبس على بابي؟ اعلم أن الناس كذلك يشتد عليهم أن يحتبسوا على بابك، فقلت: بل استأذنت عليك ثلاثا، فلم يؤذن لي، فرجعت (وكنا نؤمر بذلك). فقال: ممن سمعت هذا؟ فقلت: سمعته من النبي (صلى الله عليه وسلم)، فقال: أسمعت من النبي (صلى الله عليه وسلم) ما لم نسمع؟ لئن لم تأتني على هذا ببينة لأجعلنك نكالا، فخرجت حتى أتيت نفرا من الأنصار جلوسا في المسجد، فسألتهم، فقالوا: أويشك في هذا أحد؟ فأخبرتهم ما قال عمر، فقالوا: لا يقوم معك إلا أصغرنا. فقام معى أبو سعيد الخدري -أو أبو مسعود- إلى عمر، فقال: خرجنا مع النبي (صلى الله عليه وسلم)، وهو يريد سعد بن عبادة، حتى أتاه، فسلم، فلم يؤذن له، ثم سلم الثانية ثم الثالثة، فلم يؤذن له، فقال: قضينا ما علينا. ثم رجع، فأدركه سعد، فقال: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق ما سلمت من مرة إلا وأنا أسمع وأرد عليك، ولكن أحببت أن تكثر من السلام علي وعلى أهل بيتي. فقال: أبو موسى: والله إن كنت لأمينا على حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقال: أجل، ولكن أحببت أن

---

(٦١٦) متفق عليه. انظر رياض الصالحين: ٤٤٧ كتاب السلام: باب فى بيان أن السنة أن يسمى المستأذن نفسه.

(٦١٧) متفق علي. انظر رياض الصالحين: ٤٤٧ كتاب السلام: باب فى بيان أن السنة أن يسمى المستأذن نفسه.

(٦١٨) أى فإن أذن لك فادخل.

(٦١٩) متفق عليه . انظر رياض الصالحين: ٤٤٥ كتاب السلام: باب فى الاستئذان وآدابه.

أستثبت[٦٢٠]". وفي رواية لمسلم أيضا أن عمر قال معاتبا نفسه حين ثبت له الحديث: "أخفي علي هذا من أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟! ألهاني عنه الصفق بالأسواق؛ يعنى الخروج إلى التجارة[٦٢١]". هذه هي آداب الاستئذان وقواعده في الإسلام، فالتزمي ا أختي المسلمة النا ة وطبقيها في واقع حياتك كلما طرقت بابا، تستأذنين للدخول على أهله، وعلمي هذه الآداب أبناءك والبنات.

اجلسي حيث ينتهي بك ا لس: كلما غشيت مجلسا، فيه جالسات سبقنك إليه. وإنه لأدب اجتماعي عال مستقى من هدي الرسول الكريم فعن جابر بن سمرة (رضي الله عنه)، قال: "كنا إذا أتينا النبي (صلى الله عليه وسلم) جلس أحدنا حيث ينتهي"[٦٢٢].

والمرأة المسلمة النبيهة تتحاشى إقحام نفسها بين اثنتين، تفرق بينهما إلا إذا دعت إلى ذلك ضرورة، وبإذ ما؛ ذلك لقول الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم): "لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذ ما[٦٢٣]". فإقحام المرأة نفسها بين اثنتين، سواء أكان ذلك في مجلس أم في غير مجلس، من الأمور المستكرهة المستهجنة التي اشتد الإسلام في تبيان قبحها، والتنبيه إلى تجنبها. والأحاديث والآثار في ذلك كثيرة جدا، منها ما يرويه سعيد المقبرى، يقول: "مررت على ابن عمر ومعه رجل يتحدث، فقمت إليهما، فلطم في صدري فقال: إذا وجدت إثنين يتحدثان فلا تقم معهما، ولا تجلس معهما، حتى تستأذ ما، فقلت: أصلحك الله يا أبا عبد الرحمن، إنما رجوت أن أسمع منكما خيراً"[٦٢٤].

وقد تقوم لك عند قدومك إحدى الجالسات لتجلسك مكا ا، فالأكرم والأفضل والأمثل ألا توافقي على الجلوس فيه فهذا أشبه بما كان عليه

(٦٢٠) فتح الباري ٢٦/١١ كتاب الاستئذان: باب التسليم والاستئذان، وصحيح مسلم ١٣٠/١٤ كتاب الآداب: باب الاستئذان.
(٦٢١) صحيح مسلم ١٣٤/١٤ كتاب الآداب: باب الاستئذان.
(٦٢٢) رواه أبو داود ١٦٤/٥ فى كتاب الاستئذان: ١٦، والترمذى ٧٣/٥ كتاب الاستئذان: ٢٩: حديث حسن صحيح غريب.
(٦٢٣) رواه أبو دواد ١٧٥/٥ كتاب الأدب: ٢٤، والترمذى ٤٤/٥ كتاب الأداب: ١١، وقال: حديث حسن صحيح.
(٦٢٤) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ٢/ ٥٨٠ باب إذا رأى قوماً يتناجون فلا يدخل معهم.

الصحابة الكرام رضوان الله عليهم. فعن ابن عمر (رضي الله عنه) قال: قـال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "لا يقيمن أحدكم رجلا مـن مجلـسه، ثم يجلس فيه، ولكن توسعوا وتفسحوا"[(٦٢٥)]. وكان ابن عمر إذا قام له رجل من مجلسه لم يجلس فيه[(٦٢٦)].

لا تناجي امرأة ثانية إذا كنتن ثلاثاً: لأن تعاليم الإسلام جاءت لتـصوغ الإنسان الراقى المرهف الحس، الدقيق الملاحظة، المقدر شعور الآخرين. وقـد وضع المشرع الحكيم لتحقيق ذلك القواعد الأخلاقية والأساليب الاجتماعية، وجعلها من صلب الدين وصميمه، وأمر بالتحلى ا وتطبيقها في واقع الحياة.

ومن تلك القواعد التي رسمها رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "إذا كنتم ثلاثة، فلا يتناج اثنان دون الآخر، حتى تختلطوا بالناس، من أجـل أن ذلـك يحزنه"[(٦٢٧)]. فلا تقبلي أختاه على واحدة، فتخصينها بالحديث، وبينكما ثالثة، تقف منفردة متضايقة، بل احرصي على شعور هذه الأخت الثالثة، وضعيه في حسابك، فإن كان هناك داع للحديث بين الاثنتين، استأذني الثالثة، وأوجزي في الحديث، واعتذري إليها.

هذا هو خلق المرأة المسلمة التي تزودت بالحصافة والكياسة واللباقة، روى الإمام مالك في الموطأ عن عبد الله بن دينار، قال: "كنت أنا وابن عمر عنـد دار خالد بن عقبة التي في السوق، فجاء رجل يريد أن يناجيه، وليس مع ابـن عمر أحد غيرى، فدعا ابن عمر رجلا آخر، حتى كنا أربعة، فقال لي وللرجل الثالث الذي دعا: استأخرا شيئا، فإنى سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "لا يتناج اثنان دون واحد"[(٦٢٨)].لم يرض ابن عمر أن يستمع إلى سائله حتى استدعى رابعا، وأفهم الجميع أن هذه سنة رسول الله (صـلى الله عليـه وسلم)،فما أرقى هذا الأدب الاجتماعى الذي حض عليه الإسلام! وما أعظم تكريم الإسلام للإنسان! وما أدق احترامه لمشاعره وأحساسيسه!

---

(٦٢٥) متفق عليه. أنظر شرح السنة ١٢/ ٢٩٦، ٢٩٧ كتاب الاستئذان: باب لا يقيم الرجل من مجلسه إذا حضر.
(٦٢٦) صحيح مسلم ١٤/ ١٦١ كتاب السلام: باب تحريم إقامة الإنسان من موضعه.
(٦٢٧) متفق عليه. أنظر شرح السنة ١٣/ ٩٠ كتاب البر والصلة: باب لا يتناجى اثنان دون الثالث.
(٦٢٨) الموطأ ٩٨٨/٢ كتاب الكلام (٦).

أجلـي السيدة الكبيرة وصاحبة الفضل: فإجلال الكبير وتقديره، وإعطاء ذي الفضل حقه من الاحترام والتوقير من القواعد الأخلاقية التي قررها رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "ليس من أمتى من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه"[(٦٢٩)].

والمسلمة النا ة المغترفة دوما من هدي دينها لا يفو ا الأخذ ذه القواعد والأصول الإسلامية العريقة التي تعطى للمسلمة هويتها الأصلية في ا تمع الإسلامي، فاحترام السيدات الكبيرات في سنهن أو مقامهن، وتقديمهن على من هن أصغر منهن، دليل على رقى ا تمع، وعلامة على سمو نفوس أعضاء ذلك ا تمع و ذيبها، ومن شواهد حرص الرسول (صلى الله عليه وسلم) على هذا المعنى: قوله لعبد الرحمن بن سهل إذ رآه يتكلم، وكان أصغر القوم في الوفد الماثل بين يدي الرسول: "كبر، كبر"[(٦٣٠)]، فسكت عبد الرحمن، وتكلم من هو أكبر منه[(٦٣١)].

وإجلال الكبار وأصحاب الفضل من إجلال الله تعالى، كما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "إن من إجلال الله تعالى إكرام ذى الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالى فيه والجافي عنه[(٦٣٢)]، وإكرام ذى السلطان المقسط[(٦٣٣)]"[(٦٣٤)]. وذكر الإمام مسلم عن عائشة رضي الله عنها، أ ا قالت: "أمرنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن ن ل الناس منازلهم"[(٦٣٥)].

ولا يغيب عن فطنة المرأة المسلمة النا ة أن إنزال الناس منازلهم يعنى معرفة أقدارهم وتقديمهم، فيقدم الكبار والعلماء وحملة القرآن وأصحاب العقول الراجحة وأهل الفضل.

لا تحدي نظرك في **بيت غيرك:** ولا تنقلي بصرك منقبة متفحصة محتوياته، فهذا ليس من الخلق الحميد الملائم للمسلمة المؤدبة الرزان، بل إنه من الخلق الممقوت المستهجن المذموم. وقد توعد الرسول (صلى الله عليه وسلم)

---

(٦٢٩) رواه أحمد والطبرانى بإسناد حسن. انظر مجمع الزوائد ١٤/٨ باب توقير الكبير ورحمة الصغير.

(٦٣٠) أى ليتكلم الأكبر.

(٦٣١) متفق عليه. انظر رياض الصالحين: ٢٠٧ باب توقير العلماء والكبار وأهل الفضل.

(٦٣٢) إى التارك له، البعيد عن تلاوته والعمل بما فيه.

(٦٣٣) أى العادل.

(٦٣٤) حديث حسن رواه أبو داود ١٧٤/٥ كتاب الأدب: ٢٣.

(٦٣٥) صحيح مسلم ٥٥/١.

أصحاب العيون المتنقلة في ا الس، المنقبة عن عورا ا وثغرا ا، وأحل فقء عيو م إذ قال: "من اطلع في بيت قوم بغير إذ م، فقد حل لهم أن يفقؤوا عينه"(٦٣٦).

تجنبي **التثاؤب** في **ا لس ما استطعت:** فهذا ما أرشد الرسول الكريم إليه بقوله: "إذا تثاءب أحدكم فليكظم ما استطاع"(٦٣٧). أما إذا كان التثاؤب أقوى من أن يكظم أو يدفع، فلتضعي يدك على فمك، و ذا أمر الرسول الكريم بقوله: "إذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده على فيه، فإن الشيطان يدخل"(٦٣٨). إن التثاؤب قبيح منفر، لا يليق بالإنسان المهذب. ومن ثم لابد من دفعه أو تحاشيه بستر الفم الفاغر المتثائب باليد، وحجب منظره عن الجالسين، بذلك جاء الهدي النبوى الكريم معلما المسلمين والمسلمات التصرف الاجتماعى اللبق الذي لا ينفر الجالسين والجالسات، ولا يشعرهم بملل الشخص المتثائب من مجالستهم، ورغبته في انصرافه عنهم أو انصرافهم عنه. وهذا ما تفعله المرأة المسلمة المتأدبة بأدب الإسلام.

خذي بأدب الإسلام عند العطاس: فعن أبى هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب، فإذا عطس أحدكم، وحمد الله تعالى، كان حقا على كل مسلم سمعه أن يقول له: يرحمك الله. وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع، فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان"(٦٣٩). فإذا ما عطست فعليك أن تقولي: الحمد لله، وتتبعي ما أرشد إليه حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي رواه البخاري: "إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله. فإذا قال له: يرحمك الله فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم"(٦٤٠). وصيغة هذا الدعاء: يرحمك الله" تسمى التشميت، وتقال للعاطس على سبيل الاستحباب إذا حمد الله تعالى، وفي ذلك يقول النبي (صلى الله عليه وسلم): "إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه، فإن لم يحمد الله فلا

---

(٦٣٦) صحيح مسلم ١٣٨/١٤ كتاب الآداب: باب تحريم النظر فى بيت غيره.

(٦٣٧) فتح البارى ٦١١/١٠ كتاب الأدب: باب إذا تثاءب فليضع يده على فيه، وصحيح مسلم ١٢٣/١٨ كتاب الزهد: باب كراهة التثاؤب.

(٦٣٨) صحيح مسلم ١٢٢/١٨ كتاب الزهد: باب كراهة التثاؤب.

(٦٣٩) فتح البارى ٦١١/١٠ كتاب الأدب: باب إذا تثاءب فليضع يده على فيه.

(٦٤٠) فتح البارى ٦٠٨/١٠ كتاب الأدب: باب إذا عطس كيف يشمت.

تشمتوه"[٦٤١]. وعن أنس (رضي الله عنه) قال: "عطس رجلان عند النبي (صلى الله عليه وسلم) فشمت أحدهما، ولم يشمت الآخر، فقال الذي لم يشمته: عطس فلان فشمته، وعطست فلم تشمتنى؟ فقال: "هذا حمد الله، وإنك لم تحمد الله"[٦٤٢]. ومن أدب العطاس كما ورد عن أبى هريرة (رضي الله عنه) قال: "كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه، وخفض – أو غض – ا صوته. شك الراوى"[٦٤٣].

والمرأة المسلمة الواعية المؤدبة بأدب الإسلام لا تنسى في مثل هذه الحالات التي تفاجئ الإنسان أن تتصرف التصرف الذي رسمه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) للمسلمين والمسلمات، وتحفظ الصيغ المأثورة عن الرسول الكريم بنصها، لتقولها إن دهمها العطاس، أو دهم غيرها، أو لتجيب أختها التي تشمتها، طبقا لتوجيهات الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) في أدب الإسلام عند العطاس.

لا تتطلعي إلى طلاق غيرك لتحلي محلها: فمن أبشع الأخلاق أن تتطلع المرأة إلى رجل متزوج، بغية خطفه من زوجته بعد تطليقها، ليفرغ لها ويعود خيره كله عليها وحدها. والمرأة المسلمة التقية بعيدة كل البعد عن هذه الخليقة السيئة الوضيعة التي ى عنها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الحديث الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "لا تناجشوا[٦٤٤]، ولا يبع المرء على بيع أخيه[٦٤٥]، ولا يبع حاضر لباد[٦٤٦]، ولا يخطب المرء على خطبة أخيه، ولا تسأل المرأة طلاق الأخرى لتكتفئ ما في إنائها[٦٤٧]"[٦٤٨]. وفي رواية: "لا يحل لامرأة تسأل طلاق أختها، لتستفرغ صحفتها[٦٤٩]، فإنما لها ما قدر لها"[٦٥٠].

---

(٦٤١) صحيح مسلم ١٢١/١٨ كتاب الزهد: باب تشميت العاطس.
(٦٤٢) متفق عليه. انظر رياض الصالحين: ٤٤٨ كتاب السلام: باب استحباب تشميت العاطس.
(٦٤٣) رواه أبو داود ٢٨٨/٥ كتاب الأدب: ٩٨، والترمذى ٨٦/٥ كتاب الأدب: ٦، وقال: حديث حسن صحيح.
(٦٤٤) التناجش: أن يزيد المرء فى السلعة ولا رغبة له فى شرائها، بل ليغر غيره فى شرائها.
(٦٤٥) أى لا يطلب ممن اشترى شيئا فسخ البيع ليبيعه هذا الشئ بأرخص من ثمنه.
(٦٤٦) أى لا يكن له سمسارا يتحكم فى الأسعار بما يضر.
(٦٤٧) أى لا تسأل رجلا طلاق امرأته ليتزوجها هى، فيصير لها من نفقته ومعروفه ومعاشرته ما كان للمطلقة.

ذلك أن المسلمة أخت المسلمة، وهي مؤمنة بأن ما قدره الله لها لابـد أن يصيبها، وأ ا لا تكون مؤمنة بحق إلا أن تحب لأختها ما تحبه لنفسها، وهي إنما تفعل ذلك طاعة لله ولرسوله واستجابة لأمرهما، وليس تحرزا مـن الفـضيحة الاجتماعية التي تلحق المرأة من جراء تلك الفعلة الشنيعة، فقد تستطيع المرأة أن تخفي فعلتها وتدبيرها، وتنجو من المآخذ الاجتماعى، ولكنها لا تـستطيع أن تفلت من يدى رب العزة الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

اختاري العمل المناسب لأنوثتك: فالمرأة المسلمة الواعيـة لا تتطلـع إلى العمل خارج بيتها إلا إذا كانت بحاجة إلى الكسب؛ إذ لا معيل لها يضمن لها العيش الحر الكريم، أو كان مجتمعها بحاجة إليها لتقوم بعمل تخصصت فيـه، يلائم أنوثتها، ويحفظ كرامتها، ويصون دينها وأخلاقها. ذلـك أن الإسـلام كلف الرجل بالإنفاق على الأسرة، وحمله مسؤولية العيش وتكاليفه، لتتفـرغ المرأة للحياة الزوجية والأمومة، فتكون ريحانة البيت، وأنسه، وجماله، وعطـره وبشاشته، وتكون العقل المنظم لشؤونه، والعاطفة السارية في أرجائه، والروح المرفرفة حول فلذ الأكباد. هذه نظرة الإسلام للمرأة والأسرة، وهـذه هـي فلسفته في الحياة الزوجية والأسرية.

وعلى النقيض من ذلك تقوم فلسفة الغرب في شأن المرأة والبيت والأسرة والأولاد؛ فالبنت متى بلغت سنا معينة، هي في الغالب سبع عـشرة سـنة، لا يلتزم أبوها أو أخوها أو أحد أقار ا بالإنفاق عليها، بل عليها أن تفتش عـن عمل لتنفق على نفسها، وتدخر منه ما تقدمه لزوجها المرتقب، فإذا تزوجت، كان عليها أن تشارك زوجها في نفقة البيت والأولاد. فإذا شاخت، وكانت لا تزال قادرة على الكسب، وجب عليها أن تستمر في العمل لكسب قو ا، ولو كان لديها أولاد أغنياء. ولقد تتابعت شكوى المفكرين الغربيين مما آلت إليـه حالة المرأة الغربية من سوء، منذ أواخر القرن التاسع عشر، وراحوا ينـذرون أقوامهم با يار حضارة الغرب، إذا ما استمرت الأخطاء الناشئة عن خـروج المرأة من بيتها، وتفكك الأسرة، وتشرد الأولاد. وقد جمع الداعية الإسـلامى الكبير الدكتور مصطفي السباعى، رحمه الله، في كتابه (المـرأة بـين الفقـه

---

(٦٤٨) فتح البارى ٣٥٢/٤، ٣٥٣ كتاب البيوع: باب لا يبيع على بيع أخيه، وصحيح مسلم ١٩٨/٩ كتاب النكاح: باب تحريم خطبة الرجل على خطبة أخيه، واللفظ لمسلم.

(٦٤٩) أى إناءها.

(٦٥٠) فتح البارى ٢١٩/٩ كتاب النكاح: باب الشروط التى لا تحل فى النكاح.

والقانون)، طائفة من أقوال المفكرين الغربيين في هذا الموضوع، تعكس سخطهم وألمهم مما وصلت إليه حالة المرأة في الغرب، ومن ذلك ما قاله الفيلسوف الاقتصادى الفرنسى (جول سيمون) تعليقا على عمل المرأة: "لقد اكتسبن بضعة دريهمات، ولكنهن في مقابل ذلك قد قوضن دعائم أسرهن تقويضا". "نعم إن الرجل صار يستفيد من كسب امرأته، ولكن بإزاء ذلك قل كسبه لمزاحمتها له في عمله". "يجب أن تبقى المرأة امرأة، فإنها بهذه الصفة تستطيع أن تجد سعادتها وأن تهبها لسواها. فلنصلح حال النساء، ولكن لا نغيرها، ولنحذر من قلْبِهن رجالا؛ لأنهن بذلك يفقدن خيرا كثيرا، ونفقد نحن كل شيء؛ فإن الطبيعة قد أتقنت كل ما صنعته[651]، فلندرسها ولنسع في تحسينها، ولنخش كل ما يبعد عن قوانينها وأمثلتها"[652]. وتقول الكاتبة الإنكليزية الشهيرة (أني رورد): " ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين، فيها الحشمة والعفاف والطهارة رداء". "نعم إنه لعار على بلاد الإنكليز أن تجعل بناتها مثلا للرذائل بكثرة مخالطة الرجال. فما بالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها الطبيعية من القيام في البيت، وترك أعمال الرجال للرجال سلامة لشرفها؟!"[653]. ولقد استقرت هذه الحقيقة في أذهان زعيمات الحركة النسائية في البلاد العربية، ولا سيما المنصفات منهن، فها هي ذى السيدة سلمى الحفار الكزبرى التي زارت أوروبا وأمريكا أكثر من مرة تكتب في جريدة الأيام الدمشقية الصادرة في ٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٢ م معلقة على كلام الأستاذ شفيق جبرى في كتابه (أرض السحر) حول شقاء المرأة الأمريكية: "يلاحظ الأديب الرحالة مثلا أن الأمريكان يوجهون أطفالهم منذ نعومة أظفارهم لحب الآلة والبطولة في العالم، كما يلاحظ أن النساء أصبحن يمارسن أعمال الرجال في مصانع السيارات، وتنظيف الطرقات، فيتألم لشقاء المرأة في صرف شبابها وعمرها في غير ما يناسب الأنوثة والطبيعة والمزاج. ولقد أسعدنى ما قاله الأستاذ جبرى لأننى عدت من رحلتى للولايات المتحدة منذ خمسة أعوام، وأنا أرثي لحال المرأة التي جرفها تيار المساواة الأعمى، فأصبحت شقية في كفاحها لكسب العيش، وفقدت حتى حريتها، هذه الحرية المطلقة التي سعت طويلا لنيلها؛ إذ أمست أسيرة للآلة وللدقيقة. لقد أصبح

(٦٥١) هذا تعبير الغرب الملحد: (الطبيعة) بدلا من الله الخالق عز وجل، بعد أن أدار الغرب ظهره للدين.
(٦٥٢) المرأة بين الفقه والقانون: ١٧٨.
(٦٥٣) المصدر السابق: ١٧٩.

التراجع أمرا صعبا، ومن المؤسف حقا أن تفقد المرأة أعز وأسمى ما منحتها إياه الطبيعة، وأعني أنوثتها، ثم سعادتها؛ لأن العمل المستمر المضني قد أفقدها الجنات الصغيرات التي هي الملجأ الطبيعي للمرأة والرجل على حد سواء، والتي لا يمكن أن تتفتح براعمها ويفوح شذاها بغير المرأة وربة البيت، ففي الدور وبين أحضان الأسرة سعادة المجتمع والأفراد، ومصدر الإلهام وينبوع الخير والإبداع". إن زج المرأة في أتون العمل وفي قلب معترك الحياة، تزاحم الرجال، لتحتل أماكنهم، أو تشاركهم فيها، من غير حاجة إليها تقتضيها المصلحة العامة، لهو الضلال بعينه، ولهو التخبط المقيت الذي تصاب به الأمم والشعوب في عهود الانتكاس والفتنة والشرود والضلال. والمرأة المسلمة المستنيرة بهدي كتاب ربها وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) لا ترضى أن تزج في ذلك الأتون المستعر، وتأنف أن تكون سلعة رخيصة يتهافت على ابتلاعها الجشعون من أصحاب رؤوس الأموال، أو دمية براقة يتسلى بصحبتها الرقعاء من أشباه الرجال، وترفض بكل إباء وشمم تلك التقدمية المزيفة الخرقاء الداعية إلى خروج المرأة متكشفة كاسية عارية متبرجة، لتعمل إلى جانب الرجل في مكاتب التوظيف، وإنها بموقفها المشرف الرصين العاقل الحكيم تؤدى لبلادها ومجتمعها وأمتها خدمة كبرى، بدعوتها إلى إلغاء هذه المهزلة الكبيرة في مزاحمة المرأة للرجال في أعمالهم.

إن ما يتبع هذه المهزلة من فساد في الأخلاق، وإهمال للأسرة، وتبديد للمال، لهو أكبر مما تقدمه المرأة من منافع في عملها، يدل على ذلك ما قاله حاكم كوريا الشمالية في مؤتمر الاتحاد النسائي في بلاده سنة ١٩٧١: "إننا نجعل النساء يدخلن المجتمع، وليس مرد هذا قطعا إلى النقص في اليد العاملة، وإذا ما قلناها صراحة، فإن ما تتحمله الدولة الآن من أعباء النساء هو أكبر مما تقدمه النساء من المنافع للدولة عن طريق المشاركة في العمل بعد دخولهن المجتمع، ثم قال: وإذن لماذا نريد أن تنشط النساء في انطلاقهن إلى المجتمع؟ ذلك لأن انطلاقهن يستهدف بوجه رئيسى تثوير النساء، وتحويلهن على نمط الطبقة العاملة من خلال الحياة الاجتماعية، يشجع حزبنا انطلاق النساء إلى المجتمع، مهما ثقلت أعباء الدولة".

لاتتشبهي بالرجال: لأن تشبه المرأة بالرجال، وتشبه الرجال بالمرأة حرام في شرعة الإسلام. ذلك أن حكمة الله وسنته الخالدة في الكون والحياة

والإنسان قضتا أن للرجل شخصيته المتميزة عن المرأة، وللمـرأة شخـصيتها المتميزة عن الرجل. وقد وضع الإسلام الأمور في نصا ا حين حدد لكل مـن الرجل والمرأة مهمته في الحياة، ويسره لما خلق له. ومن هنا كان أي خـروج على هذا التحديد الربانى خروجا على سنن الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وتزويرا لطبيعة الإنسان وانحرافا ا عن الأصالة الخلقية الثابتة، وهذا ما يمقتـه كلا الجنسين، وليس أدل على ذلك من أن المرأة تكره الرجل المخنث المتهالك المتشبه بالنساء، والرجل يكره المرأة الخشنة المـسترجلة المتـشبهة بالرجـال. وعمارة الكون وسعادة البشرية لا يتمان على الوجه الصحيح إلا بتميز كل من الجنسين، واستمتاع كل منهما بميزات الجنس الآخر، وتعاو ما معا على إعمار الكون وإسعاد البشرية. لهذا كله، جاءت نصوص الإسلام شديدة قاطعـة في وعيد الرجال المتشبهين بالنساء، ووعيد النساء المتشبهات بالرجال، فعن ابـن عباس (رضي الله عنه) قال: "لعن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال"(٦٥٤). وعنه أيضا قـال: "لعن النبي (صلى الله عليه وسلم) المخنثين من الرجال، والمترجلات من النساء، وقال: "أخرجوهم من بيوتكم"، قال: فأخرج النبي (صلى الله عليـه وسـلم) فلانا، وأخرج عمر فلانة"(٦٥٥). وعن أبى هريرة (رضي الله عنه) قـال: لعـن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل" (٦٥٦).

ويوم كان المسلمون في عافية، تحكمهم شريعة الله، وتستضيء مجتمعـا م بنور الإسلام، ما كان هناك أثر لمشكلة تشبه النساء بالرجال، وتشبه الرجـال بالنساء. أما اليوم، وبعد أن انحسر ظل الإسلام عن المسلمين، وخبا نـوره في مجتمعا م، أصبحنا نجد في كثير من تلك ا تمعات فتيات يلبسن البنطـالات الضيقة ا سمة، والقمصان المشتركة بين الرجال والنـساء، وقـد كـشفن رووسهن، وحسرن عن سواعدهن، حتى غدون كالشبان من الرجال، كمـا نجد نفرا من الشباب المخنث المائع، قد علق في عنقه سلسلة من ذهب، تدلت على صدره المكشوف، وقد أطال شعره ورجله، بحيث غدا رأسـه كـرأس

---

(٦٥٤) انظر فتح البارى ٣٣٢/١٠ كتاب اللباس: باب المتشبهين بالنساء والمتشبهات بالرجال.

(٦٥٥) انظر فتح البارى ٣٣٣/١٠ كتاب اللباس: باب إخراج المتشبهين بالنساء من البيوت.

(٦٥٦) حديث صحيح رواه أبو داود ٨٦/٤ كتاب اللباس: ٣١، وابن حبان (١٣) ٦٣ كتاب الحظر والإباحة: باب اللعن.

الفتاة، حتى إنه ليصعب التمييز بينهما. إن هذه المشاهد المزرية في بعض البلاد الإسلامية التي منيت بالغزو الفكرى، وأصيب كثير من شبا ا بالهزيمة الروحية، لهي مشاهد دخيلة على الأمة الإسلامية ومجتمعا ا وقيمها وأعرافها الإسلامية، ولك أختي المسلمة دور كبير في التصدي لمثل هذه الظواهر وابدئي بنفـسك وأسرتك.

تمسكي **بالدعو إلى الحق:** واعلمي أن الإنسان لم يخلق في هذه الدنيا عبثا، وإنما خلق ليؤدى رسالة، ويحمل أمانة، ويقوم بفريضة، "وما خلَقْـت الْجِـن والْإنس إلا ليعبدون" (الذاريات:٥٦). وعبادة الله تتمثل في كل حركـة مـن حركات الإنسان الإيجابية البناءة، لإعمار الكون، وتحقيق كلمة الله في الأرض، وتطبيق منهجه في الحياة. وهذا كله من الحق الذي يجـب علـى المـسلمين والمسلمات أن يدعوا الناس إليه. ومن هنا تحس المرأة المسلمة الصادقة بواجبها في دعوة من تستطيع من النساء إلى الحق الذي آمنت به، مبتغية بذلك الثواب الجزيل الذي وعد الله به الدعاة إلى الله، كما جاء في حديث النبي (صـلى الله عليه وسلم) لعلي (رضي الله عنه): "فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير من أن يكون لك حمر النعم" [(٦٥٧)].

إن كلمة طيبة تلقينها أيتها الأخت المسلمة في مجتمع من النساء غافل، أو في أذن امرأة شاردة عن هدي الله، فتفعل فعلها في النفوس، تعود عليك بثواب جزل عظيم، يفوق أنفَس الأموال، ويضاف إلى هذا الثواب مثل أجر المرأة التي اهتدت على يديك، كما أخبر بذلك الرسول الكريم: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا"[(٦٥٨)].

ولا تستصغري أيتها الداعية بضاعتك من العلم ، فحسبك أن تبلغي مـا حصلته من العلم، أو ما وصل إلى سمعك من الموعظة والهداية، وهذا ما أوصى به النبي (صلى الله عليه وسلم) أصحابه: "بلغوا عنى ولـو آيـة"[(٦٥٩)]. فقـد تصادف هذه الآية أو الكلمة مكمنا من مكامن الإيمان فإذا شـرارة الهدايـة تنقدح في نفس المرأة السامعة، فتقبل على الحق، وتستضيء حيا ا كلها بنوره الوهاج.

---

(٦٥٧) فتح البارى ٤٧٦/٧ كتاب المغازى: باب غزوة خيبر.
(٦٥٨) صحيح مسلم ٢٢٧/١٦ كتاب العلم: باب من سن سنة حسنة.
(٦٥٩) فتح البارى ٤٩٦/٦ كتاب أحاديث الأنبياء: باب ما ذكر عن بنى إسرائيل.

ومن هنا لا تألو المرأة المسلمة الداعية جهدا في دعوة النساء إلى الحق، مبتغية وجه الله، مشيعة الوعى في صفوف النساء اللواتى لم يكتب لهن اكتساب الوعى والثقافة والتوجيه، يكفيها ثناء رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ودعائه لها بقوله: "نصر الله امرءا سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع"[660].

إن المرأة المسلمة المستنيرة بهدى الكتاب والسنة كالمصباح المنير، الذي يضئ الطريق للسالكات في الليلة الحالكة السواد، ولا يمكن أن تحجب نورها عن أخواتها المتخبطات في عتمة الليل البهيم، بعد أن رأت الثواب العظيم الذي أعده الله للداعيات الصادقات.

لا تتوانى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فهذه المهمة ليست مقصورة على الرجال، وإنما تشمل الرجال والنساء على السواء، كما جاء في قوله تعالى: "والْمؤمنونَ والْمؤمنات بعضهم أَولياء بعضٍ يأمرونَ بِالْمعروف وينهونَ عنِ الْمنكرِ ويقيمونَ الصلاَةَ ويؤتونَ الزكَاةَ ويطيعونَ اللّه ورسولَه أُولَـئك سيرحمهم اللّه إِن اللّه عزيز حكيم" (التوبة:٧١).

لقد بوأ الإسلام المرأة مكانة اجتماعية عالية إذ كلفها بهذا الواجب الاجتماعى العظيم، واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ جعلها لأول مرة في التاريخ آمرة، وما كانت تعرف في غير دنيا الإسلام إلا مأمورة. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون في الحدود والأوساط التي تلائم أنوثتها، وتدخل في نطاق مجالها وتخصصها، فتتصدى للمنكر، وهو غير قليل في دنيا النساء، إن رأته، فتنهي عنه بعقل وروية وحكمة ودماثة وحسن تأت، فتزيله بيدها إن استطاعت ولم يترتب على إزالته فتنة أشد، فإن لم تستطع إزالته بيدها، بينت وجه الحق بلسانها وبيانها، فإن لم تستطع، أنكرت الباطل بقلبها، وراحت تفكر بالوسائل والأسباب المؤدية إلى إزالته واستئصاله من جذوره. وهذا الأسلوب في إزالة المنكر هو الذي أمر به الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"[661].

---

(٦٦٠) رواه الترمذى ٣٤/٥ فى كتاب العلم: ٧، وقال: حديث حسن صحيح.
(٦٦١) صحيح مسلم ٢٢/٢ كتاب الإيمان: باب كون النهى عن المنكر من الإيمان.

والمرأة المسلمة ناصحة لأخواتها المسلمات المقصرات في اتباع هدي الإسلام الحنيف، فالدين النصيحة، كما قرر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في إيجاز شديد وبلاغة آسرة، إذ أخبر عن الدين كله بكلمة واحدة هي النصيحة. وإذا كان الدين النصيحة، فلابد من القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لتتحقق النصيحة التي هي قوام الدين: "الدين النصيحة" قلنا: لمن؟ قال: "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"[(٦٦٢)]. والمرأة المسلمة إذ تتصدى لتقويم العادات والأوضاع المخالفة لشرع الله بين النساء، وتبيان رأى الإسلام فيها، تسدي لمجتمعها وأمتها خير عمل، وتكون هي من خيار الناس: قام رجل إلى النبي (صلى الله عليه وسلم)، وهو على المنبر، فقال: يا رسول الله، أي الناس خير؟ قال: "خير الناس أقرؤهم وأتقاهم، وآمرهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر، وأوصلهم للرحم"[(٦٦٣)]. هكذا تكون المرأة المسلمة الناهضة، صاحبة قضية، لا تسكت عن باطل، ولا تقعد عن تبيان الحق، ولا ترضي بالانحراف. لما ولى أبو بكر (رضي الله عنه) صعد المنبر، فحمد الله، ثم قال: يا أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية "يا أيها الذين آمنوا عَلَيكُم أَنفُسكُم لاَ يضركُم من ضل إِذَا اهتديتم". وإنكم تضعونها في غير مواضعها. وإنى سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه أوشك أن يعمهم الله بعقاب"[(٦٦٤)].

إن المسلمة الصادقة لا تتهاون أبدا في قضية من القضايا تمس الدين وشعائره، وتجانب هديه وروحه؛ فأمور الدين والعقيدة جد لا هزل فيها، ولا يجوز السكوت عن أى انحراف أو خطأ فيها، وإلا وقعنا فيما وقع فيه اليهود يوم غضب الله عليهم؛ إذ رأى منهم التراخى والقعود واللامبالاة في أمور دينهم: "إن من كان قبلكم من بنى إسرائيل إذا عمل فيهم العامل الخطيئة، فنهاه الناهي تعذيرا، فإذا كان من الغد جالسه وواكله وشاربه، كأنه لم يره على خطيئته بالأمس. فلما رأى الله تعالى ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم على بعض، على لسان داود وعيسى بن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. والذي نفسى بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهن عن المنكر، ولتأخذن على أيدى

(٦٦٢) صحيح مسلم ٣٧/٢ كتاب الإيمان: باب بيان أن الدين النصيحة.
(٦٦٣) رواه أحمد والطبرانى، ورجالهما ثقات. انظر مجمع الزوائد ٢٦٣/٧ باب فى أهل المعروف وأهل المنكر.
(٦٦٤) حياة الصحابة ٢٣٣/٣.

المسيء، ولتأطرنه على الحق أطرا، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ويلعنكم كما لعنهم"[665].

كوني لبقة حكيمة في دعوتك: قدري المستوى الفكـري والاجتمـاعي لأخواتك، وأحسني الدخول إلى قلو ن وعقولهن بحكمتك وحسن موعظتك، كما أوصى القرآن الكريم: "ادع إلى سبِيلِ ربك بِالْحِكْمة والْموعِظَة الْحسنة" (النحل:١٢٥).

واحذري الإطالة والإملال والإثقال على المستمعات، بل قدمي لهن الفكرة التي تريدين إبلاغها بإيجاز واضح غير مخل، وبأسلوب طلي مشرق غير مـمل، وعلى دفعات، بحيث تستوعب المدعوة الفكرة المعروضة وتتمثلها بيسر ورضا وتشوق. فقد كان عبد الله بن مسعود يتعهد الناس بالموعظة كل يوم خمـيس، فقال له رجل يا أبا عبد الرحمن: لوددت أنك ذكرتنا كل يوم، فقال: "أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم، وإني أتخولكم بالموعظة[666] كمـا كـان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يتخولنا ا مخافة السآمة علينا"[667].

وترفقي بمن تدعينهن، متأسية في ذلك كله بسيد الدعاة والداعيات، رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، الذي كان آية في الصبر والأناة والحلم واللطـف وسعة الصدر، والإقبال على السائلين إقبال المرشد المحب المـؤنس، والمعلـم المسدد المصلح، لايضيق ذرعا ببطء فهمهم، ولا يمل من كثرة أسئلتهم، ولا من تكرار إجابته عنها، حتى يفهموها، وينصرفوا راضين فاهمين مقتنعين مغتبطين. ومن شواهد ذلك ما يرويه الصحابي معاوية بن الحكم (رضي الله عنه)؛ قال: "بينا أنا أصلى مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذ عطـس رجـل مـن القوم[668] فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أميـاه، ما شأنكم تنظرون إلي؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتـهم يصمتوننى[669] لكنني سكت.فلما صلى رسول الله (صلى الله عليه وسـلم)، فبأبي هو وأمي[670]، ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه. فوالله ما

---

(٦٦٥) رواه أحمد والطبرانى ورجاله رجال الصحيح ١٠/١٤٦.
(٦٦٦) أى أتعهدكم ا فى أيام متفرقة.
(٦٦٧) متفق عليه. انظر رياض الصالحين: ٣٧٤ كتاب الأدب: باب فى الوعظ والاقتصاد فيه.
(٦٦٨) أى من المصلين.
(٦٦٩) أى يسكتوننى غضبت.
(٦٧٠) أى أفديه ما.

كرهنى ولا ضربنى ولا شتمنى، قال: "إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هي التسبيح والتكبير، وقراءة القرآن" أو كما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم). قلت: يا رسول الله إنى حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام، وإن منا رجالا يأتون الكهان[(٦٧١)]! قال: "فلا تأتهم". قلت: ومنا رجال يتطيرون[(٦٧٢)]! قال: "ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم"[(٦٧٣)] [(٦٧٤)]. ومن أخلاق الداعية الحكيمة الناجحة وأسلوبها المؤثر الجذاب: أنها لا تجبه المسيئات بإساءاتهن، ولا المقصرات بتقصيرهن، بل تتلطف وتحسن التأتى في مخاطبتهن، ملمحة غير مصرحة حرصا على مشاعرهن أن تخدش، وعلى نفوسهن أن تنفر من الدعوة. وهذا الأسلوب اللبق الحكيم أوقع في النفوس، وأكثر تأثيرا في القلوب، وهو الأسلوب الذي كان يتبعه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في وعظه: تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: "كان النبي (صلى الله عليه وسلم) إذا بلغه عن رجل شيء لم يقل: ما بال فلان يقول؟ ولكن يقول: ما بال أقوام يقولون كذا وكذا"[(٦٧٥)].

ومن صفات الداعية المهمة الكفيلة بنجاحها في دعوتها: الإبانة والوضوح والتكرار غير الممل، فعن أنس (رضي الله عنه) قال:"كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا، حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثا"[(٦٧٦)]. وتقول السيدة عائشة رضي الله عنها: "كان كلام رسول الله كلاما فصلا[(٦٧٧)]، يفهمه كل من يسمعه"[(٦٧٨)].

عاشري النساء الصالحات: واتخذي منهن أخوات وصديقات، لتأنسن بالصداقة، ولتتعاون معا على البر والتقوى والعمل الصالح، ولتقبلن على الحق وعلى التفقه في الدين؛ ولذا جاء في الهدي القرآني العظيم: "واصبر نفْسك مع الذين يدعونَ ربهم بِالْغداة والْعشي يرِيدونَ وجهه ولَا تعد عيناك عنهم تريد

---

(٦٧١) الكهان: جمع كاهن، وهو رجل يدعى معرفة الضمير ويخبر عن المستقبل.
(٦٧٢) أى يتشاءمون.
(٦٧٣) أى فلا يمنعهم ذلك عن وجهتهم فإنه لا يؤثر نفعا ولا ضرا.
(٦٧٤) صحيح مسلم ٢٠/٥ كتاب المساجد: باب تحريم الكلام فى الصلاة.
(٦٧٥) حياة الصحابة ١٢٩/٣.
(٦٧٦) فتح البارى ١٨٨/١ كتاب العلم: باب من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه.
(٦٧٧) أى بينا ظاهرا.
(٦٧٨) رواه أبو داود ٣٦٠/٤ كتاب الأدب: ٢١، وإسناده صحيح.

زِينَةَ الْحياة الدنيا ولَا تطع من أَغْفَلْنا قَلْبه عن ذكْرِنا واتبع هواه وكَـانَ أمـره فُرطاً" (الكهف:٢٨).

والمرأة المسلمة الصادقة لا تـألف إلا الـصالحات التقيـات الفاضـلات الكريمات، ولو كن في الظاهر دون مستواها الاجتماعى أو المـادى؛ فـالعبرة بجوهر الشخصية، لا بمظهرها وشكلها وثرائها؛ فقد سعى نبي الله موسى عليه السلام وراء العبد الصالح ليتعلم منه، قائلا له بكل تواضع وأدب: "هلْ أَتبِعك علَى أَن تعلمنِ مما علمت رشداً" (الكهف:٦٦). وعندما أجابه العبد الصالح: "إِنك لَن تستطيع معي صبراً" (الكهف:٦٧)، قال له موسى عليه السلام بـود بالغ وأدب جم: قَالَ "ستجِدنِي إِن شاء الله صابِراً ولَا أَعـصي لَـك أمـراً" (الكهف:٦٩).

ولا يغيب عن بال المرأة المسلمة الواعية، وهي تختار صديقا ا من صالحات النساء، أن الناس كالمعادن، منها النفيس ومنها الخسيس، بذلك أخبر الرسول الكريم في تصنيفهم وتبيان معاد م: "الناس معادن كمعادن الفضة والـذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، والأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف"(٦٧٩).

والجليسات صنفان: جليسة صالحة، وجليسة سوء، وقد مثل ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أروع تمثيل بقوله: "إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء: كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإمـا أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة. ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحا منتنة"(٦٨٠).

ومن هنا كان الصحابة الكرام يحرصون على زيارة أهل الخير من الصالحين والصالحات الذين يذكرون بالله واليوم الآخر، ويرققون القلوب، ويـستدرون دموع الخشية والعظة والاعتبار من المآقى. وفي ذلك يروى أنس (رضـي الله عنه) هذه القصة الواقعة: "قال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما بعد وفاة الـنبي (صلى الله عليه وسلم): انطلق بنا إلى أم أيمن(٦٨١) نزورها كما كان رسول الله

(٦٧٩) صحيح مسلم ١٨٥/١٦ كتاب البر والصلة والآداب: باب الأرواح جنود مجندة.
(٦٨٠) متفق عليه. انظر رياض الصالحين:٢١١ باب زيارة أهل الخير ومجالستهم.
(٦٨١) هى حاضنة رسول الله وخادمته فى طفولته، أعتقها النبى (صلى الله عليه وسلم) حين كبر، وزوجها زيد بن حارثة وكان (صلى الله عليه وسلم) يكرمها، ويبرها، ويقول: "أم أيمن أمى".

(صلى الله عليه وسلم) يزورها. فلما انتهيا إليها بكت، فقالا لها: ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها"[٦٨٢].

إن مجالس الصالحات من النساء التي يذكر فيها الله، وتدور الأحاديث النافعة الجادة، تحفها الملائكة، ويظلها المولى سبحانه برحمته؛ وبمثل هذه المجالس تزكو النفوس، وتنجلي العقول، وتصقل الأرواح؛ فخليق بالنسوة المؤمنات الصالحات أن يكثرن منها، ويجنين ثمارها اليانعة، نفعا وفائدة في الدنيا، ومقاما محمودا في الآخرة.

اسعَيْ بالصلح بين المسلمات: فالمجتمع الإسلامي على فضله وتميزه بالأخوة والتفاهم والتسامح والصفاء، يبقى مجتمعا بشريا، لا يخلو في بعض الأحيان من منازعات ومشاحنات، تؤدي إلى الشقاق والتخاصم والمقاطعة.بيد أن هذه المنازعات لا تلبث أن تزول، بما يتلقى أفراد هذا المجتمع من هدي سماوي محكم، وبفضل المساعي الخيرة التي حض الإسلام أبناءه على القيام بها للصلح بين المسلمين والمسلمات، كلما نزغ الشيطان بين الإخوة، وحدث بينهم تقاطع وخصام: "وإن طَائفَتان من الْمؤمنين اقْتتلُوا فَأَصلحوا بينهما فَإن بغت إِحداهما علَى الْأُخرى فَقَاتلُوا التي تبغي حتى تفيءَ إِلَى أمر الله فَإِن فَاءت فَأَصلحوا بينهما بِالْعدل وأَقْسِطُوا إن الله يحب الْمقْسِطين" (الحجرات:٩)، ذلك أن مجتمع المؤمنين والمؤمنات ينبغي أن يسوده العدل والحب والوئام، وترف فيه الأخوة بنداها العطر: "إِنما الْمؤمنونَ إِخوةٌ فَأَصلحوا بين أَخويكُم واتقُوا الله لَعلكُم ترحمونَ" (الحجرات:١٠).

ومن هنا كانت المسلمة مطالبة بالإصلاح بين الأخوات المتنازعات المتخاصمات، عملا بهدي الإسلام الحنيف. وقد رخص الإسلام لها أن تتزيد في أقوالها ابتغاء استمالة النفوس المتخاصمة المتنافرة، وتليين القلوب المتصلبة المتحجرة، فعن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنهما، قالت: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فينمي خيرا[٦٨٣]، أو يقول خيرا[٦٨٤]" وفي رواية لمسلم زادت: "ولم

(٦٨٢) صحيح مسلم ٩/١٦ كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل أم أيمن.
(٦٨٣) أي يبلغ خبرا فيه خير.

أسمعه يرخص في شيء مما يقوله الناس إلا في ثلاث: تعني الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها[٦٨٥]".

خالطي النساء واصبري على أذاهن: إذ كان لا بد للمرأة المسلمة العاملة من القيام بواجب الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فلابد لها مـن الصبر على مواقف بعض النساء وردود أفعالهن الفجة، وسوء تقديرهن لمهمتها النبيلة، وسخرية بعضهن من الدعوة إلى الالتزام بآداب الإسـلام وأحكامـه، وسطحية تفكيرهن، وبطء استجابتهن إلى الحق، ودورا ـن حـول ذوا ـن ومصالحهن، واهتماما ن السخيفة الرعناء، وانصرافهن إلى الدنيا وما فيها من لهو ولعب، دون حساب للآخرة ولا وقوف عند أوامر الدين، إلى غير ذلك مما قد يبدر من البشر من تفاهات، تضيق لها صدور الداعيات، فـإذا أنفـسهن تحدثهن في لحظات الضيق والسأم والإعياء بالاعتزال والانزواء وترك العمل في سبيل الله. هذا ما يواجهه الدعاة من رجال ونساء في كل زمان ومكان. لهذا، كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يشد من عزمات الـدعاة العـاملين، ويربط على قلو م، ويثبت منهم الأقدام، فيعلن أن: "المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهـم[٦٨٦]". وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والأنبياء من قبله آية في الصبر على رعونات الناس، ومن نماذج ذلك الصبر الكبير ما رواه الشيخان من أن الـنبي (صلى الله عليه وسلم) قسم قسمة كبعض ما كان يقسم، فقال رجـل مـن الأنصار: والله إ ا لقسمة ما أريد ا وجه الله عز وجل. وبلغت تلك القولـة الظالمة مسامع الرسول الكريم فشق ذلك عليه، وتغير وجهه، وغضب، ثم قال: "قد أوذى موسى بأكثر من ذلك فصبر". ذه الكلمات القلية سـكت عـن الرسول الكريم الغضب، وانقشع الغيظ، وهدأت النفس الكريمـة الـسمحة الصفوح. والمرأة المسلمة الداعية الحصيفة لا تنقصها اللباقة ولا يعوزها الذكاء في تقدير نفسيات المخاطبات ومداركهن ومستويا ن الفكرية والإجتماعيـة، ومخاطبة كل صنف بالأسلوب الذي يناسبه، ويجدي في جذبه والتأثير فيه.

---

(٦٨٤) متفق عليه. انظر رياض الصالحين: ٦٨٧ كتاب الأمور المنهى عنها: باب بيان ما يجوز من الكذب.

(٦٨٥) صحيح مسلم ١٥٧/١٦ كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم الكذب وبيان ما يباح منه.

(٦٨٦) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ٤٧٨/١ باب الذى يصبر على أذى الناس.

قدري المعروف واشكري عليه: عملا بقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): "من صنع إليه معروف، فقال لفاعله جزاك الله خيرا، فقد أبلغ في الثناء[٦٨٧]". وقوله: "من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن أتى إليكم معروفا فكافئوه[٦٨٨]".

واعلمي أختاه أن الشكر على المعروف دين وليس خليقة اجتماعية متقلبة، تتحكم فيها الأمزجة ولأهواء والمصالح. فصاحبة المعروف جديرة بالشكر، وأن لم تتحقق المنافع والمصالح على يديها؛ فحسبها أ ا استجابت لداعى الخير والبر والنبل والمروءة، وأقبلت على فعل المعروف، فاستحقت عليه الشكر على التوجه النبيل، والاستجابة لداعي المروءة، والمبادرة إلى صنع المعروف، بصرف النظر عن النتائج وما تسفر عنه من تحقق المصالح والمنافع والرغبات. ولقد بلغ من حرص الإسلام على تأصيل خليقة تقدير المعروف والشكر عليه في نفس المسلم أنه جعل شكر الله لا يتم على الوجه الأكمل إلا بشكر الناس على ما قدموه.

وفي هذا المعنى يقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "لا يشكر الله من لا يشكر الناس[٦٨٩]". ولا يغيب عن بال المرأة المسلمة النبيهة أن في شكر من أسدت إليها معروفا إشاعة لفعل الخير، وتشجيعا عليه، وترغيبا فيه، وفيه أيضا تعويد للإنسان على حفظ اليد، وتقدير المعروف، والاعتراف بالجميل. وهذا كله من شمائل الشخصية المسلمة الراقية التي يحرص الإسلام على صياغتها وتكوينها في ا تمع الإسلامى.

عودي المرضي: فعيادة المرضي واجب على المسلمين، وحق لكل مسلم على أخيه، إن قصر فيه وغفل عنه، فهو آثم مفرط ظالم لنفسه، كما بين رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقوله: "حق المسلم على المسلم ست: قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: "إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه[٦٩٠]".

---

(٦٨٧) حديث حسن جيد عريب، رواه الترمذى ٣٠٨/٤ كتاب البر والصلة: ٨٧.
(٦٨٨) رواه أبو دواد ١٧٢/٢ كتاب الزكاة: ٥٤٨، وأحمد ٦٨/٢، وإسناده صحيح.
(٦٨٩) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ٣١٠/١ باب من لم يشكر الناس.
(٦٩٠) صحيح مسلم ١٤٣/١٤ كتاب السلام: باب من حق المسلم للمسلم رد السلام.

فالمرأة المسلمة الراشدة إذ تعود المريض لا تعد عملها تفضلا أو تطوعـا أو مجاملة، وإنما تعده قياما بواجب إسلامى، حض عليه الدين الحنيف بأمر مـن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) القائل: "أطعموا الجائع، وعودوا المـريض، وفكوا العانى[691]"[692]. ولا تجد في عيادا ا هذه ثقلا أو تبرما أو تضجر، لمـا يكتنف جو المرضي من كآبة وسقم وأحزان وهم وكرب، وإنمـا تحـس في زيار ا للمرضي انتعاشا روحيا ممتعا، ونشوة نفسية غامرة، لا يحسهما إلا من تدبر معاني الحديث الشريف الرائع الذي يصور جلال هذه العيادة وما تشتمل عليه من خير وثواب وبركات: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا بن آدم مرضت فلم تعدني! قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده؟! يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني! قال: يا رب كيف أطعمك وأنـت رب العالمين؟! قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمـت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني! قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العلمين؟ قال: استسقاك عبدي فـلان فلـم تسقه، أما علمت أنك لو سقيته لو جدت ذلك عندي؟"[693]. فما أبركها من عيادة! وما أجلها من زيارة! وما أعظمه من عمل! تقوم به المرأة المسلمة تجاه أخوا ا المستضعفات المريضات، فإذا هي في حضرة رب العزة، يشهد عملـها الجليل، ويثيبها عليه الثواب الجزيل، وما أشدها من مؤاخذة يعلنها رب العـزة على المرأة المتقاعسة عن هذه العيادة، وما أكبرها من شقوة تحيق ا وتبعـث الحسرة في نفسها حين لا ينفع الندم. إن المريض في ا تمع الإسلامى ليحس في ساعة الشدة والكرب أنه ليس وحده، وأن عواطف من يعودوه مـن حولـه ودعوا م تغمره تخفف من بلواه، وهذه ذروة الرقي الإنـساني، وقمـة سمـو المشاعر الإنسانية. أما المريض في الغرب فقد يجد المستشفي الـذي يـضمه، والطبيب الذي يسعفه ويداويه، ولكنه قلما يجد اللمـسة الحانيـة، والـدعوة المخلصة، والمشاركة الوجدانية الصادقة، ذلك أن الفلسفة المادية التي غـشيت حياة الغربيين، أطفأت فيها نورانية العاطفة الإنسانية، وجعلت الإنسان الغربى لا يحس أي دافع يدفعه لعيادة المريض، إذا لم تربطه به مصلحة تعود عليه بالنفع

(٦٩١) أى الأسير.
(٦٩٢) فتح البارى ٥١٧/٩ كتاب الأطعمة: باب كلوا من طيبات ما رزقناكم.
(٦٩٣) صحيح مسلم ١٢٥/١٦ كتاب البر والصلة والآداب: باب فضل عيادة المريض.

المادي العاجل أو الآجل، في حين نجد الإنسان المسلم مندفعا لعيادة المريض ابتغاء الثواب الذي أعده الله لمن غير قدمه في هذا السبيل. وفي الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة الجنة[(٦٩٤)] حتى يرجع[(٦٩٥)]". وقال: "ما من مسلم يعود مسلما غدوة[(٦٩٦)] إلا صلي عليه سبعون ألف ملك حتى يمسى، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وكان له خريف في الجنة[(٦٩٧)]"[(٦٩٨)].

ويروي أنس (رضي الله عنه): "كان غلام يهودى يخدم النبي (صلى الله عليه وسلم)، فمرض، فأتاه النبي (صلى الله عليه وسلم) يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال: أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبي (صلى الله عليه وسلم)، وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار[(٦٩٩)]".لم يفت النبي (صلى الله عليه وسلم)، وهو يعود هذا الغلام اليهودى المريض، أن يدعوه إلى الإسلام، إذ كان يدرك وقع زيارته الشريفة في نفس الغلام وأبيه اللذين غمرهما الرسول بكرمه وفضله ولطفه، فإذا هما يستجيبان لأمر الرسول الكريم، وإذا العيادة تثمر هداية، ويخرج الرسول الكريم منها، ولسانه يلهج بحمد الله أن أنقذ به نفسا من النار، ومن حفاوة الرسول الكريم بعيادة المريض واهتمامه بشأ ا أنه وضع لها أصولا وسننا، حفظها عنه الصحابة الكرام، وسجلتها السنة المطهرة. ومنها ما أخبرنا به ابن عباس رضي الله عنه حين قال: "كان النبي (صلى الله عليه وسلم) إذا عاد المريض جلس عند رأسه، ثم قال سبع مرار: أسأل الله العظيم، رب العرش العظيم، أن يشفيك[(٧٠٠)]".

وتروى السيدة عائشة (رضي الله عنه) قائلة: كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يعود أهله، فيمسح بيده اليمنى ويقول: اللهم رب الناس، أذهب البأس، اشف، أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما[(٧٠١)]". وعن ابن

---

(٦٩٤) أى جناها.
(٦٩٥) صحيح مسلم ١٢٥/١٦ كتاب البر والصلة والآداب: باب فضل عيادة المريض.
(٦٩٦) أى صباحا.
(٦٩٧) الخريف: الثمر المخروف، أى ا تنى.
(٦٩٨) رواه الترمذى ٢٩٢/٣ فى كتاب الجنائز: ٢، وقال: حديث حسن.
(٦٩٩) فتح البارى ٢١٩/٣ كتاب الجنائز: باب هل يعرض على الصبى الإسلام؟
(٧٠٠) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ٦٣٣/١ باب إين يقعد العائد.
(٧٠١) متفق عليه. انظر رياض الصالحين: ٤٥٤ كتاب عيادة المريض: باب فيما يدعى به للمريض.

عباس رضي الله عنه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) دخل على أعرابي يعوده، وكان إذا دخل على من يعوده قال: "لا بأس، طهور[٧٠٢] إن شاء الله[٧٠٣]".

إن المرأة المسلمة التي أرهف الإسلام مشاعرها، وفجر في قلبـها ينـابيع الإنسانية النبيلة، لتسارع إلى عيادة المريض لما لها من معـنى نبيـل تحـسه في أعماقها، صورته الأحاديث وترجمته النساء الفضليات في الإسـلام، سـلوكا عمليا إنسانيا حميدا، لم يقتصر على عيادة النساء فحسب، بل تعداه إلى عيادة الرجال أيضا في إطار من التستر والحشمة وأمن الفتنة. ففي صحيح البخـاري أن أم الدرداء عادت رجلا من أهل المسجد من الأنصار. وفيه أيـضا: عـن عائشة أ ا قالت: "لما قدم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المدينة، وعك أبو بكر وبلال رضي الله عنهما، قالت: فدخلت عليهما. قالت: يا أبت كيـف تجدك؟ ويا بلال كيف تجدك[٧٠٤]؟ لقد أدركت المرأة المسلمة في صدر الإسلام معنى عيادة المريض، وما تحمله من تواصل وتواد وتراحم وتعاطف وتكافـل، فسارعت إلى القيام ذا الواجب النبيل، وخليق بالمرأة المـسلمة المعاصـرة أن تتأسى ا في إحياء هذه السنة الإسلامية الحميدة.

لا تنوحي على الميت: لأن النياحة ليست من أعمال المسلمين، وإنما هـي من أعمال الكفار وأخلاق الجاهلية. وقد اشتدت النصوص في تغلـيظ تحـريم النياحة، حتى عد ا كفرا: "اثنتان في الناس هما م كفر: الطعن في النـسب، والنياحة على الميت[٧٠٥]". ولقد أخرج الرسول (صـلى الله عليـه وسـلم) النائحين والنائحات والنادبين والنادبات من زمرة المسلمين في قوله: "ليس منا من ضرب الخدود، أو شق الجيوب[٧٠٦]، أو دعا بدعوى الجاهليه[٧٠٧]".

إن المسلمة البصيرة بأحكام دينها لتؤمن إن الموت حق. وأن كل من عليها فان، وأن الحياة ممر إلى الآخرة، حيث الخلود في جوار رب العالمين. ومن ثم فلا معنى لهذا الجزع الأهوج الذي يفقد فيه الإنسان توازنه، ويطيش صوابه، فـإذا هو يضرب وجهه، ويمزق ثيابه، ويصيح بالويل والندب والتهويل. وقد فقـه

---

(٧٠٢) أى مرضك مطهر لذنبك.
(٧٠٣) فتح البارى ١١٨/١٠ كتاب المرضى: باب عيادة الأعراب.
(٧٠٤) فتح البارى ١١٧/١٠ كتاب المرضى: باب عيادة النساء الرجال.
(٧٠٥) صحيح مسلم ٥٧/٢ كتاب الإيمان: باب إطلاق الكفر على الطعن فى النسب والنياحة.
(٧٠٦) الجيب: فتحة الصدر.
(٧٠٧) متفق عليه. انظر شرح السنة ٤٣٦/٥ كتاب الجنائز: باب النهى عن النياحة والندب.

الصحابة هذا الحكم الشرعى، وهم حديثو عهد بجاهلية، فكانوا ينهون نساءهم عن الندب ورفع الصوت والعويل وشق الثياب، مما كانت تفعلـه النـساء في الجاهلية، مبينين أن الإسلام لا يقر أعمال الجاهلية، وكانوا يتبرؤون منها كما تبرأ رسول الله (صلى الله عليه وسلم): فعن أبي بردة بن أبي موسى قال: وجع أبو موسى وجعا، فغشي عليه، ورأسه في حجر امرأة من أهله، فصاحت امرأة من أهله، فلم يستطع أن يرد عليها شيئا. فلما أفاق قال: "أنا بريء مما برئ منه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فإن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) برئ من الصالقة (٧٠٨) والحالقة (٧٠٩) والشاقة(٧١٠)" (٧١١).

على أن الإسلام الذي حرم أفعال الجاهلية الهوجاء، أقر الحزن يعـتلج في القلب، والدمع الهتون ينسكب من العين، على الميت الحبيب الراحل؛ فهذا كله من العاطفة الإنسانية المشروعة المركوزة في النفوس، والرحمة الربانية الـشفيفة التي غرسها الله في القلوب. وقد عبر عن هذا كله رسول الله (صلى الله عليـه وسلم) بقوله وفعله. فعن أسامة بن زيد قال: كنا عند النبي (صلى الله عليـه وسلم) فأرسلت إليه إحدى بناته تدعوه وتخبره أن صبيا لهـا أو ابنـا لهـا في الموت، فقال الرسول: ارجع إليها فأخبرها أن لله ما أخذ وله ما أعطى، كـل شيء عنده بأجل مسمى، فمرها فلتصبر ولتحتسب. فعاد إلى الرسول فقـال: إ ا قد أقسمت لتأتينها، قال: فقام رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وقام معه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل، وانطلقت معهم، فرفع إليه الـصبى، ونفـسه تقعقع كأ ا في شنة(٧١٢)، ففاضت عيناه، فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال: "هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنمـا يـرحم الله مـن عبـاده الرحماء(٧١٣)".

وعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنه) قال: اشتكى سعد بن عبادة شكوى له، فأتى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يعوده مع عبد الرحمن بن عـوف وسعد بن أبى وقاص وعبد الله بن مسعود. فلمـا دخـل عليـه وجـده في

---

(٧٠٨) أى التى ترفع صو ا عند المصيبة.
(٧٠٩) أى التى تحلق شعرها عند المصيبة.
(٧١٠) أى التى تشق ثو ا عند المصيبة.
(٧١١) صحيح مسلم ١١٠/٢ كتاب الإيمان: باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب.
(٧١٢) أى لها صوت وحشرجة كصوت الماء إذا ألقى فى القربه البالية.
(٧١٣) صحيح مسلم ٢٢٥،٢٢٤/٦ كتاب الجنائز: باب البكاء على الميت.

غشية[٧١٤]. فقال "أقد قضى؟" قالوا: لا يا رسول الله، فبكى رسول الله (صلى الله عليه وسلم). فلما رأى القوم بكاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بكوا، فقال: "ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه- أو يرحم"[٧١٥].

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دخل على ابنه إبراهيم، وهو يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ فقال: "يا ابن عوف، إنها رحمة" ثم أتبعها بأخرى، فقال: "إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون"[٧١٦]. لقد أقر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) التعبير عن الحزن بانسياب دمع العين، إذ لا قبل للإنسان بحبسه عند المصيبة، ونهى عن كل فعل يزيد نار الحزن اشتعالا؛ ذلك أن انسكاب الدمع بعفوية واعتدال يساعد على إطفاء جمرة الحزن، ويعين على التخفيف من توهج وقدة الألم، ويسعف في التهوين من وقع المصيبة، أما الندب والنياحة والعويل والتصويت، وما إلى ذلك من أعمال الجاهلية، فكل ذلك يزيد في ضرام الحزن، ويؤجج نيران الألم، ويزيد في شيوع الهلع والجزع والانهيار في النفوس، وهذا ما كانت تفعله العرب في الجاهلية؛ إذ كانوا يوصون به، فينوحون على الميت، ويندبونه بتعداد شكائله ومحاسنه، ويهولون من وقع المصيبة، وهذا كله مما حرمه الإسلام واشتد في تحريمه؛ إذ فيه تبديد لطاقة الإنسان، ومخالفة للتسليم بقضاء الرحمن، وفتح لباب الغواية والفتنة للشيطان، وقد أشار إلى هذا الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الحديث الذي روته أم سلمة رضي الله عنها، قالت: لما مات أبو سلمة قلت: غريب، وفي أرض غربة، لأبكينه بكاء يتحدث عنه، فكنت قد تهيأت للبكاء عليه، إذ أقبلت امرأة من الصعيد[٧١٧]، تريد أن تساعدنى[٧١٨]، فاستقبلها رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وقال: أتريدين أن تدخلى الشيطان بيتا أخرجه الله منه

---

(٧١٤) أى ما يغساه من كرب الموت، ويرى: غسية وغيشة وغاشية.
(٧١٥) متفق عليه. انظر شرح السنة ٤٢٩/٥ كتاب الجنائز: باب البكاء على الميت.
(٧١٦) رواه الشيخان. انظر رياض الصالحين: ٤٦٣ كتاب عيادة المريض: باب جواز البكاء على الميت بغير ندب ولا نياحة.
(٧١٧) أى من عوالى المدينة.
(٧١٨) أى تساعدنى فى البكاء والنوح.

مرتين[٧١٩]؟ فكففت عن البكاء، فلم أبك[٧٢٠]". وقد بلغ من اهتمام رسـول الله (صلى الله عليه وسلم) بتحريم النياحة في أوساط النساء خاصة أنه كـان حين يأخذ البيعة من النساء يطلب منهن أن يعاهدنه على تحريم النوح وتجنبـه، وذلك في الحديث الذي رواه الشيخان عن أم عطية، قالت: "أخذ علينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مع البيعة ألا ننوح[٧٢١]".

وقد توعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) النائحة إذا لم تتب قبل مو ا أن تبعث يوم القيامة في صورة بشعة مزرية مخيفة: "النائحة إذا لم تتـب قبـل مو ا تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع مـن جـرب[٧٢٢]". وأنذرها باحتجا ا عن ملائكة الرحمة وحرما ا من دعائها لها، ما دامت مصرة على النياحة، وذلك في الحديث الذي رواه أحمد: "لا تصلى الملائكـة علـى نائحة ولا مرنة[٧٢٣]". وإزاء هذا الهدي الصريح القاطع بتحريم النياحة والعويل والندب وشق الجيوب، وما إلى ذلك من أعمال الجاهلية، لا يسع المرأة المسلمة التقية إلا الامتثال والإذعان لأمر الله ورسوله، والابتعاد عن كل مـا يخـدش حسن إسلامها ونقاء إيما ا بقضاء الله وقدره، ولا تكتفي ذا، بل تدعو النساء الجاهلات أيضا إلى الالتزام بشرع الله وأمره في تجنب النياحة، بعد تبيان حكم الله ورسوله فيها.

لا تتبعي الجنازة: امتثالا لأمر رسول الله (صلى الله عليه وسـلم) كمـا أخبرت أم عطية رضي الله عنها بقولها: " ينا عن اتباع الجنـائز، ولم يعـزم علينا[٧٢٤]". فهي في هذه المسألة على النقيض من الرجل؛ فقد حض الإسـلام الرجل على شهود الجنازة وتشييعها حتى دفنها، على حين كره ذلك للمرأة، لما قد يترتب على حضورها الجنازة من مآخذ أو أوضاع غير لائقة بجلال الموت،

---

(٧١٩) المرة الأولى: حينما أسلم أبو سلمة روحه ضج ناس من أهله، فقال لهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون، ثم دعا لأبى سلمة. والمرة الثانية: عندما حدثت نفس أم سلمة أن تبالغ فى البكاء عليه، ثم كفت عن ذلك.

(٧٢٠) صحيح مسلم ٢٢٤/٦ كتاب الجنائز: باب البكاء على الميت.

(٧٢١) فتح البارى ١٧٦/٣ كتاب الجنائز: باب ما ينهى من النوح والبكاء، وصحيح مسلم ٢٣٧/٦ كتاب الجنائز: باب تحريم النياحة.

(٧٢٢) صحيح مسلم ٢٣٥/٦ كتاب الجنائز: باب تحريم النياحة.

(٧٢٣) مسند الأمام أحمد ٣٦٢/٢، ورجاله ثقات.

(٧٢٤) فتح البارى ١٤٤/٣ كتاب الجنائز: باب أتباع النساء الجنائز، وصحيح مسلم ٢/٧ كتاب الجنائز: باب ى النساء عن أتباع الجنائز.

وتشييع الميت، وما يصاحب التشييع حتى الدفن من عبرة وعظة للمـشيعين، واستغفار للميت، واستحضار لمعنى الموت الذي يدرك كل حي: "أينما تكُونواْ يدرِككم الْموت ولَو كُنتم في بروجٍ مشيدة" (النساء:٧٨).

وإذا كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد ي النساء عن اتباع الجنـائز ي كراهة، ولم يعزم عليهن عزم تحريم، فإن يه (صلى الله عليه وسلم) كاف للمرأة المسلمة العاقلة الحصيفة، كي تأخذ به، وتمتثله وتسير عليه، مقدمة الدليل على حسن إسلامها، وصدق طاعتها لله ولرسوله وأخذها بالأولى من المواقف والأحكام.

تم ولله الحمد والمنة

أهم المصادر والمراجع

١. الإحسان في تقريب بن حبان . مؤسسة الرسالة، ١٤١٢.
٢. أحكام النساء لابن الجوزي. المكتبة العصرية، صيدا بيروت ١٤٠٥.
٣. الأدب المفرد: فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد للبخاري.
٤. الأذكار النووية. دار القبلة، جدة ١٤١٣.
٥. الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر. دار النهضة مصر، بدون تاريخ.
٦. أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الجزري. مصر بدون تاريخ.
٧. الإصابة في تمييز الصحابة. دار ضة مصر، بدون تاريخ.
٨. الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني. المصورة عن دار الكتب بمصر، بدون تاريخ.
٩. أنساب الأشراف للبلاذري. دار المعارف بمصر بدون تاريخ.
١٠. البداية والنهاية لابن كثير. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٩.
١١. تاريخ الإسلام للذهبي. دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧.
١٢. تاريخ الطبري. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧.
١٣. تحفة الفقهاء لعلاء الدين السمرقندي. إدارة إحياء التراث الإسلامي بقطر بدون تاريخ.
١٤. تراجم سيدات بيت النبوة للدكتورة بنت الشاطىء. دار الكتاب العربي، بيروت بدون تاريخ.
١٥. الترغيب والترهيب للمنذري. قطر بدون تاريخ.
١٦. جمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت. المكتبة العلمية، بيروت بدون تاريخ.
١٧. الحماسة لأبي تمام. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠١.
١٨. حياة الصحابة للكندهلوي. دار القلم ١٤٠٣.
١٩. دلائل النبوة للبيهقي. دار الكتب العلمية بيروت، بدون تاريخ.
٢٠. رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين. بيروت، بدون تاريخ.
٢١. زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية. مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار الإسلامية ١٤٠١.
٢٢. سنن أبي داود. مطبعة السعادة، مصر ١٣٦٩، ودار الحديث، سورية ١٣٨٨.
٢٣. سنن ابن ماجه، دار إحياء الكتب العربية، مصر بدون تاريخ.
٢٤. سنن الترمذي، وهو الجامع الصحيح. دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.
٢٥. السنن الكبرى للنسائي. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١.
٢٦. سنن النسائي. دار البشائر الإسلامية، بيروت ١٤٠٦، والبابي الحلبي مصر ١٣٩٨.
٢٧. سير أعلام النبلاء للذهبي. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠١.
٢٨. السيرة النبوية لابن هشام. دار القلم، بيروت، بدون تاريخ.
٢٩. شرح السنة للبغوي. المكتب الإسلامي ١٣٩٠.

٣٠. الشمائل المحمدية للترمذي. دار الحديث، بيروت ١٤٠٥.
٣١. صحيح مسلم شرح النووي. دار الفكر، بيروت ١٤٠١.
٣٢. صفة الصفوة لابن الجوزي. دار الوعي بحلب ١٣٨٩.
٣٣. الطبقات الكبرى لابن سعد. دار بيروت ١٣٩٨.
٣٤. طرفة بن عبد: حياته وشعره للدكتور الهاشمي. دار البشائر الإسلامية ١٤٠٠.
٣٥. عشرة النساء للنسائي. مكتبة السنة بمصر ١٤٠٨.
٣٦. العقد الفريد لابن عبد ربه. دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٨٤.
٣٧. فتح البارى شرح صحيح البخاري لابن حجر. دار المعرفة، بدون تاريخ.
٣٨. فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد للبخاري، فضل الله الجيلاني، المكتبة السلفية ١٤٠٧.
٣٩. كشف الأستار للهيثمي. مؤسسة الرسالة ١٤٠٤.
٤٠. كـ العمال في سنن الأقوال والأفعال لحسام الدين الهندي. مؤسسة الرسالة ١٣٩٩
٤١. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي. دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧م
٤٢. مختصر تفسير ابن كثير. دار القرآن الكريم ١٤٠٢.
٤٣. المرأة بين الفقه والقانون للدكتور مصطفى السباعي. المكتب الإسلامي ١٤٠٤.
٤٤. المرأة في الإسلام للدكتور معروف الدواليبي. دار النفائس ١٤٠٩.
٤٥. المستدرك للحاكم النيسابوري. مكتبة النصر الحديثة، الرياض بدون تاريخ.
٤٦. مسند الإمام أحمد بن حنبل. دار صادر، بيروت بدون تاريخ.
٤٧. المعجم الكبير للطبراني. مطبعة الزهراء، الموصل ١٤٠٦.
٤٨. المغازي للواقدي. عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ.
٤٩. المغني لابن قدامة. مكتبة الرياض الحديثة ١٤٠١.
٥٠. المقاصد الحسنة للسخاوي. مكتبة الخانجي بمصر ١٣٧٥.
٥١. من الرق إلى السيادة تأليف سماحة آي ويردي. نشر DAMLA
٥٢. الموطأ للإمام مالك. دار إحياء الكتب العربية بمصر، بدون تاريخ.
٥٣. ميزان الاعتدال للذهبي. دار إحياء الكتب العربية بمصر ١٣٨٢.

المحتويات